

موسوعة الإيمان-229-3.0

الإيمان الذي فرضه الله على عباده مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية

موسوعة شاملة لجميع أصول ومهمات الاعتقاد ومسائله، تتميز بربط المسائل العقدية بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، مع الحرص على تأسيس العقيدة بطريقة مختصرة وشاملة، وفق عبارات ميسرة أثناء البيان، والتوضيح لمسائل الاعتقاد، مع سلامة الموسوعة من المباحث الكلامية والفلسفية، وتهدف إلى تقديم موضوعات الاعتقاد بأسلوب يسهل على جميع المستويات العلمية فهمها واستيعابها.

موسوعة الإيمان الذي فرضه الله على عباده مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية

(موسوعة شاملة لجميع أصول ومهمات الاعتقاد ومسائله، تتميز بربط المسائل العقدية بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، مع الحرص على تأسيس العقيدة بطريقة مختصرة وشاملة، وفق عبارات ميسرة أثناء البيان، والتوضيح لمسائل الاعتقاد، مع سلامة الموسوعة من المباحث الكلامية والفلسفية.)

بين يدي الموسوعة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وأمينه
على وحيه صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فإن علم الاعتقاد هو أشرف العلوم وأجلُّها؛ لأنه يتحدث عن أشرف معلوم - وهو الحق سبحانه وتعالى - وأشرف مقصود - وهو توحيده والإيمان به - وأشرف مآل - وهو رؤية الرب الكريم في دار النعيم، ومتابعة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وسلوك الصراط المستقيم؛ لذا رغبت أن نؤلف كتاباً يشمل مسائل الاعتقاد نستهدي فيه بكتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، بعيداً عن المصطلحات الكلامية الحادثة والتعاريف والأركان والشروط، ونجعله في متناول الجميع؛ بحيث يستفيد منه العالم وطلّاب العلم في الجامعات وغيرها، وعامة المسلمين.

سبب التأليف:

لقد بذل سلفنا الصالح جهوداً كبيرةً في بيان الاعتقاد الصحيح، وبيان ما يضادّه والردّ على المخالفين. وقد جاء هذا الكتاب ليقرب ما صنّفه السلف لطلاب العلم ولعامة المسلمين؛ حيث جمعنا مسائل الاعتقاد في كتاب واحد شامل لها، وقمنا بالاختصار على تقرير الاعتقاد الصحيح دون الخوض في الردود، كما حرصنا على صياغته بعبارات ميسرة واضحة، وترتيبه ترتيباً موضوعياً، ونرجو أن نكون بذلك قد حقّقنا هدفين: أحدهما: المساهمة في تقريب علوم السلف. والآخر: سد حاجة شديدة في المكتبة العقديّة، وهي: إيجاد كتاب ميسر العبارة، شامل لجميع مباحث الاعتقاد.

المنهج الذي اتبعناه في التأليف:

استعراض الآيات والأحاديث المتعلقة بكل موضوع من موضوعات الاعتقاد، واستخلاصه منها.

استعراض جميع موضوعات كتب العقائد؛ سواء المسندة أو المتون أو شروح المتون؛ للتأكد من أن استخلاصنا للاعتقاد من الآيات والأحاديث شامل لما دَوَّنه مؤلفو كتب الاعتقاد. إذا وردت المسألة العقديّة في القرآن الكريم أو في السنة النبوية على وجه واحد؛ اكتفينا بدليل أو دليلين ورد فيهما ذكر هذه المسألة. أما إذا وردت المسألة في القرآن الكريم أو السنة النبوية على وجه متعددة - كصفة الكلام، والعلو، واليد، ورؤية المؤمنين لربهم في عرصات القيامة وفي الجنة - فنلتزم بذكر الدليل على كل وجه من وجوه ورودها، ولا نلتزم بإيراد كل ما ورد في الباب.

قد نضطر لإيراد بعض جوانب المسألة في باب، ثم نعيدها ونستكملها في باب آخر، كما أوردنا خبر خلق الملائكة في باب الخلق، واستكملنا الحديث عنهم في كتاب الإيمان بالملائكة، وذكرنا في باب الإيمان بوجود الله بعض الآيات الدالة على وجوده، وقد ترد الآية ذاتها في باب الربوبية وذلك لتقاربهما، فالمقصود من باب الإيمان بوجود الله إبراز أدلة وجود الرب التي ينكرها الملحّد، بينما المقصود من باب الربوبية إثبات الربوبية المستلزمة لألوهية الله التي يجادل فيها المشرك، كما قد نورد الآية الكريمة أو الحديث الشريف في أكثر من موضع بحسب وجه الاستشهاد بهما، والحاجة إليهما.

عند الحاجة قد نذكر بعض النقول عن أئمة السلف التي توضح المراد من الآية والحديث، ونقتصر على ما يبين القول الحق فيها دون إيراد الشبهة أو قول المخالف؛ لأنّنا يتلقّى المتعلم الشبهة، أو يتضلع من أقوال المخالفين قبل أن يتمكّن من تأصيل

هذا العلم في قلبه وفهمه. ونرجو أن يمنح ذلك القارئ -بإذن الله- حصانة من الزلل في هذه المسألة؛ لما قد أحاط بها من خلاف عقدي مشهور، كمسائل الصفات، والقدر، وغيرها.

قال ابن أبي زَمَين المالكي رحمه الله: **(قد أعلمتك بقول أئمة الهدى وأرباب العلم فيما سألت عنه، وفي غير ذلك عما يُسأل عنه من أصول السنة التي خالف فيها أهل الأهواء المضلة كتاب الله وسنة رسوله ونبيه صلى الله عليه وسلم، ولولا أن أكابر العلماء يكرهون أن يسطر شيء من كلامهم ويخلد في كتاب، لأنبأتك من زيغهم وضلالهم بما يزيدك عن رغبة في الفرار عنهم، ونعوذ بالله من فتنهم، عصمنا الله وإياك من مضلات الفتن، ووفقنا لما يرضيه قولاً وعملاً، وقربنا إليه زلفاً زلفاً).** أصول السنة لابن أبي زمين (309، 310).

تعمدنا أن نبتعد عن التعريفات والمصطلحات الكلامية الحادثة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

جعلنا الكتاب على هيئة كتب وأبواب، كما فعل أوائل المصنفين في العلم الشرعي الشريف، ولم نستخدم التقسيمات المعاصرة: مبحث ومطلب، ورتبناه على أصول الإيمان. قال ابن أبي العز الحنفي: (وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام حين سألته عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته...» فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم إلى آخره). (شرح العقيدة الطحاوية (2/ 689)).

قمنا بوضع ملخص لكل كتاب في بدايته نسرد فيه جميع مسائل الكتاب بدون أدلة.

وفيما يخص تخريج الأحاديث فقد قمنا بتخريجها تخريجاً مختصراً، فنبدأ بالكتب الستة حسب ترتيبها المعروف، ثم نرتب بحسب الوفيات، ولرغبنا في تصغير حجم الكتاب فقد اكتفينا بالتخريج بدون الكلام على الأحاديث إلا في أضيق نطاق.

مميزات هذا الكتاب:

ربط المسائل العقدية بالكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، بحيث يكون واضحًا للطالب مأخذ هذه المسائل. الإحاطة بالمسائل العقدية الرئيسية المتعلقة بكل باب من أبواب الاعتقاد.

الحرص على تأسيس العقيدة بطريقة مختصرة وشاملة وفق عبارات ميسرة أثناء البيان والتوضيح لمسائل الاعتقاد؛ حتى يكون ذلك أدعى للفهم والاستيعاب.

سلامة الكتاب من المباحث الكلامية والفلسفية، وتقريب عباراته، والابتعاد عن الألفاظ التي وردت في بعض كتب الاعتقاد بعد ظهور الأهواء.

ولا نزع أننا استقصينا مسائل العقيدة؛ لكننا استفرغنا وسعنا في ذلك، ونحن نتطلع لكل إثراء لهذا الكتاب أو تقويم أو استدراك؛ حتى نفيد منه في طبقات الكتاب التالية، وحسبنا أننا وردنا على مورد الوحي، واستنبطنا منه موضوعات أشرف العلوم، وقدمناها إلى طلاب هذا الفن مستشعدين لكل مسألة بآية أو حديث أو بهما معًا. ونسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، موافقًا لسنة نبيه وخليفه وأمينه على وحيه، نافعا لعباده، حجة وشاهداً لنا يوم أن نلقى ربنا.

ونشكر الله سبحانه وتعالى الذي يسر لنا هذا العلم، وسخرنا لخدمة دينه، وبسط مسائل أركان الإيمان بالله، وبيانها وذكر أدلتها من الكتاب والسنة.

ونشكر كلَّ مَنْ أحسن إلينا، وأوَّلَى الناس بالشكر والدينا،
فاللهم اغفر لهم وارحمهم واجزهم عنا خير ما جزيت والدًا عن
ولده.

ثم نشكر أصحاب الفضيلة الذين حَكَمُوا الكتاب وقَدَّمُوا
مرئياتٍ واستدراكاتٍ مباركة وهم: الأمير الدكتور سعود بن
سلمان بن محمد آل سعود، أستاذ العقيدة المشارك في جامعة
الملك سعود، والدكتور سهل بن رفاع العتيبي، أستاذ العقيدة
المشارك في جامعة الملك سعود. والأستاذ الدكتور عبدالله بن
صالح البراك، أستاذ العقيدة في جامعة الملك سعود، والدكتور
عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، أستاذ العقيدة المشارك في
جامعة الملك سعود، ونسأل الله أن يجزيهم عنا وعن العلم وأهله
خير الجزاء لقاء ما قدموا من نصيح خالص ورأي سديد.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير
خلقه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكة المكرمة

اليوم الثامن من ذي الحجة

لعام تسعة وثلاثين وأربع مائة وألف من الهجرة النبوية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه
وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فهذا كتاب نذكر فيه ما يجب على المسلم الإيمان به مما ورد
في الكتاب والسنة، وقد نذكر بعض أقوال الصحابة والتابعين
وأتباعهم لشرح آية أو حديث، أو لإيراد قول يحدّد المراد من
الآية أو الحديث. وقد قسمناه إلى كتب وأبواب، والتزمنا فيه
الاختصار قدر الإمكان، والاقتصار على المسائل اللازمة،
وابتعدنا عن الخوض فيما خاض فيه المتأخرون من
مصطلحات لم ترد في الكتاب ولا في السنة النبوية - علي
صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم - يقول الله عز وجل حائثًا
على اتباع دينه، والاعتصام بحبله، والاقتداء برسوله صلى الله
عليه وسلم: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوًا
وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]. وقال تبارك وتعالى:
﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً
وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: 55].
فنقول - وبالله التوفيق:

كتاب بدء الخلق

ملخص الكتاب

نؤمن أن الله خالق كل شيء، وأن الله كان ولم يكن شيء غيره، ولا شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وخلق الماء قبل أن يخلق السماء والأرض، ثم خلق السموات والأرض، وكانتا رتقًا ففتقهما.

ونؤمن أن الله جعل هذا الخلق شاهدًا على ربوبيته المستلزمة لألوهيته، فهو الخالق الحق، وما سواه مخلوق تبارك ربنا وتعالى، وهو الإله الحق، وما سواه مربوب لا يستحق أن يُعبد، أو يُرَجى، أو يُقصد.

ونؤمن أن العرش الكريم خلق عظيم من خلق الله، بل هو أعظم مخلوقاته.

ونؤمن أن الملائكة تحفُّ بعرش الرحمن، وأن الله تبارك وتعالى فوق عرشه، فوق سمواته، بائن من خلقه.

ونؤمن أن الله خلق القلم الذي كتب مقادير كل شيء، وأن أقلام التقدير متعددة.

ونؤمن أن الله خلق الكرسي، وهو أعظم المخلوقات بعد العرش.

ونؤمن أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام من أيام الله، وأن الله رفع السموات بغير عمد، وأن الله خلق هذه المخلوقات العظيمة لِحُكْمٍ عظيمة لا يُحاط بها، وقد أتقن الله خلقها وصنَّعها.

ونؤمن أن هذا الكون بسمواته وأرضه وجباله وكل ما فيه سيكون له حال آخر يوم القيامة.

ونؤمن أن الله خلق الشمس والقمر بالحق، وأنه سبحانه وتعالى جعلهما مسخراتٍ بأمره، وخلق النجوم والكواكب لحكم عظيمة، وأن النجوم والكواكب لا تنفع ولا تضر، ولا تؤثر في الحوادث السماوية والأرضية، ومن اعتقد أنها مؤثرة بذاتها فقد كفر، أو أشرك.

ونؤمن أن الله خلق الملائكة من نور، وجعلهم متفاوتين في الخلق.

ونؤمن أن الله خلق الجانّ من نار، وأن خلق الجن متقدّم على خلق آدم، وأن رأس الشياطين إبليس، وأنه هو الذي أغوى الأبوين عليهما السلام حتى أخرجهما من الجنة. ونؤمن أن إبليس استكبر عن السجود، فغضب الله عليه، ولعنه، وطرده، وأن الجن مخاطبون بالشرائع، ومكلفون.

ونؤمن أن الله أخبر ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة لعمارتها بالعبادة. وبيّن الحق أن هذا الخليفة هو آدم، وأنه سيخلقه من تراب، وهذا التراب جعله الله طيناً، ثم خلقه أطواراً. ونؤمن أن الله خلق آدم بيده الشريفة، وأسجد له ملائكته، وخلق له من نفسه زوجاً ليسكن إليها، وهي حواء، وأسكنهما الجنة، ثم أهبطهما إلى الأرض.

ونؤمن أن الناس كلّهم من ذرية آدم، وآدم من تراب، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

ونشهد أن الله خلق الناس على الفطرة.

ونؤمن أن الروح من أمر الله، وأن البشر لا يعلمون من شأنها إلا ما أطلعهم الله عليه، وأن الأرواح مخلوقة لله. ونؤمن أن الأرواح تموت، وموتها مفارقة البدن.

ونؤمن أن كلَّ ما يدبُّ على الأرض من دابة أمم أمثالنا.
ونعلم أن الله خلق كل دابة من ماء، وجعل من كل شيء
زوجين، وكل هذه المخلوقات إلى الهلاك، إلا ما استثناه الله،
عز شأنه وتعالى.

باب الله خالق كل شيء

نشهد أن الله خالق كل شيء، قال المولى عز شأنه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102]. وقال الحق جلّ في علاه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27].

ونؤمن أن الله كان ولم يكن شيء غيره، ولا شيء قبله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ». (أخرجه مسلم 2713)، وأبو داود (5051)، والترمذي (3400)، وابن ماجه (3831).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ: مَا كَانَ؟ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ»، (أخرجه البخاري 7418)، والترمذي (3951). وفي رواية بلفظ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». (أخرجه البخاري 3191).

ونؤمن أن كل ما يدبُّ على الأرض من دابة أمم أمثالنا، قال الحق جل في علاه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: 38]. ونعلم أن الله خلق كل دابة من ماء، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: 45]. وجعل من كل شيء زوجين، فقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49]. وقال المولى عز شأنه: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [النجم: 45].

ونؤمن أن هذا الخلق - على تنوعه وكثرته - متوازن لا يطغى شيء منه على شيء، ولا نوع على نوع، قال الحق جل شأنه: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: 19].

وكل هذه المخلوقات ستصير إلى فناء، قال الله جل في علاه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26-27]. إلا ما استثناه الله من الصعق في قوله عز شأنه وتعالى سلطانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68].

ونؤمن أن الله جعل هذا الخلق شاهداً على ربوبيته المستلزمة لألوهيته، فتارة يجعل خلقه لهذا الخلق دالاً على ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: 11]. وتارة يذكر الحق أن أكبر مخلوق فيها - وهو العرش - دل على ذلك كما في قول الحق

سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: 26]، وقال صلى الله عليه وسلم: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ. سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ. سُبْحَانَ اللَّهِ زُيْنَةَ عَرْشِهِ. سُبْحَانَ اللَّهِ مِزَادَ كَلِمَاتِهِ». (أخرجه مسلم (2726)، والنسائي (1/1351)، والترمذي (3555)، وابن ماجه (3808).) فزينة العرش أثقل الأوزان. وتارة يجعل المخلوقات الكبيرة دليلاً على ذلك، كما في قوله جل شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]. وتارة يجعل فرداً من أفراد هذه المخلوقات دليلاً على ذلك، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ [فاطر: 27].

وتارة يجعل أضعف مخلوق وأصغره دليلاً على ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: 26]. فهو الخالق الحق، وما سواه مخلوق تبارك ربنا وتعالى، وهو الإله الحق، وما سواه مربوب لا يستحق أن يعبد، أو يرجى، أو يقصد.

باب خلق العرش العظيم

ونؤمن أن العرش خلق عظيم من خلق الله، بل هو من أعظم مخلوقاته، وإذا وصفه العظيم بأنه عظيم فهو - حقاً - عظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: 26]. ووصفه بأنه مجيد، فقال المولى عز شأنه: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: 15]، قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره: (واختلفت القراء في قراءة قوله: (المجيد) فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين رفعا، رداً على قوله: (ذو العرش) على أنه من صفة الله تعالى ذكره. وقرأ ذلك عامه قراء الكوفة خفضاً، على أنه من صفة العرش. والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. جامع البيان (24 / 346). وهو مع عظمته مخلوق مربوب، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: 86]. وقال صلى الله عليه وسلم: «...وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ». (أخرجه الترمذي (3109)، وابن ماجه (182)، والطيالسي (1189)، وأحمد (16188) وابن أبي عاصم في السنة (625). وله قوائم؛ قال صلى الله عليه وسلم: «النَّاسُ يَصْعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ». (أخرجه البخاري (3398)، ومسلم (2374)، وأبو داود (4668).)

والعرش فوق السموات، والله فوق العرش، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا - وَقَالَ بِاصْبُعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ - وَإِنَّهُ لَيَبِيطُ بِهِ أَطْيَطُ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ». (أخرجه أبو

داود (4726)، وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (24)، وابن أبي عاصم في السنة (587)، وابن خزيمة في التوحيد (147). وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ». (أخرجه أبو داود (4726)، وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (24)، وابن أبي عاصم في السنة (588)، وابن خزيمة في التوحيد (147).) ونؤمن أن تحت العرش من الكنوز الربانية ما لا يقدر قدره إلا الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «وَأُعْطِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي». (أخرجه مسلم (522) دون موطن الشاهد، والطيالسي (418)، وابن أبي شيبة في المصنف (32306)، وأحمد (23251) واللفظ له. وغيرهم.)

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع، وذكر منها: «وَأَمَرَنِي أَنْ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُمْ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ». (أخرجه البزار (3966)، وابن أبي شيبة في المصنف (35491)، وهناد في الزهد (1013)، وأحمد في المسند (21415) واللفظ له، وفي الزهد (401).)

ونؤمن أن الرسول صلى الله عليه وسلم يسجد تحت العرش يوم القيامة حتى يشفع الشفاعة العظمى، ففي حديث الشفاعة الطويل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَأَنْطَلِقُ، فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عِزَّ وَجَلٍّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ ثَعْطَهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعُ. فَأَرْفَعُ

رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، ...». (أخرجه البخاري (4712)، ومسلم (194)، والترمذي (2434)، وابن ماجه (3307).)

ونؤمن أن أرواح الشهداء تأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا أَصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحْدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، تَرُدُّ أُنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعْلَقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ...». (أخرجه أبو داود (2520)، وابن المبارك في الجهاد (62)، وابن أبي شيبة (19678)، وأحمد (2388).)

وقيل لابن المبارك: كيف نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق السماء السابعة على العرش، بائن من خلقه». (الرد على الجهمية، للدارمي (ص: 47)، والأسماء والصفات، للبيهقي (336/2)، والفتوى الحموية الكبرى (ص: 333)، وشرح الطحاوية - ط دار السلام (ص: 219).)

وقال الإمام الدارمي رحمه الله: «فالله تبارك وتعالى فوق عرشه، فوق سمواته، بائن من خلقه، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد، وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد، ولا يبعد عنه شيء؛ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» { [سبأ: 3]. سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علواً كبيراً». (الرد على الجهمية (ص: 47).)

ونؤمن أن العرش تحمله الملائكة، قال تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا
وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) [غافر: 7]. وقال تعالى:
(وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمْنِيَّةٌ)
[الحاقة: 17].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض صفات حملة
العرش فقال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ
حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ
عَامٍ». (أخرجه أبو داود (4727)، والطبراني في الأوسط
(1709)، وأبو الشيخ في العظمة (476)، وابن شاهين في
الفوائد (19)).

ونؤمن أن الملائكة تحفُّ بعرش الرحمن، قال الحق: (وَتَرَى
الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الزمر: 75].

والعرش مع الكتاب المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم:
«لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ
رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي» (أخرجه البخاري (3194)، ومسلم
(2751)، والترمذي (3543)، وابن ماجه (189)،
(4295)). هما أعلى المخلوقات، قال صلى الله عليه وسلم: «...
فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ،
وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». (أخرجه
البخاري (7423)).

ونؤمن أن الله مُسْتَوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، قال
تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: 54]، وقال الحق جل في علاه:

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهٖ خَيْرًا﴾ [الفرقان: 59].

وقد سئل ربيعة الرأي عن قول الله تبارك وتعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: 5]: كيف استوى؟ قال: «الكيف مجهول، والاستواء غير معقول، ويجب عليَّ وعليكم الإيمان بذلك كله». (الأسماء والصفات للبيهقي (306/2)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (582/3)).

وجاء رجل إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} كيف استوى؟ قال: فما رأينا مالكا وجد من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرُّحَضَاءُ، وأطرق، وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه، قال: ثم سُرِّي عن مالك، فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالًّا، ثم أمر به، فأخرج». (الرد على الجهمية، للدارمي (ص: 66)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (441/3)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (325/6)، والاعتقاد، للبيهقي (ص: 116)، وشرح السنة، للبغوي (171/1). والأسماء والصفات، للبيهقي (306/2)).

وكان الإمام أحمد يقول في معنى الاستواء: «هو العلو والارتفاع، ولم يزل الله تعالى عاليًا رفيعًا قبل أن يخلق عرشه، فهو فوق كل شيء، والعالي على كل شيء، وإنما خصَّ الله العرش لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء وأرفعها، فامتدح الله نفسه بأنه على العرش استوى؛

أبي: عليه علا... وحكي عن عبدالرحمن بن مهدي عن مالك: أن الله تعالى مستوي على عرشه المجيد كما أخبر، وأن علمه في كل مكان». (العقيدة رواية أبي بكر الخلال (ص: 108)).

وربوبية الله سبحانه وتعالى للعرش دليل على استحقاقه للعبادة دون من سواه، فقال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: 86]، وقال المولى عز شأنه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَاتَّبَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42].

باب خلق الماء

ونؤمن بأن الله جل في علاه خلق الماء قبل أن يخلق السماء والأرض، قال صلى الله عليه وسلم: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»، (أخرجه مسلم (2713)، وأبو داود (5051)، والترمذي (3400)، وابن ماجه (3831).) وجعل الله من الماء كل شيء حيٍّ، قال الحق سبحانه: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [الأنبياء: 30]، وأن الله جعله آية من آيات ربوبيته وألوهيته، قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22].

وقال عز من قائل: {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَاتٍ وَجَبَّتْ مِنْ أَعْلَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الرعد: 4]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: 53، 54]؛ فجعل من الماء بحرين مختلفين، وجعل بينهما حِجْرًا وبرزخًا، فلا ينبغي أحدهما على الآخر، كما جعل من الماء بشرًا، وجعل من البشر نسبًا وصهرًا، فتبارك الله أحسن الخالقين، وأمثال هذه الآيات كثير.

كما جعله الله دليلاً على البعث، فقال جل من قائل: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خُشْبَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فصلت: 39].

وجعله جنداً من جنوده، فنصر به أوليائه، قال المولى عز
 شأنه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً
 لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ
 بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11]، وخذل به أعداءه، قال الولي الحميد:
 ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ
 مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ
 [القمر: 10-12]، إلى غير ذلك من الأحوال التي جعل الله فيها
 الماء سبباً لنصرة أوليائه أو خذلان أعدائه.

باب خلق القلم

ونؤمن أن الله خلق القلم الذي كتب القدر، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». (أخرجه أبو داود (4700)، والترمذي (2155، 3319)، والطيالسي (578)، وأحمد (22705، 22707)، وابن أبي عاصم في السنة (115).)

ونؤمن أن الأقلام متعددة، قال صلى الله عليه وسلم -وهو يخبر عن الإسراء والمعراج: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ». (أخرجه البخاري (349)، ومسلم (163).)

وتكرر في القرآن والسنة الخبر عن كتابة الملائكة لأفعال العباد، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10 - 12].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 17، 18].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا فَلِلَّهِ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾ [يونس: 21]

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: 80].

وفي «الصحيح» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، وَمَا مِنْ نَفْسٍ مِنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَائِهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ». (أخرجه البخاري

(4948)، ومسلم (2647)، وأبو داود (4694)، والترمذي (2136، 3344)، وابن ماجه (78).
وقال -أيضاً: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكَتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكَتَبُ بِمِثْلِهَا». (أخرجه البخاري (42، 7501)، ومسلم (128، 129، 130)، والترمذي (3073).)

باب خلق الكرسي

ونؤمن أن الكرسي هو أعظم المخلوقات بعد العرش، قال الله تعالى مبيِّنًا عظمتَه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: 255].

والكرسي بين يدي العرش، وهو موضع القدمين، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يُقدَّر أحدٌ قدره». (أخرجه الدارقطني في الصفات (36) مرفوعًا وموقوفًا. وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المريسي (84)، (89)، وعبدالله ابن أحمد في السنة (586)، وابن خزيمة في التوحيد (154)، وأبو الشيخ في العظمة (216، 217). وقال صلى الله عليه وسلم: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة». (أخرجه ابن حبان (361)، وفي المجروحين (3/ 130)، والطبراني في الكبير (1651)، وفي المكارم (1)، والأجري في الأربعين (40)، وأبو الشيخ في العظمة (259)، وأبو نعيم في الحلية (1/ 18 و 166 - 168)، والبيهقي في الأسماء (ص: 510 - 511)، وفي الشعب (4325 و 7668)، وابن عبد البر في التمهيد (9/ 199). وهو حديث طويل، وحديثنا هنا جملة منه، والحديث له طرق كثيرة لكنها ضعيفة لا تصح، وقد ذكر العقيلي بعض هذه الطرق وأشار إلى ضعفها، وذكرها أيضًا ابن عدي وقال: «هذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر، وهذا الحديث

ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم ابن محمد عن أبي ذر والثالث حديث ابن جريج وهذا أنكر الروايات»، لكن هذا الحديث مشهور، ولم يرو غيره مرفوعاً في الكرسي، ولهذا أوردناه مع ضعفه ونكارتة.)

كما أخرج البيهقي عن العباس بن محمد قال: سمعت أبا عبيد يقول: «هذه الأحاديث التي يقول فيها: ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، وإن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك قدمه فيها، والكرسي موضع القدمين، وهذه الأحاديث في الرواية هي عندنا حق، حملها بعضهم عن بعض، غير أننا إذا سألنا عن تفسيرها لا نفسرها، وما أدركنا أحداً يفسرها». (الأسماء والصفات، للبيهقي (2/ 198).)

باب خلق السموات والأرض

ونؤمن أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام من أيام الله، وما مسّه من تعبٍ ولا لغوبٍ، قال المولى عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: 38]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30]، وقال الحق جل في علاه: ﴿﴿﴾ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيُسْأَلِينَ * ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: 9-12].

وقال المولى عز شأنه: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلَهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَلَهَا * مَتَّعَا لَكُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ﴾ [النازعات: 27-33].

ونؤمن أن الله رفع السموات بغير عمد، قال الحق جل شأنه: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَآلَقَىٰ فِي الْأَرْضِ رُوسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: 10].

ونؤمن أن الله تعالى يمسك السموات والأرض أن تزولا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: 41].

ونؤمن أنه سبحانه الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: 65].

ونؤمن أن الله سبحانه وتعالى يدبر أمر هذه المخلوقات، ويحفظها، ولا يؤوده ذلك، قال الحق: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]. ونؤمن أن الله خلق هذه المخلوقات العظيمة لإحكام عظمة لا يحاط بها، وقد أتقن الله خلقها وصنعها، قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لُعِينٍ﴾ [الدخان: 38]، وقال الحق جل شأنه: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُونَ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرُزُقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: 19-21].

وقد احتجَّ الله بخلقه للسموات والأرض على ربوبيته المستلزمة لألوهيته، فقال عز شأنه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: 60]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت: 61]، وقال سبحانه وتعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدَ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت: 63].

ونؤمن أن الله جعل الأرض مكاناً للابتلاء، فقال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: 7]، كما جعلها مستقراً ومعاشاً وكفائاً، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: 55]. وقال جل شأنه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: 25، 26].

ونؤمن أن هذا الكون العظيم يمجد الله رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44]، ويخضع لعظمته، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11].

ويفرق هذا الكون، ويخاف من تطاول العباد على الرب سبحانه وتعالى، قال المولى عز شأنه وتعالى سلطانه: ﴿تَكَادُّ السَّمَوَاتُ يَفْقَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَذًا﴾ [مريم: 90، 91].

باب خلق الشمس والقمر

ونؤمن أن الله خلق الشمس والقمر، قال الحق: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33].

ونؤمن أن الشمس والقمر يجريان، كما أخبر الله عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 38-40]، فتبارك الله أحسن الخالقين.

ومن رحمته بعباده أن جعلهما مسخراتٍ بأمره؛ لتحقيق منافع العباد، قال الحق جل في علاه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: 33]، وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: 54].

وقد خلق الله تعالى الشمس والقمر لحكم عظيمة لا يحاط بها، ومن تلكم الحكم ما جاء في قول الحق عز شأنه: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: 96]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: {وَالشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا} [الأنعام: 96]، يعني: عدد الأيام والشهور والسنين. (تفسير الطبري (11/ 558)). وقال الله تعالى أيضاً

في بيان بعض حكم خلق الشمس والقمر: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 5].

ونؤمن أن الله جعلهما من آياته العظيمة الدالة على ربوبيته المستلزمة لألوهيته، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُلَاقُونَ ﴿[العنكبوت: 61]﴾، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: 37]. وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ». (أخرجه البخاري (1048)، والنسائي (1459).)

ونؤمن أن الشمس والقمر يسجدان لله رب العالمين -كما تسجد بقية المخلوقات- قال الحق جل شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: 18]. ونؤمن بأن الشمس تسجد تحت العرش في كل يوم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فعن أبي ذر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا. وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس: 38]». (أخرجه البخاري (3199)، ومسلم (159)، وأبو داود (4002)، والترمذي (2186، 3227).)

باب خلق النجوم

ونؤمن أن الله خلق النجوم والكواكب لحكم عظيمة، منها ما ذكره الحق جل في علاه في قوله: **(وَعَلَّمَتْ وَيَالْنَجْمَ هُمْ يَهْتَدُونَ)** [النحل: 16]، قال قتادة رحمه الله: «والعلامات: النجوم، وإن الله تبارك وتعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصلات: جعلها زينة للسماء، وجعلها يُهْتَدَى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك: فَقَدْ رَأَى، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكَلَّف ما لا علم له به». (تفسير الطبري (17/

(185).)

وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ. قَالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: «أَحْسَنْتُمْ، أَوْ أَصَبْتُمْ»، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلَّسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ». (أخرجه مسلم (2531).)

وقال الحق جل شأنه: **{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ}** [الملك: 5].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ، أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ

فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ: وَلِذَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهَا لَا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قُضِيَ أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يُلَوْنُهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ: الَّذِينَ يُلَوْنُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ». قَالَ: «فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطُفُ الْجِنُّ السَّمْعَ، فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمُونَ بِهِ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرَفُونَ فِيهِ، وَيَزِيدُونَ». (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (2229)).

وكان الشياطين يسترقون السمع، فلما بُعث نبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلم مُنِعُوا مقاعدهم من السمع، قال المولى عز شأنه مخبراً عن ذلك: (وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ السَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا) [الجن: 9]، وقال تعالى: (إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزَيْنَةٍ الْأَكْوَابِ * وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَمَلِ الْأَعْلَى وَيَقْذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِقٌ) [الصفات: 10-6].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ الْجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمْعُونَ الْوَحْيَ، فَإِذَا سَمِعُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا، فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا، وَأَمَّا مَا زَادُوهُ فَيَكُونُ بَاطِلًا، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ، فَذَكَّرُوا

ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ، وَلَمْ تَكُنِ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ
 إِبْلِيسُ: مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرِ قَدْ حَدَّثَ فِي الْأَرْضِ، فَبَعَثَ جُنُودَهُ،
 فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ
 -أَرَاهُ قَالَ: بِمَكَّةَ- فَاقْبَهُ، فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هَذَا الْحَدَّثُ الَّذِي حَدَّثَ
 فِي الْأَرْضِ». (أخرجه الترمذي (3324)، وأحمد (2482)،

والنسائي في الكبرى (11562)، وأبو يعلى (2502).
 ونؤمن أن النجوم والكواكب لا تنفع ولا تضر، ولا تؤثر في
 الحوادث السماوية والأرضية، ومن اعتقد أنها مؤثرة بذاتها فقد
 كفر أو أشرك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مُطِرَ
 النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ»، قَالُوا:
 هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذًا وَكَذَا، قَالَ:
 «فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة: 75]،
 حَتَّى بَلَغَ {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: 82]».
 (أخرجه مسلم (73).)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى
 أُمَّتِي فِي آخِرِ زَمَانِهَا إِيْمَانٌ بِالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبٌ بِالْقَدَرِ، وَحَيْفُ
 السُّلْطَانِ». (أخرجه الروياني (1245)، والطبراني في الكبير
 (8113).)

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النظر في النجوم، قال
 النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، أَقْتَبَسَ
 شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ». (أخرجه أبو داود (3905)،
 وابن ماجه (3726)، وابن أبي شيبة (26159)، وأحمد
 (2000)، وعبد بن حميد (714).)

فلا يجوز تعلُّم النجوم إلا بقدر ما يُهْتَدَى به في بَرٍّ أو بحر؛
لأن تعلُّمها يدعو إلى الكهانة، فعن سعيد بن جبير قال: «جَاءَ
رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، أَوْصِنِي. فَقَالَ:
أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيَّاكَ وَذَكَرَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا سَبَقَ لَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ. وَإِيَّاكَ وَعَمَلَ
النُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى كَهَانَةٍ.
وَإِيَّاكَ وَمَجَالِسَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ تُسْتَجَابَ
دَعْوَتُهُ، وَأَنْ يُرَكَّى عَمَلُهُ، وَيُقْبَلَ مِنْهُ، فَلْيَصُدَّقْ حَدِيثُهُ، وَلْيُؤَدِّ
أَمَانَتَهُ، وَلْيُسَلِّمْ صَدْرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ». (أخرجه ابن بطّة في الإبانة
(1987).)

باب خلق الملائكة

ونؤمن أن الله خلق الملائكة من نور، ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». (أخرجه مسلم [2996].)

وجعل الله الملائكة متفاوتين في الخلق، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: 1].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل، وأن له ست مائة جناح؛ وأنه عظيم الخلق؛ فعن أبي إسحاق الشيباني قال: سألت زُرَّ بْنَ حَبِيشٍ عن قول الله تعالى: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: 9، 10] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: «أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»، (أخرجه البخاري (3232)، ومسلم (174)، والترمذي (3277). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ، وَخَلَقَهُ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأُفُقِ». (أخرجه البخاري (3234)، ومسلم (177)، والترمذي (3068).)

وسنفضّل القول في الحديث عن الملائكة في كتاب الإيمان بالملائكة، بإذن الله، واقتصر الحديث هنا عن خلقهم فقط.

باب خلق الجن والشیاطین

ونؤمن أن الله خلق الجنَّ من مارج من نار، قال الحق جل شأنه: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: 27]، وقال أيضاً: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: 15]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». (أخرجه مسلم (2996)).

ونؤمن أن الله خلق الجن والإنس لعبادته سبحانه وتعالى، قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. والجن يكون فيهم نُذُرٌ، ولا يكون فيهم رسل، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر». (تفسير ابن كثير (340/3)).

وأما قوله تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ آيَاتِي} ، فالمقصود: أي من جملتكم وليس من جميعكم، فهو كقوله تعالى: {وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا} ، وقوله: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها} مع أن العاقر واحد منهم.

ونؤمن أن خلق الجن متقدّم على خلق آدم؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: 27]، ورأس الشياطين إبليس -أعاذنا الله منه- خلقه الله من نار كما خلق سائر الجن والشياطين، قال تعالى مخبراً عن إبليس أنه قال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]، وأن إبليس كان من الجن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ {
[الكهف: 50].

وإبليس هو الذي أغوى الأبوين عليهما السلام حتى أخرجهما من الجنة، حيث وسوس لهما، وأقسم لهما إنه لمن الناصحين، فدلّاهما بغرور، فأكلا من الشجرة، قال الحق: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ { [الأعراف: 23-19].

ونؤمن أن الشيطان استكبر عن السجود، فغضب الله عليه، ولعنه، وطرده من جنة الخلد، وأنه طلب من الله أن ينظره إلى يوم القيامة؛ فأنظره الله، وأنه أقسم بعزة الله ليفتنن جميع بني آدم إلا عباد الله المخلصين، قال الحق مخبراً عن كيده: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } [ص: 71-83]. وقال الشيطان
كما أخبر الله عنه: {فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ *
ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا
تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } [الأعراف: 16، 17].

والجن مخاطبون بالشرائع، ومكلفون، ولهم القدرة على
سماع الوحي وفهمه من الرسل ومن النذر؛ ولذا قالوا لما سمعوا
القرآن، كما أخبر الله عنهم: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ
يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى
قَوْمِهِمْ مُّذْذِرِينَ * قَالُوا يُقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كُتُبًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ }
[الأحقاف: 29، 30].

ونعلم أن الجن منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك، فمن آمن
منهم فمآله الجنة، ومن كفر منهم فمآله النار، قال الحق جل في
علاه: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا} [الجن:
11]، ثم قال تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ
 فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن:
14، 15].

وقال تعالى مخبرًا عن تبكيت الملائكة للفجار من الإنس
والجن يوم القيامة: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُم آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [الأنعام: 130]،
وقال تعالى أيضًا: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنسِ فِي النَّارِ} [الأعراف: 38].

وبيّن الحق سبحانه وتعالى أن سبب دخولهم النار هو عدم
سماعهم للهدى سماع قبول، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ
كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا

يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا [الأعراف: 179]، ودلت هذه الآية على أن للجن قلوباً وآذاناً وعيوناً. وللشياطين أصوات يستفزون بها الخلق، قال الحق جل في علاه: {وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخِيْلِكَ وَرَجِلِكَ} [الإسراء: 64].

وقد وعظ الله البشر؛ لنلا يغرهم الشيطان كما غرَّ أبويهم، قال المولى عز شأنه: {يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ لِبَاسِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 27].

ونؤمن أن الشيطان -مع علمه أنه لا يستطيع إغواء عباد الله المخلصين- يحاول هو وجنوده إغواءهم وإفساد عباداتهم عليهم، قال المولى عز شأنه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 112]. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ عَفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنِّ تَقَلَّتْ عَلَى الْبَارِحَةِ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- لَيَقْطَعَنَّ عَلَى الصَّلَاةِ، فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي»، قَالَ رَوْحٌ: فَرَدَّهُ خَاسِئًا، (أخرجه البخاري (461)، ومسلم (541)). وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»،

قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَاسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ». (أخرجه مسلم (2814).)

وعن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسَلِّمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَاسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدْعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ، فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عِزُّ وَجَلُّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَّتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ». (أخرجه النسائي (3134) وفي الكبرى (4327)، وابن أبي شيبة (19675)، وأحمد (15958)، وابن حبان (4593).)

وإذا كان الخبيث لا يبأس من التسلُّط على الأنبياء عليهم السلام، فغيرهم من باب أولى، فعن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَنَعَوْذُ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتَّقِ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي. (أخرجه مسلم

(2203).)

وفي «صحيح البخاري»: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ». (أخرجه البخاري (2038، 7171).) وبوّب ابن بطة رحمه الله لهذا المعنى في كتابه «الإبانة»، فقال: «باب الإيمان بأن الشيطان مخلوق مُسَلَّط على بني آدم يجري منهم مجرى الدم إلا من عصمه الله منه، ومن أنكر ذلك فهو من الفرق الهالكة». (الإبانة الكبرى، لابن بطة (61/4).)

ونعلم أن ابن آدم يتوارد عليه وارِدٌ من الملك، ووارِدٌ من الشيطان، وبَيَّن لنا نبينا صلى الله عليه وسلم كيف نتقي وارد الشيطان، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَاِبْعَادُ بِالْشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فَاِبْعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَ فَلْيَتَوَكَّلْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ} الْآيَةَ [البقرة: 268]». (أخرجه الترمذي (2988)، وابن المبارك في الزهد (1435)، وأحمد في الزهد (854)، وأبو داود في الزهد (164).)

ونؤمن أن الله يحفظ عباده المؤمنين من كيد الشياطين ما داموا يستغفرون، ففي «المسند»: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتْكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي». (أخرجه أحمد (11237)، وعبد بن حميد (932)، وأبو يعلى

(1273، 1399)، والطبراني في الأوسط (8788)، وفي الدعاء (1779).

ونعلم أن الشيطان يتمثل بصورة الأدمي أو بما يأذن الله له فيه من الصور، ففي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُه، فَقُلْتُ: لَا زَفَعَتَكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَذَكَرَ الْحَدِيثَ- فَقَالَ: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَافْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَفْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ». (أخرجه البخاري (3275، 5010)، معلقاً عن شيخه عثمان بن الهيثم في الموضوعين.)

وقد كان أهل الجاهلية -لفرط جهلهم- يعوذون بسادات الجن، فلا يزيدهم ذلك إلا خوفاً ورهقاً، قال الله تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6].

ونؤمن أن عبَاد الأوثان إنما يعبدون الجن، قال تعالى مخبراً عن حقيقة معبوداتهم: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِبْرَائِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: 40، 41].

ونعلم أن الشيطان يغري الإنسان بالكفر، ثم يتخلى عنه في الدنيا، كما قال تعالى مخبراً عنه: ﴿كَمَثَلُ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: 16]، وكما يغريه بالكفر يغريه بالسحر، ويعلمه إياه،

قال الحق مخبرًا عن ذلك: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: 102].

ونعلم أن الشيطان يتخلى عن أوليائه في الآخرة، ويلومهم على اتباعهم له، قال الحق مخبرًا عن الشيطان أنه يقوم خطيبًا فيهم في نار جهنم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22].

باب خلق الإنسان

ونؤمن أن الله أخبر ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة
لعمارتها بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي
الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]،
وبَيَّنَّ الحق أنه خلق آدم من تراب، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى
عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقال صلى
الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قُبْضَةٍ قَبْضَتِهَا مِنْ
جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ. جَاءَ مِنْهُمْ
الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيَّنَّ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ،
وَالسَّهْلُ وَالْحَرُّ، وَبَيَّنَّ ذَلِكَ». (أخرجه أبو داود (4693)،
والترمذي (2955)، وعبدالرزاق في التفسير (41)، وأحمد
(19582)، والبخاري (3025، 3026).) وهذا التراب جعله
الله طيناً، ثم خلقه أطواراً، قال الحق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ *
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ *
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: 26-30]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12]. وقال المولى عز
شأنه: ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾
[الصفات: 11].

وقال الإمام أحمد رحمه الله - بعد أن ساق الآيات التي ورد
فيها ذكر خلق آدم عليه السلام: «نقول: هذا بدء خلق آدم، خلقه
الله أول بدنه من تراب، ثم من طينة: حمراء، وسوداء،

وبيضاء، ومن طينة طيبة وسبخة، فذلك ذريته طيبٌ، وخبِيثٌ، أسود وأحمر وأبيض، ثم بلَّ ذلك التراب فصار طيناً، فذلك قوله: {مِّن طِّينٍ} فلما لصق الطين بعضه ببعض، فصار طيناً لازباً - يعني لاصفاً - ثم قال: {مِّن سُلَالَةٍ مِّن طِّينٍ}، يقول: مثلُ الطين، إذا عُصر انسلَّ من بين الأصابع، ثم نتن فصار حمأً مسنوناً، فخلق من الحمأ، فلما جفَّ صار صلصالاً كالفخار، يقول: صار له صلصلة كصلصلة الفخار، يقول: له دويٌّ كدويِّ الفخار. فهذا بيان خلق آدم. وأما قوله: {مِّن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ} [السجدة: 8]، فهذا بدء خلق ذريته، من {سُلَالَةٍ} يعني النطفة إذا انسلَّت من الرَّجُل، فذلك قوله: {مِّن مَّاءٍ}، يعني النطفة، {مَّهِينٍ} يعني: ضعيف». (الرد على الجهمية والزنادقة (ص: 179-180) ط/ دغش العجمي.)

ونؤمن أن الله خلق آدم بيده الشريفة، وأسجد له ملائكته، قال تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} [الحجر: 29، 30]، وقال صلى الله عليه وسلم: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسَجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ». (أخرجه البخاري (4476)، ومسلم (193)، وابن ماجه (4312).)

ونؤمن بأن الله خلق آدم عليه السلام على صورته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا»، (أخرجه البخاري (6227)، ومسلم (2841).) وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوُجْهَ؛ فَإِنَّ

الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»، (أخرجه البخاري (2559)، ومسلم (2612) واللفظ له.) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ، وَلَا يَقُلْ: قَبِّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ». (أخرجه عبدالرزاق (17952)، والحميدي (1153)، وأحمد (7420)، والبخاري في الأدب المفرد (173)، وابن أبي عاصم في السنة (531).)

ونؤمن أن الله خلق لآدم من نفسه زوجاً ليسكن إليها، وهي حواء، قال الحق جل في علاه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف: 189]. وقال تعالى: {يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: 1].

ونؤمن أن الله خلق آدم وحواء، وأسكنهما الجنة، قال تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا} [البقرة: 35]، ونهاهما عن الأكل من الشجرة فوسوس لهما الشيطان -حسدًا لهما- فأكلا منها، فأخرجهما الله من الجنة، وأهبطهما إلى الأرض، قال الحق مخبرًا عن ذلك: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} * فوسوس لهما الشيطان ليؤدي لهما ما وري عنهما من سوءتهما وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدللهما بغرورٍ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءتئهما وطفقا يَخِصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ

لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ * قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْعَةٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} [الأعراف: 19-25].

ونؤمن أن الله جعل آدم خليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

وقد ابتلاه فنسي ثم عصى، ثم اجتباه ربه وهداه، قال الحق: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: 115]، ثم تلقى آدم من ربه كلمات، فكانت سبباً لمغفرة الله له وتوبته عليه، قال المولى عز شأنه: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 37، 38].

ونؤمن أن كل ذلك قد كتبه الله على آدم قبل أن يخلقه بأربعين سنة، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُوْنَا خَيِّبَتْنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِبَيْدِهِ، أَتُلَوِّمُنِي عَلَىٰ أَمْرِ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» ثلاثاً. (أخرجه البخاري (6614)، ومسلم (2652)، وأبو داود (4701)، والترمذي (2134)، وابن ماجه (80)).

ونؤمن أن بدء خلق ذرية آدم هو كما أخبر الله عنه بقوله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) [الحج: 5]، وقال الحق جل شأنه: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون: 12-14]. وعن عبد الله رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ». (أخرجه البخاري (3208)، ومسلم (2643)، وأبو داود (4708)، والترمذي (2137)، وابن ماجه (76)).

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم كيف ينزع الولد تارة إلى أبيه، وتارة إلى أمه، حينما سأله عبدالله بن سلام فقال: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ أَنْفًا»، قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْسُرُ هُمُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيزَادَةُ كَبِدِ الْحَوْتِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ

نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمِرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتْ الْوَلَدَ». قَالَ:
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. (أخرجه البخاري
(3938).)

ونؤمن أن الناس كلهم من ذرية آدم، وادم من تراب، فلا
فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، قال الحق جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]، وعن
أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ
مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ، وَفَاجِرٍ شَقِيٍّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ...». (أخرجه
أبو داود (5116)، والترمذي (3956)، والمعافى بن عمران
في الزهد (147)، وابن وهب في الجامع (30)، وأحمد
(8736).)

ونؤمن أن الله خلق آدم من تراب، وخلق له من نفسه زوجًا
هي حواء عليهما السلام، وخلق بقية البشر من ماء مهين، إلا
عيسى عليه السلام فقد خلقه الله من أم بلا أب، كما أخبر الله
عنه بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ
أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ
الْمُقَرَّبِينَ * وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتِ رَبِّ
أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا
قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 45-47].

ونؤمن بأن عيسى عليه السلام - وإن كان خلقه عجيبًا -
فهو عبد الله ورسوله، قال الحق جل شأنه: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا
عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الزخرف: 59]، فهو بشر من

البشر، يأكل الطعام، وليس بإله، قال الله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 75].

ونجد في كتاب ربنا أن الله رد على من زعم أن المسيح إله بأدلة كثيرة، ومن هذه الأدلة: قول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 17].

ونؤمن أن الله خلق الناس على الفطرة، قال تعالى: ﴿فَاقْمْ وُجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30]. قال ابن زيد، ومجاهد، وعكرمة: الفطرة: الإسلام. (تفسير الطبري 98/20).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد في قوله: {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}: «أي: لدين الله». وبُوب البخاري في «صحيحه»، فقال: «باب {لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} لدين الله، {خُلِقَ الْأَوَّلِينَ}: دين الأولين، والفطرة: الإسلام».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوْلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ، هَلْ تَرَى

فِيهَا جَذَعَاءٌ؟». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فَطَرَتْ اللَّهُ
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾
[الروم: 30]». (أخرجه البخاري (4775)، ومسلم
(2658)، وأبو داود (4714)، والترمذي (2138).)

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي
أَمَرَنِي أَنْ أَعْلِمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ
نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنَفَاءَ كُلُّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ
الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخَلَّتْ لَهُمْ،
وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا...». (أخرجه مسلم
(2865).)

ونؤمن أن الله خصم منكري البعث بأن ذكّرهم ببداية خلقهم
من تراب، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي
الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ﴾ [يس: 78، 79].

كما ذكّرهم بأنه خلقهم من ماء مهين، فكيف يستكبرون على
رهبهم، ويستبعدون نشرهم وحشرهم؟! قال الحق جل جلاله:
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ
لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا
فِي الْأَرْضِ أَهْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفُورُونَ * ﴿٧٩﴾ قُلْ
يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:
7-11].

ونؤمن أن خلقَ الله تعالى للعباد دليل على أنه وحده المستحق للعبادة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21].

كما أخبرنا الله في القرآن الكريم أن نوحًا ذكّر قومه بأن الله خلقهم أطوارًا، فكيف لا يرجون له وقارًا؟! قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 13، 14].

وللإنسان أحوال في البرزخ وفي الدار الآخرة سيأتي تفصيلها -إن شاء الله- في كتاب الإيمان باليوم الآخر.

باب خلق الروح

ونعلم أن الروح من أمر الله، وأن البشر لا يعلمون من شأنها إلا ما أطلعهم الله عليه، قال الحق جل شأنه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85]، وعن عبدالله رضي الله عنه قال: «بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَزْثٍ، وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ، قَالَ: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}». (أخرجه البخاري (4721)، ومسلم (2794)، والترمذي (3141).)

ونؤمن أن الأرواح مخلوقة، قال الحق جل شأنه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62]. ولما أتم الله خلق آدم عليه السلام نفخ فيه من روحه، قال المولى عز شأنه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29]. وإذا تم الجنين في بطن أمه أربعة أشهر أرسل الله إليه الملك، فنفخ فيه الروح، فعن عبدالله رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيَوْمِرُ بِأَرْبَعٍ بِرُزْقِهِ وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ»، (أخرجه البخاري (3208)، ومسلم (2643)، وأبو داود (4708)، والترمذي

(2137)، وابن ماجه (76).) إلا المسيح عليه السلام فكان بدء حمله من نفخة الملك، قال الحق - وقوله الحق: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَفَنَحْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَلْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: 171].

ونؤمن أن الأرواح تقبض أثناء النوم، ثم تعاد إلى الجسد، قال الحق جل شأنه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: 42].

وعن عبدالله ابن أبي قتادة عن أبيه رضي الله عنه قال: سِرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَوْ عَرَّسَتْ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ»، قَالَ بِلَالٌ: أَنَا أَوْقِظُكُمْ، فَاضْطَجَعُوا، وَأَسْنَدَ بِلَالٌ ظَهْرَهُ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَعَلَبَنُوهُ عَيْنَاهُ فَنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَالَ: «يَا بِلَالُ، أَيْنَ مَا قُلْتَ؟» قَالَ: مَا أَلْقَيْتُ عَلَى نَوْمَةٍ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ سَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ سَاءَ». (أخرجه البخاري (595)، وأبو داود (439، 440)، والنسائي (846).)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَأَحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ». (أخرجه

البخاري (6320)، ومسلم (2714)، وأبو داود (5050)،
والترمذي (3401)، وابن ماجه (3874).

ونؤمن أن الروح تفارق البدن عند الموت، قال الحق: ﴿كُلُّ
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: 57]. فهي تفارق
البدن مفارقة تامة بالموت، ويتبعها البصر، فعن أم سلمة قالت:
دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ
بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ...»،
(أخرجه مسلم (920)، وأبو داود (3118)، وابن ماجه
(1454)). فهي لا تموت كموت البدن، وإنما موتها مفارقة
البدن.

ونؤمن أن الملائكة تستخرج الأرواح من الأبدان عند
الموت، ويقع عليها النعيم أو العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى
إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى
اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93].

فالملك يستخرج النفس، ثم يقع عليها العذاب أو النعيم، كما
يقع على الجسد، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:
خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ
الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّا عَلَى رُؤُوسِ الطَّيْرِ، وَفِي
يَدِهِ عِودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ
عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ
فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ
السَّمَاءِ بَيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّا وَجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفٌّ مِنْ

أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ
الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ
رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ
وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي
السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى
يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ
مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِسْكٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»، قَالَ:
«فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ - يَعْنِي: بِهَا - عَلَى مَلَأٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ
فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى
يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، فَيَسَّيْعُهُ
مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهَى بِهِ إِلَى
السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي
عِلِّيَّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَتِي مِنْهَا خَلْقَتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ،
وَمِنْهَا أَخْرَجَهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ...».

(أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (3212)، وَالنَّسَائِيُّ (2001)، وَابْنُ مَاجَةَ
(1548) وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ (789)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ
(6324، 6737)، وَأَحْمَدُ (18534) وَاللَّفْظُ لَهُ.) فَذَكَرَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الرُّوحَ تَخْرُجُ، وَتَسِيلُ،
وَتُقَبَضُ، وَتُكْفَنُ، وَيُعْرَجُ بِهَا، وَتُعَادُ، وَهَذَا كُلُّهُ شَأْنُ الْمَخْلُوقِ.
وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْأَرْوَاحَ بَعْدَ مَفَارِقَةِ الْبَدَنِ، تَسْتَقِرُّ فِي نَعِيمٍ أَوْ
عَذَابٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ
فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(أخرجه النسائي (2073)، والترمذي (1641)، وابن ماجه (4271)، وعبدالرزاق في التفسير (484، 2681)، والحميدي (897)، وأحمد (15776، 15777).)

وعن مسروق قال: سألنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ)** [آل عمران: 169]. قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: **«أَرَوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ...»**. (أخرجه مسلم (1887)، والترمذي (3011)، وابن ماجه (2801).)

كتاب الدين

ملخص الكتاب

ونؤمن أن الله رضي الإسلام دينًا، وهو دين كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو الميثاق الذي أخذته الله على آدم وذريته.

ونؤمن أن هذا الإسلام هو وصية إبراهيم عليه السلام لبنيه، وهو وصية يعقوب عليه السلام لبنيه أيضًا، وهو أحسن الأديان وأكملها وأتمها، وأن الله لا يقبل دينًا سواه.

ونؤمن أن هذا الدين هو الدين الذي نزل به جبريل الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم، وله مراتب هي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، ولكلٍّ منها أركان.

وأن هذا الدين جامع لكل خير، شامل لأعمال القلوب والجوارح.

ونعلم أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأن أهله يتفاضلون في أعمالهم. ونؤمن أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ونشهد أن أهل الإيمان هم أهل الفوز في الدنيا والآخرة، وأن أهل هذا الدين الحق، مألهم الجنة على اختلاف درجاتهم ومراتبهم.

ونعلم أنه قد تواردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على الأمر بلزوم السنة والتمسك بها، والتحذير من مخالفة ذلك كما نهت عن التفرق والاختلاف.

باب إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ

ونؤمن أن الله رضي الإسلام ديناً، قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]. وقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، قال تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه قال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 72]، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ونؤمن أن الله تعالى قد أكمل لنا الدين، فليس فيه نقص بوجه من الوجوه، قال سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وهو أحسن الأديان وأكملها، وأتمها، وهذا الدين هو الحنيفية، ملة إبراهيم عليه السلام، قال الحق جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: 130]. وقال الحق جل شأنه وتقدس أسماءه في إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67].

وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

وقال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَذْعَاءَ»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «فِطَرَتُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيِّمُ» [الروم: 30]. (أخرجه البخاري (1385)، ومسلم (2658)، وأبو داود (4714)، والترمذي (2138).) وهو الميثاق الذي أخذه الله على آدم وذريته، قال الحق جل شأنه: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف: 172].

ونؤمن أن الله لا يقبل ديناً سواه قال المولى سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: 85].

باب الإسلام

ونؤمن أن هذا الدين هو الدين الذي نزل به جبريل الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم، وأن له مراتب هي: الإسلام والإيمان والإحسان، ولكل منها أركان، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجَبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُقَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عَمْرُ، أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». (أخرجه مسلم (8)، وأبو داود (4695)، والترمذي (2610)، والنسائي (4990)، وابن ماجه (63).)

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أركان الإسلام في أحاديث أخرى، فقال: «بُني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان». (أخرجه البخاري (8)، ومسلم (16)، والترمذي (2609)، والنسائي (5001).) وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته، ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس صلوات في اليوم والليلة». فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وصيام رمضان». قال: هل عليّ غيره؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، قال: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». قال: فأدبر الرجل، وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفلح إن صدق». (أخرجه البخاري (46)، ومسلم (11)، وأبو داود (391)، والنسائي (458).)

وقال الحق جل شانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5]. وقال عز من قائل: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 5]، وقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: 11]. وقال صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّداً رَسُولُ

اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا
مَنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».
(أخرجه البخاري (25)، ومسلم (22)).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».
(أخرجه البخاري (11)، ومسلم (42)، والترمذي (2504)،
والنسائي (499)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسَنَ إِسْلَامُهُ،
يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ:
الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا
أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا». (أخرجه البخاري - معلقًا - (41)،
والنسائي (499)).

باب الإيمان

ونؤمن أن المرتبة الثانية من مراتب الدين هي: الإيمان، وهو كما جاء في جواب النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام حينما سأله عن الإيمان قال: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، ... قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَنْتَدِرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». (أخرجه مسلم (8)، وأبو داود (4695)، والترمذي (2610)، والنسائي (4990)، وابن ماجه (63).)

والإيمان وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد فسرهُ في حديث جبريل عليه السلام السابق بمعنى خاص وهو قوله: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»؛ إلا أنه يأتي أيضاً بمعنى أعم فهو جامع لكل خير، شامل لأعمال القلوب والجوارح، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: 2-4].

وفسرهُ النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبدالقيس بالشعائر الظاهرة، ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ الْقَوْمُ؟ - أَوْ مِنَ الْوَفْدِ؟ -» قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ، أَوْ بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا

نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارٍ مُضَرٍّ، فَمُرْنَا بِأَمْرِ فَصْلٍ، نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الْأَشْرَبَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ». وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: «عَنِ الْحَنْتَمِ، (الحنتم: جرار مدهونة كانت تحمل فيها الخمر. النهاية في غريب الحديث (1/448).) وَالدُّبَاءِ، (الدُّبَاءُ: القرع، وكانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب. النهاية في غريب الحديث (1/96).) وَالنَّقِيرِ، (النَّقِير: أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء؛ ليصير نبيذًا مُسَكَّرًا. النهاية في غريب الحديث (5/104)) وَالمَزَقَةِ، وَرُبَّمَا قَالَ: الْمُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُمْ»، وَأَخْبَرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَهُمْ». (أخرجه البخاري (53)، ومسلم (17)، وأبو داود (3692)، والترمذي (2611)، والنسائي (5031).)

وبوّب البخاري رحمه الله في «صحيحه» بابًا لهذا، فقال: «باب أمور الإيمان، وقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]».

ونؤمن أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، قال صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». (أخرجه البخاري (9)، ومسلم (35) واللفظ له، وأبو داود (4676)، والترمذي (2614)، والنسائي (5005)، وابن ماجه (57).)

ونؤمن أن أهل الإيمان يتفاضلون في أعمالهم، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ. فَيَخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، أَوْ الْحَيَاةِ -شَكَ مَالِكٌ- فَيَنْبُثُونَ كَمَا تَنْبُثُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً؟!». (أخرجه البخاري (22)، ومسلم (184).)

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ النَّدْيِ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعَرَضَ عَلَيَّ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ». قالوا: فَمَا أَوْلَتْ ذَلِكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ». (أخرجه البخاري (23)، ومسلم (2390)، والترمذي (2285) وفيه عن بعض أصحاب النبي، والنسائي (5011).)

ونؤمن أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال تعالى: ﴿تَحْنُ نَفْسٌ عَلَيْكَ نَبَأُهُم بِالْحَقِّ إِنْهُمْ فَتِيَةٌ

ءَامَنُوا بِرَبِّهَمْ وَزَدْنَهُمْ هُدًى) [الكهف: 13]، وقال: {وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} [المدرثر: 31].

وقال صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ». (أخرجه البخاري (44)، ومسلم (193)، والترمذي (2593).)

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن عدي: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشَ فَسَابِقِيئُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أُمِتَ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ». (أخرجه البخاري -معلقًا- (1/ 10)، وابن أبي شيبة في المصنف (31084) وفي الإيمان (135)، والخلال في السنة (1162، 1553)، وابن بطة في الإبانة (1166)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (1572).)

وكان معمر، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن جريج، وسفيان بن عيينة يقولون: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص». (الإبانة الكبرى (806/2)، والشریعة، للأجري (606/2).)

وقال الحافظ أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي: «.. وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا ينفع قول إلا بعمل، ولا

عمل وقول إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بسنة». (أصول السنة للحميدي (ص: 37)).

وقال الخلال: «أخبرني عبد الملك الميموني قال: قال لي يعلى بن عبيد منذ أكثر من ستين سنة: الإيمان قول وعمل، وإن الذي يصوم ويصلي ويفعل الصالحات أكثر إيماناً من الذي يسرق ويزني». (السنة، لأبي بكر بن الخلال (590/3)).

وقال ابن أبي حاتم: «سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازاً، وعراقاً، وشاماً، ويمناً- فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (1/ 198)، وعقيدة السلف - مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة (ص: 29)).

وقال اللالكائي: «الإيمان قول وعمل، وبه قال من الفقهاء: مالك بن أنس، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، والليث بن سعد، والأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وابن جريج، وسفيان بن عيينة، وفضيل بن عياض، ونافع بن عمر الجمحي، ومحمد بن مسلم الطائفي، ومحمد بن عبدالله ابن عمرو بن عثمان بن عفان، والمثنى بن الصباح، والشافعي، وعبدالله ابن الزبير الحميدي، وأبو إبراهيم المزني، وسفيان الثوري، وشريك، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وحمام بن سلمة، وحمام بن زيد، ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالله بن المبارك، وأبو إسحاق الفزاري، والنضر بن محمد المروزي، والنضر بن شميل، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، وأبو عبيد».

(شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي
(4/ 913).)

وقال أبو عبدالله بن أبي زمنين في كتابه «أصول السنة»: «باب في أن الإيمان قول وعمل: ومن قول أهل السنة: إن الإيمان إخلاص لله بالقلوب، وشهادة بالأسنة، وعمل بالجوارح، على نية حسنة، وإصابة السنة». (أصول السنة (ص: 207).)

باب الإحسان

ونؤمن أن المرتبة الثالثة من مراتب الدين هي: الإحسان، وهو كما جاء في جواب النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل حينما سألته عن الإحسان، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَانَّهُ يَرَكَ...». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». (أخرجه مسلم (8)، وأبو داود (4695)، والترمذي (2610)، والنسائي (4990)، وابن ماجه (63).)

وأخبر الحق جل شأنه أن أهل هذا الدين الحق، مآلهم الجنة على اختلاف درجاتهم ومراتبهم -سواء منهم من كان من أهل الإسلام، ومن كان من أهل الإيمان، ومن كان من أهل الإحسان- فقال المولى عز شأنه وتعالى سلطانه: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 31-34].

باب الأمر بلزوم السنة والتمسك بها

وقد تواردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على الأمر بلزوم السنة والتمسك بها، والتحذير من مخالفة ذلك والنهي عن التفرق والاختلاف، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[الأحزاب: 21]. وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَرَّعُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام: 159]، وقال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: 13].
وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». (أخرجه مسلم في (867)، والنسائي (1578)، وأبو داود (2954)، وابن ماجه (45)).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». (أخرجه البخاري (7280)).

وَعَنْ الْعُرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مِنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّبِينَ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ». (أخرجه أبو داود (4607)، والترمذي (2676)، وابن ماجه (42)، وأحمد (17416)، والدارمي (96)، والحديث صححه الترمذي).

وقال البخاري في «صحيحه» في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الله سبحانه وتعالى: {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: 74]، قال: أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا، وقال ابن عون: «ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني: هذه السُّنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا عنه، ويدعوا الناس إلا من خير». (صحيح البخاري (8/139)).

كتاب الإيمان بالله

ملخص الكتاب

ونؤمن بأن الله هو الأول، فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وعرفنا بنفسه أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه هو المالك الحق للسموات والأرض، وأنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل سبحانه وتعالى، وأن هذا الكون المشهود شاهد على أنه هو الموجد الخالق له وحده ولا خالق معه.

وذكر من آياته الدالة على أنه هو الموجد الخالق لهذا الكون دلائل كثيرة لا يحاط بها، وأقام الحجة علينا بما نراه في أنفسنا وبما نراه من حولنا.

ونؤمن بما آمنت به الأنبياء والمرسلون، ونستيقن بما أتوا به من الأدلة والبراهين الدالة عليه سبحانه وتعالى. ونؤمن أن الله هو الخالق، ولم يخلق خلقه عبثاً؛ بل كان خلقاً محكماً لغاية عظيمة.

إلى غير ذلك مما ورد كثيراً في القرآن الكريم -كما في «سورة الأنعام» و«النحل» وغيرهما- من الدلائل التي لا تحصى، والشواهد التي لا تحصر، وكلها دالة على وجوده وربوبيته، وهي دلائل عقلية، وبراهين عظيمة، لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها أو قريب منها، وهي تتنوعها مناسبة لجميع الخلق، كافية في إقامة الحجة عليهم، ولو جحد الكافرون، وكره المبطلون، وهل عند الكافر دليل إلا الإنكار والجحود؟!!

ونؤمن بأن الله واحد في ربوبيته، وبأنه هو الخالق وحده، وهو الذي بدأ الخلق ولم يشاركه فيه أحد، وأن الله يخلق بأمره

سبحانه وتعالى، ويخلق سبحانه وتعالى بما يشاء من الأسباب، وأن كل ما سواه مخلوق.

ونؤمن بأن الله رب كل شيء وخالقه ومدبره، ومالكه، وهو المتصرف فيه، ولا يملك أي مخلوق تدبير أمر نفسه، أو تدبير أمر غيره إلا ما أقدره الله عليه.

ونؤمن بأنه هو المالك الحق، وما سواه مملوك، وكل مَلِكٍ فملكه باطل أو مؤقت زائل.

ونؤمن أن الله هو المحيي المميت وحده سبحانه، وأنه هو الذي خلق الموت والحياة، وأنه هو الذي يتوفى الأنفس.

ونؤمن أنه هو الرزاق ذو القوة المتين، فلا رازق غيره، ولا كافي سواه. ونؤمن بأنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يعزب عن علمه صغير أو كبير، وأنه سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة.

ونؤمن بأنه تعالى قد قهر كل شيء عزة وحكمًا.

ونؤمن بأن الرب جل شأنه له الخلق والأمر، فلا رب سواه، ولا مشرّع غيره، فهو الذي خلق الخلق، وشرع الشرائع، وفرض الفرائض، وبَيَّن الدين، وهو المالك لهم، وهو القادر وحده على حسابهم وجزائهم.

ونؤمن بأن الرب جل شأنه خالق العباد، وخالق أفعالهم. ونؤمن أن الإيمان بربوبية الله فقط لا يكفي الإنسان لأن يكون مؤمناً، وهذا الإيمان لا يدخل صاحبه الجنة؛ لأنه لم يؤمن أن الله هو المعبود الحق، وألا يعبد إلا الله وحده.

ونؤمن بأن الله واحد في ألوهيته، وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه هو الحق، وأن ما يدعون من دونه الباطل. وهذا

الأمر العظيم هو الذي من أجله أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل، وخلق الجنة والنار، وأجمعت عليه جماهير علماء الأمة، ودلت عليه الفطرة، وشهدت له العقول السليمة. ونعلم علم اليقين أن أساس دعوة الأنبياء لأقوامهم هي: دعوتهم لعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه.

والعبادة الحقّة هي ما كانت لله رب العالمين، موافقة لهدي سيد المرسلين؛ لأن عبادة كل معبود سواه باطلة.

وهذا الركن الركين والأساس المتين من دين الله - وهو إثبات الألوهية لله وحده ونفي العبادة عما سواه - هو قطب رَحَا الدين، وعماد دعوة المرسلين، ومعناها: أفراد الخالق بأعمال الخلق.

وفي القرآن كثيرًا ما يحتجُّ الله على العباد بآيات ربوبيته التي تستلزم عبادته وحده، سبحانه وتعالى.

ونؤمن بأن الخالق لهذه الآيات الكونية الكبرى هو وحده سبحانه، وكما أنه ليس معه خالق فلا ينبغي أن يُعبد غيره. وقد نَوَّع الله في الأدلة التي نصبها شواهدًا على ألوهيته تنويعًا تقوم به الحجة، وتتضح به المحجة؛ لئلا يكون للناس على الله حجة.

والإقرار لله بالألوهية، مع الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة هو الذي جعله الله حدًّا بين إيمان الإنسان بالله والكفر.

ولا بد مع الإيمان بالله من الكفر بالطاغوت، والبراءة من الشرك وأهله.

وهذا الإيمان لا يكفي أن يكون في القلب، بل لا بد أن ينطق به اللسان، ولا يتحقق الإيمان حتى تعمل به الجوارح، ويتفاوت الإيمان في القلب زيادة ونقصاً.

وهذا الإيمان لا بد أن يكون العبد فيه مخلصاً لله رب العالمين، وأن يكون مستيقناً غير شاكٍّ، وأن يكون إيمانه عن علم وإخلاص وقبول، واستسلام وانقياد وصدق في قوله وفعله واعتقاده، مع الحب لهذا الدين، ومن شرعه، ومن جاء به، ومن دان به.

وكما بين الله حقيقة الإيمان ومقتضاه وأركانه وشرائطه، فقد نقض شبه المشركين المعاندين، وبين أن ليس لهم حجة في شركهم؛ لأن هؤلاء الأنداد مخلوقون مُدَبَّرُونَ لا يخلقون شيئاً، ولا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

وبين الحق أن هؤلاء الأنداد المعبودين من دون الله لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو سمعوا ما استجابوا لهم، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويتبرؤون منهم.

كما بين الحق أن هؤلاء الأنداد المعبودين من دون الله لا ينفعون ولا يضرّون، فكيف يُعبدون من دون الله؟!

وأبطل الله عبادة الملائكة، وبين أنهم -مع أنهم مقربون لله- لا يشفعون إلا من بعد إذنه، فإذا كانت هذه حال الملائكة، فكيف يُعبدون من دون الله؟!

والأنبياء والمرسلون عليهم السلام -مع علو مقامهم في الدنيا والآخرة- لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، فكيف بمن دونهم؟! ونؤمن بأن الله واحد في صفاته ونعوت كماله وجلاله سبحانه وتعالى، وأن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى

والصفات العلى، تشهد له بذلك العقول الكاملة، وتسلم له بذلك الفطر السليمة، وأجمع على ذلك علماء أمة الإسلام، بل كل الرسالات الإلهية جاءت ببيان صفات الله وأسمائه وأفعاله سبحانه وتعالى، وعاب الله آلهة المشركين بأنها لا تسمع ولا تبصر.

ونؤمن أنه كما وصف نفسه، وكما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فنثبت لله ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تعطيل ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تحريف.

ونعلم علم اليقين أن ربنا متصف بصفاته قبل أن يخلق الخلق، وأنه على غاية الكمال والجلال والجمال منذ الأزل إلى الأبد؛ إذ هو الأول والآخر، فهو أول ليس قبله شيء، وآخر ليس بعده شيء، فهو الأول بأسمائه وصفاته كملاً ومجداً، وهو الآخر بأسمائه وصفاته كملاً ومجداً.

ونؤمن أن من صفات الله صفات ملازمة لذاته، كالحياة، والعلم، والسمع، والبصر، واليد، والأصابع، وأن من صفاته صفات متعلقة بمشيئته، كالغضب، والرضى، والنزول. ونؤمن أنه الفعال لما يريد، فهو يفعل متى شاء ما يشاء كيفما يشاء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب على قضائه وحكمه.

ونؤمن أن صفات الله منها ما ورد مطلقاً، فنصف الله به على إطلاقه، كالسمع، والحياة، والبصر، وغيرها، ومنها ما ورد

مقيّدًا، فيبقى على تقييده، كوصفه سبحانه بأنه يمكن بأعدائه إذا
مكروا، وينسى أعداءه إذا نسوه.

ومن صفاته سبحانه وتعالى: العلم، والسمع، والبصر،
والحياة، والقيومية، والكلام، وهو موصوف بالكلام قبل أن
يخلق الخلق ويكلمهم، وكلام ربنا متعلق بمشيئته، فمتى شاء
تكلم. وقد ورد الخبر عن صفة الكلام لله في القرآن على أوجه
متعددة، فورد أنه يكلم عباده، ويناجي وينادي من شاء منهم،
ويكلم الخلائق يوم القيامة، وتسمع الخلائق يوم القيامة كلام الله.
ونؤمن أن الله سبحانه وتعالى قد احتجب عن خلقه بحجاب
من نور، فلا يرونه في الدنيا، وإن كان بعض أنبيائه سمعوا
كلامه لما كلمهم من وراء حجاب، كما كلم موسى عليه السلام

وكلام ربنا يوصف بأن بعضه أحدث من بعض، وبعضه
أفضل من بعض.

ومن كلامه: القرآن، وكل الكتب الإلهية المنزلة على رسله،
كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والتوراة، والإنجيل،
والزبور - كلها كلام الله، وكلها تكلم الله بها، وسمعها جبريل
منه بلا واسطة، وجبريل تنزل بها على أنبياء الله ورسله عليهم
السلام. وتميزت التوراة بأن الله أنزلها مكتوبة في الألواح -
وكلام الله وكلماته غير مخلوقة، وكلام الله غير خلقه، ألا ترى
أنه فصل بين الخلق والأمر، ونفرق بين كلمات الله الكونية،
وكلماته الشرعية.

ومن صفاته سبحانه وتعالى: العزة، والقهر، والجبروت،
والملكوت، والكبرياء، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقدرة،

والرحمة، فهذه الرحمة صفة من صفاته، وهي مضافة إلى الله إضافة الصفة إلى الموصوف.

ومن صفاته: العلو، وهو علو القهر، وعلو القدر، وعلو الذات، فالثلاثة كلها صفته دالة على كماله، وقد دل القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة والعقل والفطرة على العلو بأوجه متعددة، بل الأدلة الدالة على أن الله في العلو أنواع كثيرة، وتحت كل نوع أفراد كثيرة لا تحصى.

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الاستواء على العرش وقد ذكره الله في سبعة مواضع من كتابه.

ومن صفاته سبحانه: المحبة. ومن صفاته: الرضى. ومن صفاته: كراهيته لأعدائه؛ ذلك لأنهم كرهوا رضوانه، وكرهوا ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن صفاته: الغضب على أعدائه والمقت؛ وهو مقته للكافرين.

ومن صفاته: مكره بأعدائه الذين يمكرون بأوليائه. ومنها: الأسف، وهو أشد الغضب. ومن صفاته: مخادعة من يخادعه، فالله يخادع المنافقين الذين يخادعون. ومن صفاته جل وعلا، أنه يستهزئ بمن يهزأ به، سبحانه وتعالى. ومن صفاته: الضحك، والعجب، والمجيء والإتيان يوم القيامة لفصل القضاء بين الناس.

ونؤمن بصفة النزول، وأن ربنا ينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقاً يليق بجلاله وعظمته، وهو ليس كنزول المخلوقين، بل هو كسائر صفاته التي نؤمن بها، ونعلمها، ولا

نتمحل في تكييفها، أو نتكلف في ردها؛ بل نؤمن بها كما أخبرنا بها رسولنا الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن بصفة المعية لله رب العالمين، وأن الله مع خلقه. وهذه المعية نوعان: معية خاصة، وهذه تكون لأولياء الله ورسله عليهم السلام، ومقتضاها النصر والتأييد، ومعية عامة مع الخلق كلهم، مؤمنهم وكافرهم، ومقتضاها: العلم، والإحاطة، والقدرة، والسلطان.

وهذه المعية لا توجب حلولاً ولا اختلاطاً، ولا تنافي علو الله تعالى؛ لأن معناها بإجماع أهل العلم: العلم والإحاطة؛ أي: أن الله تعالى معنا بعلمه وإحاطته وقدرته.

ونثبت لله وجهاً يليق بجلاله وعظمته، ويدا تليق بجلاله وكماله، وقد ورد الخبر عنها في القرآن والسنة على أوجه متعددة، فقد ورد ذكر اليد مثناة، وأن الله يقبضها ويبسطها، وأن الرب يطوي بها السموات، والأرض في قبضته سبحانه وتعالى، وأن اليد موصوفة بأنها ذات أصابع. وكل ذلك يثبت أن اليد التي ورد وصفها في القرآن والسنة يد حقيقية تليق بجلاله، لا نتكلف في تأويلها، أو تشبيهها، أو تحريف الآيات والأحاديث الدالة عليها. ومن صفاته: صفة الأصابع.

ونؤمن برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهذا مما دل عليه الكتاب، وتواترت به الأخبار عن رسولنا صلى الله عليه وسلم فيما بشر به المؤمنين أنهم يرون ربهم عياناً يوم القيامة.

وكما وصف نفسه بصفات الكمال والجمال والجلال والعزة والكبرياء، فقد نفى عن نفسه صفات النقص، وليس النفي في الصفات هو الأصل في القرآن والسنة؛ لأن الأصل هو إثبات

الصفات، والقرآن والسنة مملوءان ببيان صفات الله عز وجل كما ينبغي لجلاله وعظمته وكماله، والرب سبحانه وتعالى إذا نفى عن نفسه صفة فإنما ينفيها؛ لبيان الكمال في ضدها، أو لأن البشر نسبوا النقص إلى ذي العزة والكمال، فينفي الرب النقص المنسوب إليه.

ونؤمن أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى، وأن أسماءه قد بلغت الغاية في الحسن، فلا أحسن منها، وكل اسم يشتق لله منه صفة، وأسماءه لا حصر لها. وحذرنا ربنا من الإلحاد في أسمائه، أو إنكارها، أو جحود معانيها، أو تعطيلها.

وما ورد في القرآن والسنة من أسماء الله وصفاته أعظم من أن يحيط به كتاب، ونحن نؤمن بهذه الأسماء والصفات على مراد ربنا، وعلى مراد رسولنا صلى الله عليه وسلم، ونعلم أن حقائقها لا يعلم بها البشر، ولا يحيطون بها، ولا تبلغها أفهامهم، ولا نتكلف في تأويلها.

باب الإيمان بوجود الله

ونؤمن بأن الله هو الأول فليس قبله شيء، قال الله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: 3]، وقال صلى الله عليه وسلم: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، (أخرجه البخاري (7418)، والترمذي (3951)).
أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين، وفي رواية له -أيضاً: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». (أخرجه البخاري (3191)). وعرفنا بنفسه أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه مالك السموات والأرض، وأنه يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الحديد: 4-6].

وأكد الحق سبحانه وتعالى أن هذا الكون المشهود شاهدٌ على أنه هو الموجد الخالق له وحده، ولا خالق معه، قال الله: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [لقمان: 11]؟! ولهذا فقد ذكر من آياته الدالة على أنه هو الموجد الخالق لهذا الكون دلائل كثيرة، منها: أنه يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي. ومنها: أنه خلق البشر من تراب. ومنها: أنه خلق لنا من أنفسنا أزواجاً. ومنها: اختلاف الألسنة والألوان في المخلوقات. ومنها: منام العباد بالليل وابتغاؤهم الرزق في النهار. ومنها: أنه يجعل البرق سبباً للخوف والرجاء، وأنه

ينزل الماء من السماء. ومنها: أنه هو الذي بدأ الخلق، كما قال جل ثناؤه: (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوُنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَلَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرَةٍ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنُوتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 19-27].

ومن ذلك -أيضاً: أنه أقام الحجة على الخلق بأنه خلقهم من نفس واحدة، قال تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآتَى نُصْرَفُونَ} [الزمر: 6]، فذكر بدء الخلق، وأن الأنعام كلها مخلوقة له سبحانه، ثم أقام الحجة علينا بأنه خلقنا في الأرحام في ظلمات، وأنه لا يستطيع غيره خلق النطفة إنساناً.

فذكر في الآيات السابقة دليلاً من أعظم الأدلة على وجوده - وهو خلقه للسموات والأرض وما فيهن وما عليهن.

ومن ذلك -أيضاً: أنه أقام الحجة على الخلق بدليل عنايته بهم وبما يجدونه في أنفسهم وذرياتهم، وهو أنه أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، وتعهدهم حتى تكامل خلقهم وعلمهم،

قال جل من قائل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78].
وكما أوجد كل شيء وأعدّه، فقد هدى جميع خلقه لما فيه صلاحهم، قال تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى﴾ [طه: 49]، فكان الجواب الإلهي: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50].

ونؤمن أنه سبحانه وتعالى مدّ الأرض، وجعل الجبال فيها رواسي، وأنبت فيها من كل شيء موزون. فالتوازن المشهود فيها خير شاهد على أنه هو الموجد، كما أن إنزال المطر على هيئة مخصوصة لا يستطيع البشر أن ينزلوه، ولا أن يخزنوا ما نزل من السماء، فهذا شاهد على أن الموجد هو الله الواحد القهار، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرُزْقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاُنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 19-22].

ونؤمن بما آمنت به الأنبياء والمرسلون، ونستيقن بما أتوا به من الأدلة والبراهين الدالة عليه سبحانه، كما أخبر الحق أن إبراهيم عليه السلام استدل على النمرود بأن الله يأتي بالشمس من المشرق وغيره لا يستطيع أن يأتي بها من المغرب، قال جل ثناؤه: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: 258].

كما استدل على قومه بأن الله هو الذي هداه، وأطعمه وسقاه، وإذا مَرَضَ شفاه، وهو الذي يميتة ويحييه، فقال كما أخبر الله

عنه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: 78-81]، وقال مخبراً عن موسى عليه السلام أنه حاج فرعون قائلاً له: إن ربه هو: ﴿الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50]، وجاء في التنزيل أن الله سبحانه نفسه عن كل نقص، وعرفنا بنفسه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسْوَئِ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: 1-3].

واحتج سبحانه وتعالى على أنه هو الخالق الموجد لهذا الكون ولا خالق غيره - بأنه هو الذي أنبت الحقائق البهيجة، وأن البشر لا يستطيعون أن ينبتوا شجرها. كما احتج على ذلك بأنه جعل الأرض مستقرة، وجعل فيها أنهاراً وجبالاً راسيات، وجعل بين البحرين حاجزاً؛ لئلا يختلط هذا مع هذا. وأنه هو وحده الذي يجيب المضطر إذا دعاه - ولو كان غير مؤمن - وأنه هو الذي يهدي الناس في ظلمات البر والبحر، وأنه هو الذي يرسل الرياح مبشرات بين يدي الغيث، وأنه هو الذي يرزقنا، لا رازق غيره، ولا رب سواه، ولا خالق غيره، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا * أَعْلَمَ مَعَ اللَّهِ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خُلُفَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رُوسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا * أَعْلَمَ مَعَ اللَّهِ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ * أَعْلَمَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ * أَعْلَمَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرِزُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [النمل: 60- 64].

وقال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ
فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا رُوحِينَ اثْنَيْنِ يُغْشِي
الَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ
مُّتَجَوِّرَاتٍ وَجَعَلَتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرَاعٍ وَخَيْلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ
يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الرعد: ٣، 4]. فأتت الحق سبحانه وتعالى
أنه هو وحده مَدَّ الأرض، وخلق من كل الأشجار والثمرات
زوجين اثنين، وأنه هو وحده الذي يغشي الليل النهار. واحتج
على ذلك بأن القِطْع المتجاورة من الأرض تخرج ثمارًا
متشابهة وغير متشابهة، وهي تسقى بماء واحد، فسبحان الله
الذي لا رب غيره، ولا خالق سواه.

وبين أن الجبال -مع صلابتها- فيها من بديع الخلق ما يدل
على إبداع الخالق، فقال جل من قائل: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ
وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ} [فاطر: 27].

ومن ذلك ما بينه تعالى لنا من أنه هو الذي خلق هذه العوالم
كلها، وسخرها للإنسان، ومن ذلك تسيير الفلك في البحر، قال
الحق جل ثناؤه: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ
بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي
السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية: ١٢، ١٣].

ودلنا سبحانه وتعالى على وجوده بأن جعل لنا من هذه
الأنعام مراكب وملايس ومأكلاً ومشارباً، وأنه يمسك الطير
في جو السماء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ

مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارُهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِثْعًا إِلَى حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنُكًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} [النحل: ٧٩-٨١].

فكل هذه دلائل شاهدة على وجوده وربوبيته، فمن الذي أوجدها إلا هو، سبحانه؟! فلا موجد غيره، ولا رب سواه.

وأقام لنا شاهداً عظيماً يتكرر في كل يوم، يشهد على وجوده وربوبيته سبحانه وتعالى؛ وهو: أنه هو الذي فلق الإصباح، وفلق الحبِّ والنوى، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الأنعام: ٩٥، ٩٦].

وكما جعل الشمس والقمر آيتين، جعل الليل والنهار آيتين دالتين على وجوده وربوبيته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]. وبين الله تعالى أن جعله البحر عذباً أو أجاجاً، ويخرج منهما لحماً طرياً وحلياً - دليل على وجوده، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤]، وقال الحق جل شانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

وقد بيّن الله تعالى أن العقول السوية تدرك أنه لا يمكن أن يوجد هذا الكون بلا موجد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، وقال جل من قائل: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَبِ لَكُمْ لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧]. فهل رأيت أكبر من هذه الدلائل الدالة على وجوده وربوبيته، سبحانه وتعالى؟!

وأنكر الله على من نسب الخلق إلى غيره، وسألهم سؤال توبيخ وإنكار: هل خلَقُوا من عدم؟ أم هم الذين خلَقُوا أنفسهم، وخلقوا السموات والأرض؟ أم هل عندهم خزائن الله؟ أم هل هم المسيطرون؟ قال الله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]. وهذه الآية من أعظم الآيات الدالة على وجود الخالق؛ ولهذا ثبت أن جبير بن مطعم قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ قَالَ: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»، (أخرجه البخاري (4854)، ومسلم (463)، وأبو داود (811)، والنسائي (987)، وابن ماجه (832).) وكان سماع جبير رضي الله عنه لهذه الآية قبل أن يسلم، فتبين أنهم مخلوقون مربوبون مقهورون، فسبحان الله عما يصفون.

وقال الحق جل شأنه: ﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: 51]،

فإذا جهل الإنسان خلق السموات وجهل خلق نفسه، فكيف ينكر خالقه وموجده؟!

ونؤمن أن الله لم يخلق خلقه عبثاً؛ بل خلقاً محكماً لغاية عظيمة، قال الله جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لُعِينٍ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَاتَّخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا مُعْلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦، ١٧].

وردّ على النصارى زعمهم أن المسيح إله خالق، ورب مدبّر لهذا الكون، وبين أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه هو الذي يصور البشر في الأرحام. وممن خلقه الله وصوره في الرحم: المسيح عليه السلام، فقال المولى جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٥، ٦] إلى غير ذلك مما ورد كثيراً في القرآن الكريم -كما في «سورة الأنعام» و«النحل» وغيرهما- من الدلائل التي لا تحصى، والشواهد التي لا تحصر، وكلها دالة على وجوده وربوبيته.

باب الإيمان بربوبية الله

ونؤمن بأن الله واحد في ربوبيته، وبأنه هو الخالق وحده، وهو الذي بدأ الخلق لم يشاركه فيه أحد، قال الحق جل شأنه: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: 11]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: 34].

وأن الله يخلق بأمره سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]. ويخلق سبحانه وتعالى بما يشاء من الأسباب، قال الحق سبحانه: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه: 53]، وقال المولى عز شأنه: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الرعد: 3]، وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49].

وأخبر سبحانه وتعالى أنه خالق كل شيء، فكل ما سواه فهو مخلوق، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62].

ونؤمن بأن الله رب كل شيء وخالقه ومديره، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فُرُشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: 21، 22]. وقال الحق جل شأنه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: 3]، فهو سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض ومالكهما، وهو المتصرف فيهما، قال الحق جل شأنه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ [الزمر: 63]، ولا يملك أي

مخلوق تدبير أمر نفسه أو تدبير أمر غيره إلا ما أقره الله عليه، فلا الملائكة، ولا الأنبياء عليهم السلام، ولا الأولياء يستطيعون التصرف في الكون أو جلب النفع أو دفع الضر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمُوتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبا: 22].

ونؤمن بأنه هو المالك الحق، وما سواه مملوك، وكل ملك فملكه مؤقت زائل، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]، وما سواه مربوب مقهور، قال الله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: 93].

ونؤمن بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل، وأنه هو الذي سخر الشمس والقمر، كل يجري لأجل مسمى، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الزمر: 5]، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وجعل اختلاف الليل والنهار آية دالة على عظمة خلقه وحسن تدبيره، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمُوتِ

وَالْأَرْضَ لَا يَلَيْتُ لِقَوْمٍ يُتَّفَقُونَ} [يونس: 5، 6]، وأنه هو الذي خلقنا من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وخلق الأنعام كلها، قال المولى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [الزمر: 6].

ونؤمن أنه هو الرزاق ذو القوة المتين، فلا رازق غيره، ولا كافي سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: 58]، وقال عز من قائل: ﴿وَإِن مِّن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [هود: 6].

ونؤمن بأنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً، قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة: 255]، فلا يعزب عن علمه صغير أو كبير، قال المولى عز شأنه وتعالى سلطانه: ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [سبأ: 3]، وعلمه محيط بكل شيء في هذا الكون، قال الحق جل شأنه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتٍ إِلَّا رِزْقٌ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: 59]، وقال -أيضاً- موضحاً جانباً من هذا العلم المحيط: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام: 38].

ونؤمن بأنه سبحانه عالم الغيب والشهادة، قال الحق سبحانه: ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد: 9]، وأنه لا يظهر

على غيبه أحدًا من خلقه، إلا من ارتضى من رسول، قال سبحانه وتعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبُ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: 26، 27]، وكل من ادعى علم الغيب فهو كاذب مُفْتَرٍ. والرسول لا يعلمون الغيب، وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ [الأنعام: 50].

ونؤمن أن الله هو المحيي المميت وحده سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: 66]. وأنه هو الذي خلق الموت والحياة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [المالك: 2]، وأنه هو الذي يتوفى الأنفس، قال المولى عز شأنه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42].

ونؤمن بأنه تعالى قد قهر كل شيء عزةً وحكمًا، كما أخبرنا ربنا تعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَّلُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ [الرعد: 15]، وقال الحق جل شأنه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

ونؤمن بأنه تعالى خلق السماء، ورفعها بغير عمد، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: 10]، وسخر للخلق ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه سبحانه وتعالى، قال الحق جل شأنه

وتقدس: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 13].

ونؤمن بأن الرب جل شأنه له الخلق والأمر، قال تعالى: ﴿الْأَلَهُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]، فلا رب سواه، ولا مشرع غيره، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الشورى: 13]، وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، فهو الذي يشرع الشرائع، ويفرض الفرائض، ويبين الدين. وأنكر الحق على من اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا، وقبلوا منهم ما شرعوا لهم من الدين، قال الله جل شأنه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، وقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21].

وكما أنه تعالى هو الذي خلق الخلق، وهو المالك لهم، هو الذي شرع لهم الشرائع، فهو القادر وحده على حسابهم وجزائهم، قال المولى جل شأنه: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 22]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: 15].

ونؤمن بأن الرب جل شأنه خالق العباد وخالق أفعالهم، قال الحق سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 96]. ونشهد للحق شهادة صدق أنه سبحانه وتعالى جعل كل آية من آياته الكونية شاهدة ودالة على أنه هو الخالق، وأكد الحق ذلك بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 16].

[17]. وقد أنكر الحق جل شأنه على من جعل له شركاء في ربوبيته أو ألوهيته؛ لأنه هو الخالق وحده جل شأنه فقال: {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16].

والمشركون كانوا يؤمنون بربوبية الله، ويعلمون أن الله الخالق الرازق المحيي المميت، وأنه هو النافع الضار، وأن أصنامهم وآلهتهم لا تنفع ولا تضر، وأنها وسائل تقربهم إلى الله زلفى، ومع ذلك لم يقبل الله ذلك منهم، قال الله تعالى: {وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفِكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت: 61-63]، ومع أنهم يستغيثون بالله في الضراء، ويلجؤون إليه إذا مسهم الكرب، لم ينفعهم ذلك؛ حيث لا يزالون على شركهم وكفرهم، قال المولى جل شأنه: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: 65، 66].

باب الإيمان بالوهمية الله

ونؤمن بأن الله واحد في ألوهيته، وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه هو الحق، وأن ما يدعون من دونه الباطل، وأن هذا الأمر العظيم هو الذي من أجله أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل، وخلق الجنة والنار، ودلت عليه الفطرة، وشهدت له العقول السليمة. ونعلم علم اليقين أن أساس دعوة الأنبياء لأقوامهم هو: دعوتهم لعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، قال المولى جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: 36]. وقال الحق سبحانه: ﴿وَسَلِّ مِمَّنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: 45]، وكل نبي قال لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، من أولهم نوح إلى آخرهم محمد عليهم السلام، فقال الله مخبراً عن نوح عليه السلام أنه قال: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 59]، وأخبر عن آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَجْدُ أَلْفَهَارُ﴾ [ص: 65]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102].

وهذا الأمر العظيم هو الذي من أجله خلق الله الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] ومعنى: «يعبدون»، أي: يوجّدون، قال البخاري رحمه الله عند تفسير هذه الآية: «ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا

ليوحدون». (هكذا في البخاري غير منسوب (6/ 49)، وذكر ابن حجر في «الفتح» أنه قول الفراء (8/ 600).)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوجِدُوا اللَّهَ تَعَالَى»، (أخرجه البخاري (1458)، ومسلم (19)). وبَوَّبَ البخاري رحمه الله على ذلك بقوله: «باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى».

والعبادة الحقّة هي ما كانت خالصة لله رب العالمين موافقة لهدى سيد المرسلين؛ فعبادة كل معبود سواه باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: 62]، ومعنى: «لا إله إلا الله»: لا معبود بحق إلا الله؛ لدلالة الآية السابقة على ذلك.

والإيمان بالله وحده وعبادته دون ما سواه هي مضمون: «لا إله إلا الله»، وهذه الكلمة العظيمة تضمنت نفي استحقاق العبادة عن كل معبود سوى الله، ونفي الألوهية الحقّة عن كل معبود سوى الله أيضاً، وإثبات الألوهية الحقّة لله رب العالمين، وأن العبادة الصحيحة لا تكون إلا لله وحده، وهذه الكلمة جاءت بلفظها في القرآن كثيراً، ووردت آيات كثيرة بمعناها من النفي والإثبات، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: 36]، وقوله عز شأنه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36].

وهذا الركن الركين والأساس المتين من دين الله -وهو إثبات الألوهية لله وحده، ونفي العبادة عما سواه- هو قطب رحي الدين، وعماد دعوة المرسلين، ومعناها: أفراد الخالق بأعمال الخلق، ولا تكاد تجد سورة من سور القرآن تخلو من هذا الأمر تأسيساً أو تأكيداً، وقد أقام الله الحجة على الخلق بأدلة كثيرة، وشواهد عديدة لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها، وأعظم دليل على هذا الأمر شهادته سبحانه وتعالى؛ حيث يقول: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَسْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19].

وشهد الله سبحانه وتعالى، وشهد أجل شاهد من خلقه، وهم الملائكة وأولو العلم، على أجل مشهود، وهو وحدانيته وألوهيته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 18]، فشهدت الملائكة وأولو العلم بما شهد الله به لنفسه: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 79].

واحتج على خلقه بأنه سبحانه وتعالى هو الخالق لكل ما في هذا الكون، بل جعل كل آية كونية شاهدة على استحقاقه الألوهية والعبادة؛ ولذا يكثر سؤالهم في القرآن عن هذا الأمر وإقرارهم بأنه هو الخالق الرازق المحيي المميت، ثم ينكر عليهم عدم عبادته، أو عبادة غيره معه، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ

بَعْدَ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فُلُ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [العنكبوت: 61 - 63]، وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} [الزخرف: 9-12].

واحتج الله على عباده بأن قرّرهم بنعمه عليهم التي توجب عليهم عبادة واهب النعم وموجدها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ يَوْمَن يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ} [يونس: 31، 32].

وفي القرآن كثيرًا ما يحتج الله على العباد بآيات ربوبيته التي تستلزم عبادته وحده سبحانه وتعالى، وأن الخالق لهذه الآيات الكونية الكبرى هو وحده سبحانه وتعالى، وأنه كما أنه ليس معه خالق سواه، لا ينبغي أن يعبد غيره؛ ولذا ختم هذه الآيات التالية بقوله: ﴿إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾، وهي قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُم أَنْ تَنْبُتُوا شَجَرَهَا أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 60-63].

ولما ذكر المخلوقات العظيمة الدالة على ربوبيته التي تستلزم ألوهيته في سورة الروم، وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتَكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْيَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرَةٍ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ * وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرِينَ} [الروم: 20-29]. استفتح كل آية منها بقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ}؛ أي: ومن الأدلة الكونية الدالة على ربوبيته المستلزمة لألوهيته ما ذكر، ثم أعقبها بذكر هذا المثل الذي ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه، يقول: «أكان أحكم مشاركاً مملوكه في فراشه وزوجته؟! فكذاكم الله لا يرضى أن يُعدل به أحد من خلقه»؛ قاله قتادة. (تفسير الطبري 95/20). ثم ختمها ببيان أن الفطرة السليمة تقتضي عبادته وحده سبحانه وتعالى، ولذا قال: ﴿فَاقْمْ وْجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ

اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

وقد نَوَّعَ الله في الأدلة التي نصبها شواهد على ألوهيته تنويعاً تقوم به الحجة، وتتضح به المحجة؛ لئلا يكون للناس على الله حجة، وكما احتج الله على الناس بالأدلة القاطعة، والحجج الساطعة، وأقام الشواهد الباهرة الدالة على وحدانيته؛ فقد ضرب الأمثلة، وجاء بالحق سبحانه وتعالى، قال المولى جل شأنه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 76]، قال ابن جرير عند تفسير هذه الآية: «وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والالهة التي تُعبد من دونه، فقال تعالى ذكره: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ} يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئاً، ولا ينطق؛ لأنه إما خشب منحوت، وإما نحاس مصنوع، لا يقدر على نفع لمن خدمه، ولا دفع ضرر عنه، وهو كلٌّ على مولاه، يقول: وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته، فكَذَلِكَ الصنم كلٌّ على من يعبد، يحتاج أن يحمله، ويضعه ويخدمه، كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء، فهو كلٌّ على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم {أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ} يقول: حيثما يوجهه لا يأت بخير؛ لأنه لا يفهم ما يُقال له، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد، فهو لا يفهم، ولا يُفهم عنه، فكَذَلِكَ الصنم، لا يعقل ما يقال له، فيأتمر لأمر من أمره، ولا ينطق فيأمر وينهى، يقول الله تعالى: {هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} يعني: هل يستوي هذا الأبكم الكلٌّ على

مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجهه، ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق، ويدعو إليه، وهو الله الواحد القهار، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته؟ يقول: لا يستوي هو تعالى ذكره، والصنم الذي صفته ما وصف». (تفسير الطبري (262/17).)

وضرب الله أيضًا مثلًا لإله الباطل وإله الحق، كما قاله مجاهد، (تفسير الطبري (285/21)). فقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 29].

وهذا الأمر -وهو الإقرار لله بالوحدانية، مع الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة- هو الذي جعله الله حدًّا بين إيمان الإنسان بالله والكفر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: 5]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: 11]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». (أخرجه البخاري (1399، 7284)، ومسلم (20)، وأبو داود (1556)، والترمذي (2607)، والنسائي (2443)).

وهذا الإيمان لا يكفي أن يكون في القلب، بل لا بد أن ينطق به اللسان؛ ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». (أخرجه البخاري (25)، ومسلم (22)). ولا يتحقق الإيمان حتى تعمل به الجوارح، قال الحق - وقوله الحق: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) [الأنفال: 2-4]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، (أخرجه مسلم (49)، وأبو داود (1140)، والترمذي (2172)، والنسائي (5008)، وابن ماجه (1275)). فدل هذا الحديث على أن الإيمان يتفاوت في القلب. ولا بد مع الإيمان بالله من الكفر بالطاغوت، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256]، والبراءة من الشرك وأهله، فلا يكون موحدًا حتى يتبرأ من الشرك وأهله، قال المولى جل شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: 26].

وهذا الإيمان لا بد أن يكون العبد فيه مخلصاً لله رب العالمين، قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 65]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: 5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ -يَا أَبَا هُرَيْرَةَ- أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ جِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». (أخرجه البخاري (99، 6570).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». (أخرجه البخاري (425)، ومسلم (33)، والنسائي (788)، وابن ماجه (754).)

وأن يكون مستيقناً غير شاكٍّ، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: 15]، وقال الله مخبراً عن صاحب الجنة الكافر أنه قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: 36].

وأن يكون إيمانه عن علم، فيعلم حقيقة الإيمان ومقتضاه وما يضاده، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19]. ولا بد مع العلم والإخلاص من القبول لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبما تضمنه الإيمان، ودلت عليه كلمة: {إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} من عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، فمن قالها،

ولم يقبل عبادة الله وحده، كان من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ هَذَا لِسَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصفات: 35، 36].

وأن يستسلم وينقاد، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: 22].

وأن يكون صادقاً في قوله وفعله واعتقاده حتى ينال ما بشر به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». (أخرجه البخاري (128)، ومسلم (32)).

وأن يكون محباً لهذا الدين، ومن شرعه، ومن جاء به، ومن دان به، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». (أخرجه البخاري (15)، ومسلم (44)، والنسائي (5013)، وابن ماجه (67)). وقال صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ». (أخرجه البخاري (16)، ومسلم (43)، والترمذي (2624)، والنسائي (4987)، وابن ماجه (4033)).

وكما بين الله حقيقة الإيمان ومقتضاه وأركاناه وشرائطه، فقد نقض شبهة المشركين المعاندين، وبين أنه ليس لهم حجة في شركهم؛ لأن هؤلاء الأنداد مخلوقون مُدَبَّرُونَ لا يخلقون شيئاً،

ولا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، قال تعالى: ﴿أَيَسْرُكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلُقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صُلِمْتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * اللَّهُمَّ ارْجُلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تَنْظُرُوا * إِنَّ إِلَهِي اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ * وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ { [الأعراف: 191-198]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ { [سبأ: 22، 23]، وهذه الآية قطعت علائق الشرك كله.

وبين الحق أن هؤلاء الأنداد المعبودين من دون الله لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو سمعوا ما استجابوا لهم، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويتبرؤون منهم، قال الحق جل شأنه وتعالى سلطانه: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ { [فاطر: 14].

كما بين الحق أن هؤلاء الأنداد المعبودين من دون الله لا ينفعون، ولا يضررون، فكيف يُعبدون من دون الله؟! قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ

لأنفسهم ضرًا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾
[الفرقان: 3].

وأوضح الحق سبحانه وتعالى أن الأنداد لا يملكون لأتباعهم رزقًا، قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: 73]، فكيف يعبدون من لا يملك شيئًا، ولا يستطيع أن يرزق، ولا أن ينفع، أو يضر؟!

واحتج عليهم بأنهم إذا مسَّهم الضر، أو وقعوا في الكرب؛ لجؤوا إلى الله وحده مخلصين له الدين، فإذا نجاهم عادوا إلى شركهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65].

وكما أبطل الحق دعوى المشركين في اتخاذ الأنداد، فقد أبطل كل دعوى بأن الله اتخذ ولدًا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]. وبين الحق جل شأنه أن اليهود والنصارى زعمت أن لله ولدًا، فقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَا اللَّهَ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: 30]، ونقض الله اعتقادهم من أصله؛ فكيف يكون البشر الذي يأكل الطعام إلها؟! والإله لا يأكل، ولا يشرب، ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، قال المولى جل شأنه: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ

صِدِّيقَةً كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [المائدة: 75، 76].

وأبطل الله عبادة الملائكة، وبين أنهم -مع كونهم مقربين لله- لا يملكون الشفاعة إلا من بعد إذنه، فقال ربنا جل ذكره: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمُوتِ لَا تُعْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26]، ويخافون ربهم من فوقهم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 49، 50]، وقال سبحانه عز من قائل: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا﴾ [النساء: 172]، فإذا كانت هذه حال الملائكة، فكيف يُعبدون من دون الله؟

وكذلك الأنبياء والمرسلون عليهم السلام مع علو مقامهم في الدنيا والآخرة، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فكيف بمن دونهم؟! قال سبحانه وتعالى مخبرا عن الأنبياء أنهم يعبدون ربهم على سبيل الرغبة والرهبة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، وأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188]، ولما دعا صلى الله عليه وسلم على من آذاه من المشركين في غزوة أحد أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ

فَإِنَّهُمْ ظَلِمُونَ) [آل عمران: 128]. وعن الزهري قال: حدثني سالم عن أبيه رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرِّكَعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا»، بَعْدَ مَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} . (أخرجه البخاري (4559)، والنسائي (1078).)

باب الإيمان بأسماء الله وصفاته

ونؤمن بأن الله واحد في صفاته ونعوت كماله وجلاله سبحانه، وأن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنی والصفات العلی تواترت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، وتشهد له بذلك العقول الكاملة، وتسليم له بذلك الفطر السليمة، وأجمع على ذلك علماء أمة الإسلام، بل كل الرسالات الإلهية جاءت ببيان صفات الله وأسمائه وأفعاله سبحانه وتعالى. وعاب الله على المشركين عبادة الأصنام؛ لأنها مخلوقة مثلهم، بل هي أقل منهم وأنقص، فهي لا تبصر ولا تسمع، بل ليس لها أرجل تمشي بها، ولا أيدٍ تبطش بها، قال الحق سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَ يُجِيبُوا أَلَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ [الأعراف: 194، 195]. وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: 148].

ونؤمن أنه كما وصف نفسه، وكما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو سبحانه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. فنثبت لله ما أثبتته لنفسه، أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تعطيل ولا تمثيل، ولا تكيف ولا تحريف، ونعلم علم اليقين أن ربنا متصف بصفاته قبل أن يخلق الخلق، وأنه على غاية الكمال والجلال والجمال منذ الأزل إلى الأبد؛ إذ هو الأول والآخر، فهو أول ليس قبله

شيء، وآخر ليس بعده شيء، فهو الأول بأسمائه وصفاته كملاً ومجداً، وهو الآخر بأسمائه وصفاته كملاً ومجداً.

ونؤمن أنه سبحانه كما لا يحيط الخلق به علماً، فكذلك لا تدرکه أبصارهم، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 110]، وقال المولى عز شأنه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]. قال الإمام ابن قتيبة رحمه الله: «الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله حيث انتهى في صفته، أو حيث انتهى رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا نزيل للفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه، ونمسك عما سوى ذلك». (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية، لابن قتيبة (ص: 44)).

ونؤمن أن من صفات الله صفات ملازمة لذاته، كالحياء، والعلم، والسمع، والبصر، واليد، والأصابع، ومنها صفات متعلقة بمشيئته، كالغضب، والرضى، والنزول. ونؤمن أنه الفعال لما يريد، فهو يفعل متى شاء ما يشاء كيفما يشاء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، لا رادّ لأمره، ولا معقب على قضائه وحكمه.

ونؤمن أن صفات الله منها ما ورد مطلقاً، فنصف الله به على إطلاقه، كالسمع، والحياة، والبصر، وغيرها، ومنها ما ورد مقيداً، فيبقى على تقييده، كوصفه سبحانه وتعالى بأنه يمكر بأعدائه إذا مكروا، وينسى أعداءه إذا نسوه.

ونؤمن أن بعض الصفات ورد وصف الله بها على وجه واحد، كصفة الحياة، والقيومية، والعظمة، فتزد في القرآن أو السنة على وجه واحد. ونجد بعض الصفات ورد الخبر عنها

في القرآن الكريم أو السنة على أوجه متعددة، كصفة الكلام، والعلو، واليد، ورؤية المؤمنين لربهم في عرصات القيامة وفي الجنة.

ومن صفاته سبحانه وتعالى: العلم والسمع، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: 4].

ومن صفاته: البصر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 20]، وعن أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرُؤُهَا، وَيَضَعُ إِصْبَعِيهِ، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُفَرِّئُ: يَعْنِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا». (أخرجه أبو داود (4728)، وحفص بن عمر في جزء قراءات النبي (33)، وابن خزيمة في التوحيد (49)، وابن أبي حاتم في التفسير (5524)).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: العين، قال الله تعالى: ﴿وَلَتُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: 39]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48]، وقال جل ثناؤه: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: 37]، وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: 14]، وعن نافع عن عبدالله رضي الله عنه قال: ذُكِرَ الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ -وَأَشَارَ

بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ- وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ
عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ». (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (7407)، وَمُسْلِمٌ
(169)، وَأَبُو دَاوُدَ (4757)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2241).)

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الحياة والقيومية، قال تعالى:
(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [آل عمران: 2].

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الكلام، وهو موصوف بالكلام
قبل أن يخلق الخلق ويكلمهم، وكلام ربنا متعلق بمشيئته، فمتى
شاء تكلم، وقد ورد الخبر عن صفة الكلام لله في القرآن على
أوجه متعددة، فكل ما أخبر الله به عن نفسه بأنه يأمر أو ينهى
فهو دالٌّ على الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ عَلَيْكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]. وكل ما أخبر الله به عن
نفسه أنه قال، أو يقول، فهو دال على الكلام، كقوله عز شأنه:
(إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) [آل عمران: 55].
وكل ما ورد الخبر فيه عن الإنباء مضافاً إلى الله فهو دال على
إثبات صفة الكلام لله رب العالمين، قال الحق: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأُكَ
هَذَا قَالَ نَبَاتِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحریم: 3].

وكل ما ورد من النداء أو المناجاة مضافاً إلى الله فهو دال
على صفة الكلام لله رب العالمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُذِيقُهُ
مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِياً﴾ [مريم: 52]. وكل ما ورد
من القول مضافاً إلى الله، أو ورد الكلام في القرآن موصوفاً به
الله، فهو دليل على صفة الكلام. وهذا أكثر من أن يحصى، ومن
ذلك أنه تعالى كلم الملائكة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وكلم آدم: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ
أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: 35]،
وكلم موسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى
النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: 144].

وكلام ربنا منه ما يكون مناداة، كما نادى إبراهيم
 الخليل عليه السلام ، قال تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ}
 [الصافات: 104]، ومنه ما يكون مناجاة كما ناجى ربنا
 موسى عليه السلام : {وَنُذِيتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ
 نَجِيًّا} [مريم: 52]، قال ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في هذه
 الآية: «حَتَّى سَمِعَ صَرِيْفَ الْقَلَمِ»، (أخرجه ابن أبي شيبة
 (32506)، وهناد في الزهد (149)، وعبد الله بن أحمد في
 السنة (1231)، والطبري في التفسير (559/15)، والحاكم
 (3472).) وَقَالَ السُّدِّيُّ: {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} قَالَ: «أُدْخِلَ فِي السَّمَاءِ
 فَكَلَّمَ». (تفسير ابن كثير (238/5)، والدر المنثور في التفسير
 بالمأثور (515/5).) وكلام ربنا تسمعه الملائكة كما في قوله
 تعالى: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: 23]، وعن مسروق عن عبد الله
 رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا
 تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلْسَّمَاءِ صَلَٰصَةً كَجَرِّ
 السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ
 جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ. قَالَ: فَيَقُولُونَ:
 يَا جِبْرِيلُ، مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقُّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقُّ،
 الْحَقُّ». (أخرجه أبو داود (4738)، وعثمان بن سعيد الدارمي
 في الرد على الجهمية (158)، وعبد الله بن أحمد في السنة
 (536)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (217).)
 ويكلم الخلائق يوم القيامة كما أخبر بذلك الرسول صلى الله
 عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

ثُرْجَمَانُ، وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ». (أخرجه البخاري (7443)، ومسلم (1016)، والترمذي (2415)، وابن ماجه (185)).
وتسمع الخلائق يوم القيامة كلام الله، كما في الحديث عن عبدالله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ». (أخرجه البخاري معلقًا (9/ 141)، وفي الأدب المفرد (970)، وفي خلق أفعال العباد (90)، وأحمد (16042)).

ونؤمن أن الله سبحانه وتعالى قد احتجب عن خلقه، فلا يرونه في الدنيا، ويكلم من شاء من ملائكته ورسله عليهم السلام من وراء حجاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». (أخرجه مسلم (179)، وابن ماجه (195)).

وكلام ربنا يوصف بأن بعضه أحدث من بعض، قال الحق جل شأنه: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: 2]، وبعضه أفضل من بعض، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ

{أَحَدٌ} أَحَدٌ، يُرِيدُهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». (أخرجه البخاري (5013)، وأبو داود (1461)، والنسائي (995).)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتِيحَ الْيَوْمِ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيْتَهُ». (أخرجه مسلم (806)، والنسائي (912).)

والقرآن وكل الكتب الإلهية المنزلة على رسل الله عليهم السلام، كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والتوراة، والإنجيل، والزبور - كلها كلام الله، وكلها تكلم الله بها، وسمعها جبريل عليه السلام منه بلا واسطة، وأنزل الله التوراة مكتوبة على الألواح، وجبريل تنزل بالوحي على أنبياء الله ورسله عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: 193، 194]، وقال المولى عز شأنه: ﴿فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]. وكلام الله وكلماته غير مخلوقة؛ ولذا استعاذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلمات الله، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ:

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»، (أخرجه مسلم (2708)، والترمذي (3437)، وابن ماجه (3547).) ولو كانت كلمات الله مخلوقة لما استعاذ بها نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكلام الله غير خلقه، ألا ترى «أن الله قد فصل بين قوله وبين خلقه، ولم يسمه قولاً، فقال: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: 54]، فلما قال: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ} لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلاً في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق فقال: {وَالْأَمْرُ} فأمره هو قوله، تبارك الله رب العالمين أن يكون قوله خلقاً». (ينظر: الرد على الجهمية، للإمام أحمد (ص: 224).)

ونفرق بين كلمات الله الكونية المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّي الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: 109]، وكلامه الشرعي الوارد في مثل قوله عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115]، وقوله جل ذكره: ﴿وَإِذْ أَتَى ابْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: 124].

قال الإمام الدارمي: «فلا ينكر كلام الله عز وجل إلا من يريد إبطال ما أنزل الله عز وجل، وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام، وأنطق الأنعام؟!». (الرد على الجهمية، للدارمي (ص: 155).)

ومن صفاته سبحانه وتعالى: العزة، قال الحق: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ
رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: 180]، وقال تعالى: {مَنْ
كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: 10].

ومن صفاته سبحانه وتعالى: القهر، قال تعالى: {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [ص: 65].

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ». (أخرجه أبو داود (873)، والنسائي (1049)، وأحمد (23980)، والترمذي في الشماميل (314)، والبخاري (2750).) وقال صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: الْكِبْرِيَاءُ رِذَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَ عَنِّي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ». (أخرجه أبو داود (4090)، وابن ماجه (4174)، والحميدي (1183)، وابن أبي شيبة (27111)، وأحمد (7382).)

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الإرادة والمشيئة، قال الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ} [البقرة: 185]، وقوله: {وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال: 7]، وقوله: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 29].

ومن صفاته سبحانه وتعالى: القدرة، قال الله تعالى: {وَمِنْ عَائِدَةٍ خَلَقَ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} [الشورى: 29]، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 20].

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الرحمة، قال الرحيم الرحمن سبحانه: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: 156]، وقال سبحانه وتعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام: 54]،

فهذه الرحمة صفة من صفاته، وهي مضافة إلى الله إضافة الصفة إلى الموصوف. وقد تأتي الرحمة في الكتاب والسنة مضافة إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةً رَحْمَةً»، (أخرجه البخاري (6469)، ومسلم (2752)، والترمذي (3541)، وابن ماجه (4293).) فهذه رحمة مخلوقة أضيفت إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه.

ومن صفاته سبحانه وتعالى: العلو، وهو علو القهر، وعلو القدر، وعلو الذات، فالثلاثة كلها صفته، وهي دالة على كماله. وقد دل القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة والعقل والفطرة على العلو بأوجه متعددة، فكل ما أخبر الله به أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم أنه العلي أو الأعلى، أو يشار إليه بأنه في العلو، فهو دال على علوه، وكل خبر فيه تنزل منه تعالى كنزول الوحي، وتنزل الأمر، وأنه يجيء ويأتي يوم القيامة لفصل القضاء، أو أنه ينزل في كل ليلة وفي عشية عرفة، وتنزل الملائكة، فهو دال على علوه، وكذلك كل خبر فيه أنه في السماء، أو أنه فوق السماء، أو أنه فوق العرش، أو أنه استوى على العرش - فهو دال على علوه، وكذلك كل ما فيه صعود إليه سبحانه ونحوه فهو دال على علوه.

ومن ذلك: أن الملائكة تخاف ربها من فوقها، وأنها تعرج إليه، وأن الأعمال ترفع إليه، وأنه يصعد إليه، وأن الله رفع

عيسى عليه السلام إليه، وأسرى بنينا محمد صلى الله عليه وسلم، وخرج به إلى السماء. كل ذلك دال على علوه، بل إن الأدلة الدالة على أن الله في العلو أنواع كثيرة، وتحت كل نوع أفراد كثيرة لا تحصى إلا بالكلفة.

ومن هذه الأدلة: قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: 4]، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبُطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: 62]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]، وقول الحق سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، وقوله سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50]، وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران: 55]، وقوله: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4]، وقوله جل ثناؤه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمُوتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12]، وقول الحق سبحانه: ﴿يَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 158]. وقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بُرُكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِنْ عَائِنَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخُلُقَ، كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبْتُ، أَوْ قَالَ: سَبَقْتُ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»، (أخرجه البخاري (7553)، ومسلم

(2751)، والترمذي (3543)، وابن ماجه (189). وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أَصْلَى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاتَّكَلُ أُمِّيَاءَهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لِكِتَابِي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَإْيِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي. قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٌ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنْ مِنَّا رَجُلًا يَأْتُونَ الْكُفَّانَ، قَالَ: «فَلَا تَأْتِيهِمْ»، قَالَ: وَمِنَّا رَجُلٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّتْهُمْ»، -قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ: فَلَا يَصُدَّتْكُمْ- قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رَجُلٌ يَخْطُونَ، قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ»، قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ، فَاطْلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا الذِّبُّ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، أَسْفَى كَمَا يَأْسِفُونَ، لَكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعِظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «أَتَيْتِي بِهَا»، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أُعْتِقُهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». (أخرجه مسلم (537)، وأبو داود (930)، والنسائي (1218).)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»، (أخرجه البخاري (555)، ومسلم (632)، والنسائي (485).) وفي حديث أبي رزين العُقَيْلِيِّ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ»، (أخرجه الترمذي (3109)، وابن ماجه (182)، والطيالسي (1189)، وأحمد (16188) وابن أبي عاصم في السنة (625).) هذه وغيرها كثير من الآيات والأحاديث الدالة على العلو.

والأدلة الدالة على العلو أكثر من أن تحصر، فقد أجمع علماء الإسلام على إثباته، كما دل عليه العقل والفطر السليمة، قال الإمام ابن بطة رحمه الله: «وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَجَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ». (الإبانة الكبرى، لابن بطة (136/7).)

ونقل الدارمي رحمه الله: قول ابن المبارك لما سئل: «بِمَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ». (الرد على الجهمية، للدارمي (ص: 98).)

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الاستواء على العرش، وقد ذكره الله في سبعة مواضع من كتابه، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا قَضَىٰ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبْتُ، أَوْ قَال: سَبَقْتُ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ». (أخرجه البخاري (7553)، ومسلم (2751)، والترمذي (3543)، وابن ماجه (189)). وأخرج اللالكائي عن ابن عيينة قال: سئل ربيعة عن قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: 5]: كيف استوى؟ قال: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (442/3)، والعرش، للذهبي (213/2)). ونُقِلَ مثل هذا القول عن إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله. (أخرجه أبو نعيم في الحلية (6/ 325)، (326)، والبيهقي في الأسماء والصفات (2/304)، وابن عبد البر في التمهيد (7/ 138)، وقال الذهبي رحمه الله: «وقد أخذ العلماء من قول الإمام مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، قاعدة ساروا عليها في هذا الباب». ينظر: العلو، للذهبي (117/1)).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: المحبة، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54]، قال الإمام الدارمي رحمه الله: «فجمع بين الحبين: حب الخالق، وحب المخلوق متقارنين، ثم فرّق بين ما يُحِبُّ وما لا يحب؛ ليعلم خلقه أنهما متضادان غير متفقين، فقال: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ} [النساء: 148]، و {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام: 141]». (نقض الدارمي (2/ 865)).

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَّيْنَ وَيُحِبُّ الْمَتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، وعن سهل ابن سعد رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ عَدَا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». (أخرجه البخاري (3009)، ومسلم (2406)، وأبو داود (3661)). وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». (أخرجه البخاري (15)، ومسلم (44)، والنسائي (5013)، وابن ماجه (67)).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الرضى، قال الحق جل شأنه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَّاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». (أخرجه

مسلم (486)، وأبو داود (879)، والترمذي (3493)،
والنسائي (169)، وابن ماجه (3841).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: كراهيته لأعدائه؛ ذلك لأنهم
كرهوا رضوانه، وكرهوا ما أنزل الله على رسوله صلى الله
عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرَهُوا
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: 28]، وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ
انْبِعَاتَهُمْ فَتَبَطَّحَهُمْ وَقِيلَ أَفْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: 46]. وعن أبي
هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«قَالَ اللَّهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي
كَرِهْتُ لِقَاءَهُ». (أخرجه البخاري (7504)، والنسائي
(1835)).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الغضب على أعدائه، قال الله
سبحانه وتعالى: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح: 6]، وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى
قَوْمٍ دَمَوْا وَجْهَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». (أخرجه البخاري
(4074)).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: المقت، وهو مقته للكافرين،
قال الحق جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ
مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [غافر: 10].

ومن صفاته سبحانه وتعالى: مكره بأعدائه الذين يمكرون
بأوليائه، قال المولى جل شأنه: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: 50، 51].

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الأسف، وهو أشد الغضب، قال الحق جل في علاه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: 55]، قال قتادة والسدي: «{فَلَمَّا آسَفُونَا} أي: أغضبونا». (تفسير الطبري (622/21)).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: مخادعة من يخادعه، فالله يخادع المنافقين الذين يخادعون، قال الله عز شأنه وتعالى مجده وسلطانه: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9]، وقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: 142].

وبيّن الحق أنه ينسى أعداءه كما نسوا لقاءه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ [الأعراف: 51].

ومن صفاته سبحانه وتعالى: أنه يستهزئ بمن يهزأ به سبحانه وتعالى، قال الحق جل شأنه: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يسخر بهم للنقمة منهم». (تفسير الطبري (304/1))، وابن أبي حاتم في التفسير (143).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: الضحك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ»، (أخرجه البخاري (2826)، ومسلم (1890)، والنسائي (3166)، وابن ماجه (191)). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في رؤية الله تعالى يوم القيامة، وذكر فيه قصة آخر أهل الجنة دخولا: «...فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا

أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُھُودَ وَالْمِیثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَیْرَ الَّذِی أُعْطِیتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِی أَشَقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ یَأْذُنُ لَهُ فِی دُخُولِ الْجَنَّةِ...». (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِی (806).)

قال وكيع: «إذا سئلتهم: هل يضحك ربنا؟ فقولوا: كذلك سمعنا». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (477/3).)

وبوّب الحافظ ابن بطة رحمه الله في كتابه «الإبانة»: «باب الإيمان بأن الله عز وجل يضحك» وقال فيه: «اعلموا -رحمكم الله- أن من صفات المؤمنين من أهل الحق تصديق الآثار الصحيحة، وتلقيها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس، ومواضعة القول بالآراء والأهواء؛ فإن الإيمان تصديق، والمؤمن هو المصدق، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]. فمن علامات المؤمنين: أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم مما نقلته العلماء، ورواه الثقات من أهل النقل الذين هم الحجة فيما روه من الحلال والحرام والسنن والآثار، ولا يقال فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف؟ ولا: لِمَ؟ بل يتبعون ولا يبتدعون، ويسلمون ولا يعارضون، ويتيقنون ولا يشكّون ولا يرتابون، فكان مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه أهل العدالة، ومن يلزم المؤمنين قبول روايته وترك مخالفته: أن الله تعالى يضحك. فلا ينكر ذلك ولا

يجده إلا مبتدع مذموم الحال عند العلماء». (الإبانة الكبرى،
لابن بطة (91/7)).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: المجيء والإتيان يوم القيامة لفصل القضاء بين الناس، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: 158]، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه...» وساق الحديث إلى قوله: «وتبقى هذه الأمة، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله عز وجل فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه». (أخرجه البخاري (806)، ومسلم (182)، وأبو داود (4730)، والترمذي (2554)، وابن ماجه (178)).

وعن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: 210] يقول: «الملائكة يجيئون في ظلال من الغمام، والله عز وجل يجيء فيما يشاء». (الأسماء والصفات، للبيهقي (370/2)).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: أنه ينزل إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، وهو ليس كنزول المخلوقين، بل هو كسائر صفاته التي نؤمن بها ونعلمها، ولا نتحمل في تكييفها، أو نتكلف في ردها؛ بل نؤمن بها كما أخبرنا بها رسولنا الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم فقال: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟

هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ». (أُخْرِجَهُ مُسْلِمٌ
(758).)

وبوّب إمام الأئمة محمد بن خزيمة رحمه الله في كتابه «التوحيد» بقوله: «باب أخبار ثابتة السند، صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقرّ بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيّه عليه السلام بياناً ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية؛ إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول». (التوحيد، لابن خزيمة (1/289)).

وبوّب الحافظ ابن بطة رحمه الله في كتابه «الإبانة» بقوله: «باب الإيمان والتصديق بأن الله تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا من غير زوال ولا كيف. ثم قال رحمه الله: «اعلموا -رحمكم الله- أن الله قد فرض على عباده المؤمنين طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقبول ما قاله وجاء به، والإيمان بكل ما صحت به عنه الأخبار، والتسليم لذلك بترك الاعتراض فيها وضرب الأمثال والمقاييس إلى قول: لِمَ؟ ولا كيف؟... وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يُنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ

يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» في حديث طويل سنذكره -إن شاء الله- بتمامه، رواه الأئمة المحدثون الثقات والمثبتون والفقهاء الورعون، الذين نقلوا إلينا شريعة الإسلام ودعائمه، مثل الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وما يتلو ذلك من سائر الأحكام من النكاح، والطلاق، والبيوع، والحلال والحرام». (الإبانة الكبرى، لابن بطة (7/ 201).) (والحديث أخرجه البخاري (1145)، ومسلم (758)، وأبو داود (1315)، والترمذي (446)، وابن ماجه (1366).)

ونؤمن بصفة المعية لله رب العالمين، وأن الله مع خلقه بعلمه وإحاطته ومشيتته، وقد دل على إثباتها الله تعالى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ». (أخرجه البخاري (4205)، ومسلم (2704)، وأبو داود (1526)، والترمذي (3461).)

وهذه المعية نوعان:

معية خاصة: وهذه تكون لرسول الله عليهم السلام ولأوليائه، ومقتضاها: النصر والتأييد، قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46].

ومعية عامة؛ أي: أن الله مع الخلق كلهم، مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: 4]، ومعنى هذه المعية: العلم والإحاطة والقدرة والسلطان. وهذه المعية لا تنافي علو الله تعالى؛ لأن معناها - كما سبق بإجماع أهل العلم: العلم والإحاطة؛ أي: أن الله تعالى مع خلقه بعلمه وإحاطته.

ومن صفاته تعالى: العَجَب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ». (أخرجه البخاري (3010)، وأبو داود (2677).) وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَعَجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَدِّنُ بِالصَّلَاةِ، وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَدِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ». (أخرجه أبو داود (1203)، والنسائي (666)، وأحمد (17312)، وابن أبي عاصم في السنة (584)، والرويانى (232).)

ونؤمن برواية المؤمنين لربهم يوم القيامة، كما دل على ذلك الكتاب، وتواترت به الأخبار عن رسولنا صلى الله عليه وسلم فيما بشر به المؤمنين أنهم يرون ربهم عياناً يوم القيامة - وهذا - والله - أعظم نعيم أهل الجنة- قال تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة: 22، 23]، وقال تعالى: **{الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}** [يونس: 26]، وقوله جل شأنه: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ}** [المطففين: 15]. وقد سئل الإمام مالك فقيل له: يا أبا عبد الله: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال: **{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ}**. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة (468/2).

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَأَنْتُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا»، ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٌ: لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلَيبِ مَعَ صَلَيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغَبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَُا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْفِينَا، فَيَقَالُ: اسْرُبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ

لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مِنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِّنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يَكْلِمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ». (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (7439)، وَمُسْلِمٌ (183).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ». (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (554)، وَمُسْلِمٌ (633)، وَأَبُو دَاوُدَ (4729)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2551)، وَابْنُ مَاجَهَ (177).)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرَ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَذَعُوهُمْ، فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ

يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ
الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». (أخرجه البخاري (806)،
ومسلم (182)، وأبو داود (4730)، والترمذي (2554)،
وابن ماجه (178).)

فأحاديث الرؤية -بحمد الله- متواترة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وليس في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ
قَالَ لَنْ تَرَاني وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ
تَرَاني} [الأعراف: ١٤٣]، نفْيُ الرؤية؛ لأن هذا في الدنيا،
وهو مماثل لقوله صلى الله عليه وسلم في جوابه لأبي ذر رضي
الله عنه، حينما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت
ربك؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، (أخرجه مسلم (178)،
والترمذي (3282).) فلم ير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ربه ليلة أسري به؛ وقد أخبرنا تعالى عما أكرمه به من الآيات
ليلة أسري به، فقال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِنشَاءِ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]. ولم يذكر تعالى أن النبي
صلى الله عليه وسلم رأى ربه، ولو رأى ربه لذكر الله ذلك من
باب الامتنان عليه صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ
الْغَاطِثُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]، لا يدل على نفْيِ الرؤية؛ لأن
الإدراك معنًى زائدٌ على الرؤية. وأيضاً: فإن الآيات السابقة
على هذه الآية جاءت في سياق تأكيد التوحيد ونفي الولد،
وليست في أخبار المعاد حتى تكون الآية متعلقة بالرؤية.

قال الدارمي رحمه الله: «فهذه الأحاديث كلها -وأكثر منها- قد رويت في الرؤية، على تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يروونها ويؤمنون بها، لا يستنكرونها ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم وأجل ثواب الله في أنفسهم النظرُ إلى وجه خالقهم حتى ما يعدلون به شيئاً من نعيم الجنة». (الرد على الجهمية، للدارمي (ص: 122).)

وقال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله: «وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة -وهو ديننا الذي ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة- فهو: أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم». (صريح السنة، للطبري (ص: 20).)

قال ابن بطة رحمه الله: «وإنما أرادوا بجحد رؤيته إبطال ربوبيته؛ لأنهم متى أقرأوا برؤيته أقرأوا بربوبيته؛ لأن الله تعالى جعل ثواب من صدق به بالغيب إيماناً أن يراه هذا عياناً». (الإبانة الكبرى، لابن بطة (7 / 2).)

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية وغير ذلك، فقالوا: «أَمْضِهَا بِلَا كَيْفٍ». (الصفات، للدارقطني (ص: 75).)

ونثبت لله وجهًا يليق بجلاله وعظمته، كما قال تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: 88]،

وقال جل شأنه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27]. وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: 22]، وقال: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: 20]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: 52]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ إِلَّا رَدَاءَ الْكِبَرِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ». (أخرجه البخاري (4878)، ومسلم (180)، والترمذي (2528)، وابن ماجه (186).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفُضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، جَابَهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ». (أخرجه مسلم (179)، وابن ماجه (195، 196).)

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصِّحاح من السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة، والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشية، والقول، والكلام، والرضى، والسخط، والحياة، واليقظة، والفرح، والضحك، وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكيف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه

بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويَكُون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7]». (عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي عثمان الصابوني (ص: 16، 17)).

ومن صفاته سبحانه وتعالى: صفة اليد، وقد ورد الخبر بها في القرآن والسنة على أوجه متعددة، فتارة ذكرت مثناة، وتارة أخبر تعالى أنه يقبضها ويبسطها، وأنه تعالى يقبض الأرض بيده، ويطوي السموات بيمينه سبحانه وتعالى، وتارة موصوفة بأنها ذات أصابع، وكل ذلك يثبت أن اليد التي ورد وصفها بالقرآن والسنة يد حقيقية تليق بجلاله، لا نتكلف في تأويلها أو تشبيهها أو تحريف الآيات والأحاديث الدالة عليها، قال الحق جل شأنه: ﴿قَالَ يَٰإِبْرَٰهِيمُ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ۚ اسْتَغْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ [ص: 75]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، وقال الحق عز شأنه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِّمِينَةٍ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ»، (أخرجه البخاري (6614)، ومسلم (2652)، وأبو داود (4701)، والترمذي (2134)، وابن ماجه (80).) وفي رواية: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيِّبُنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ». (أخرجه البخاري (6614)، ومسلم (2652)، وأبو داود (4701)، والترمذي (2134)، وابن ماجه (80).)

وفي الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عِزٍّ وَجَلٍّ، وَكُلُّنَا يَدِيهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا». (أخرجه مسلم (1827)، والنسائي (5379)).

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عِزٌّ وَجَلٌّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُثَوِّبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُثَوِّبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». (أخرجه مسلم (2759)).

وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْصُ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ». (أخرجه البخاري (4684)، ومسلم (993)، والترمذي (3045)، وابن ماجه (197)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمَدَ اللَّهُ بِإِذْنِهِ...» إِلَى أَنْ قَالَ: «فَقَالَ اللَّهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْتُ أَيْهَمَا شِئْتِ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكُلُّنَا يَدِي رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ». (أخرجه الترمذي (3368)، وابن أبي عاصم في السنة (596)، والبخاري (8194)، والنسائي في الكبرى (9977)). وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». (أخرجه مسلم (2654)).

وأخرج عبدالله ابن الإمام أحمد في كتابه «السنة»، بسنده عن وكيع قال: «نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف كذا؟ ولا: لم كذا؟ يعني مثل حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله عز وجل يحمل السموات على أصبع، والجبال على إصبع»، وحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ». (أخرجه مسلم (2654).) ونحوها من الأحاديث. (السنة، لعبدالله بن أحمد (267/1).)

وقال شريك رحمه الله جواباً لمن سألته عن ينكر بعض أحاديث الصفات: «إن الذين جاؤوا بهذه الأحاديث هم الذين جاؤوا بالقرآن، وبأن الصلوات خمس، وبحج البيت، وبصوم رمضان، فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث». (السنة، لعبدالله بن أحمد (273/1).)

قال الحافظ ابن بطة رحمه الله -بعد أن ساق الأحاديث الدالة على صفة اليد لله رب العالمين: «فهذه الأحاديث وما ضاهاها، وما جاء في معناها، في كمال الدين، وتمام السنة: الإيمان بها، والقبول لها، وتلقيها بترك الاعتراض عليها، واتباع آثار السلف في روايتها بلا كيف، ولا لِمَ». (الإبانة، لابن بطة (313/3).)

وكما وصف نفسه بصفات الكمال والجمال والجلال والعزة والكبرياء، فقد نفى عن نفسه صفات النقص، ولم يكن النفي في الصفات هو الأصل في القرآن والسنة؛ لأن الأصل هو إثبات الصفات، والقرآن والسنة مملوءان ببيان صفات الله عز وجل كما ينبغي لجلاله وعظمته وكماله، والرب سبحانه وتعالى إذا نفى عن نفسه صفة، فإنما ينفيها؛ لبيان الكمال في ضدها؛ أو لأن البشر نسبوا النقص إلى ذي العزة والكمال، فينفي الرب النقص المنسوب إليه.

ومما نفاه الرب عن نفسه: السيئة، والنوم، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255]، ونفى النسيان، فقال الحق: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم: 64]، ونفى الحق سبحانه وتعالى عن نفسه اللغوب؛ لأن اليهود -عليهم لعنة الله- نسبوا إلى الله التعب لما خلق الخلق، ونفى الحق سبحانه وتعالى أنه استراح بعد تمام الخلق، فقال جل في علاه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: 38].

وأثبت ربنا أنه خلق الخلق لحكمة عظيمة، ولم يخلق خلقه عبثاً، فنفى ربنا عن نفسه العبث، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، وبين الحق أن حكمه العدل وقوله الفصل، وأنه لا يظلم أحداً؛ لتمام عدله سبحانه وتعالى، فقال ربنا جل وعلا: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49]، وقال: {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: 46].

ونسبت اليهود والنصارى الولد إلى الله، مشابهة للذين كفروا من قبلهم، فنفى الله الولد عن نفسه، فقال المولى جل شأنه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: 91]، وبين الحق سبحانه وتعالى أن من كان له ولد فلا بد له من صاحبة، والله منزّه عن صاحبة والولد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَبْدِئُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 101]، وقال: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: 3].

ونؤمن أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى، وأن أسماءه قد بلغت الغاية في الحسن، فلا أحسن منها، قال الحق جل في علاه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: 8]، ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 2-4]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 22-24].

وأسماء الله مشتقة، وليست جامدة، وكل اسم يشترك الله منه صفة، فنتشقق صفة الرحمة من الرحيم، والعزة من العزيز، والحكمة من الحكيم، والحياة من الحي، وهكذا.

وأسماءه لا حصر لها، قال صلى الله عليه وسلم: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ سَمِيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»، (أخرجه

الضبي في الدعاء (6)، وابن أبي شيبة في المصنف (29930)، وفي المسند (329)، وأحمد (3712)، والحاثر بن أبي أسامة في المسند، كما في بغية الباحث (1057). وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا: مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». (أخرجه البخاري (2736)، ومسلم (2677)، والترمذي (3506)، وابن ماجه (3860).)

وحذرنا ربنا من الإلحاد في أسمائه، فقال جل في علاه: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأعراف: 180].

والإلحاد في أسمائه أنواع؛ منها: التسمي بأسمائه التي لا يجوز أن يتسمى بها البشر، كالخالق، والرحمن، وغيرها. ومنها: تسمية الأصنام بأسماء مشتقة من أسماء الله، كاللات من اسم الله، والعزى من العزيز. ومنها: إنكارها، أو جحود معانيها، أو تعطيلها.

وما ورد في القرآن والسنة من أسماء الله وصفاته أعظم من أن يحيط به كتاب، ولكن يكفينا شرفاً أننا أشرنا إلى جُمْلٍ في هذا الباب.

ونؤمن أن المسلم يجب عليه ألا يصف الله، أو يسميه إلا بما وصف به نفسه أو سمى به نفسه، أو وصفه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، ويسكت عما وراء ذلك.

ونحن نؤمن بهذه الأسماء والصفات على مراد ربنا، وعلى مراد رسولنا صلى الله عليه وسلم، ونعلم أن حقائقها لا يعلم بها

البشر، ولا يحيطون بها، ولا تبلغها أفهامهم، ولا نتكلف في تأويلها؛ لأن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص: 86]، وكما أن في الجنة من أصناف النعيم الوارد ذكرها في القرآن والسنة ما يشترك مع أمثالها في الاسم من نعيم الدنيا، إلا أن بينهما من التفاوت والتباين ما لا يحيط به البشر، فإذا كنا نؤمن بنعيم الجنة، ونحن لم نره، ولا نعلم حقيقته وكيفيته - فالله أعظم من أن يشابهه البشر لمجرد الاشتراك في الصفات أو الأسماء، ولا يلزم من ذلك نفي الأسماء والصفات عن الله لمجرد الاشتراك اللفظي.

وقد توارد أئمة الهدى والعلم على تقرير ذلك، قال ابن أبي زمنين: «فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. لم تره العيون فتحده كيف هو كينونيته، لكن رأته القلوب في حقائق الإيمان به». (أصول السنة، لابن أبي زمنين (ص: 74).)

وقال عبدالرحمن بن القاسم: «لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء، ولا وجهه بشيء، ولكن يقول: له يدان، كما وصف نفسه في القرآن، وله وجه كما وصف نفسه، يقف عند ما وصف به نفسه في الكتاب؛ فإنه تبارك وتعالى لا مثل له ولا شبيه، ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفهما: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}

[الزمر: ٦٧] كما وصف نفسه». (أصول السنة، لابن أبي زمنين (ص: 75).)

وقال الإمام الحميدي رحمه الله: «وما نطق به القرآن والحديث، مثل: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) [المائدة: ٦٤]، ومثل: (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: ٦٧]، وما أشبه هذا من القرآن والحديث، لا نزيد فيه، ولا نفسره. نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة». (العلو للعلي العظيم، للذهبي (ص: 168).)

وقال الإمام أحمد: «نعبدا الله بصفاته كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه تعالى ذكره صفة من صفاته شناعة شئعت، ولا نزيل ما وصف به نفسه من كلام، ونزول، وخلوه بعده يوم القيامة، ووضع كنفه عليه، هذا كله يدل على أن الله يرى في الآخرة، والتحديد في هذا بدعة، والتسليم لله بأمره، ولم يزل الله متكلمًا عالمًا غفورًا عالم الغيب والشهادة علام الغيوب، فهذه صفات الله وصف بها نفسه لا تدفع، ولا ترد، وقال: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [البقرة: 255]، (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ) [الحشر: 23]، هذه صفات الله وأسماءه». (الإبانة الكبرى، لابن بطة (326/7).)

وقال الإمام قوام السنة أبو القاسم -وقد سئل عن صفات الرب تعالى- فقال: «مذهب مالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، وحامد بن سلمة، وحامد بن زيد، وأحمد بن حنبل،

ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمن بن مهدي، وإسحاق بن راهويه: أن صفات الله التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله، من السمع، والبصر، والوجه، واليدين، وسائر أوصافه، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يتوهم فيه، ولا تشبيه ولا تأويل». (العلو للعلي العظيم للذهبي (459/2)).

وقال أيضاً: «وأنا أذكر - بتوفيق الله تعالى - جماعة من أئمتنا من السلف ممن شرعوا في هذه المعاني، فمنهم: أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري؛ فإنه قد أظهر اعتقاده، ومذهبه في السنة في غير موضع، وقد أملاه على شعيب بن حرب، ومنهم: أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي؛ فإنه قد أجاب في اعتقاده حين سئل عنه كما رواه محمد بن إسحاق الثقفي، ومنهم أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام؛ فإنه قد أظهر اعتقاده في زمانه، ورواه ابن إسحاق الفزاري، ومنهم: أبو عبدالرحمن بن عبدالله بن المبارك إمام خراسان، والفضيل بن عياض، ووكيع بن الجراح، ويوسف بن أسباط، قد أظهروا اعتقادهم ومذاهبهم بالسنن، ومنهم: شريك بن عبد الله النخعي، ويحيى بن سعيد القطان، وأبو إسحاق الفزاري، ومنهم: أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وفقه الحرمين؛ فإنه قد أظهر اعتقاده في باب الإيمان والقرآن، ومنهم: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي سيد الفقهاء في زمانه، ومنهم: أبو عبيد القاسم بن سلام، والنضر بن شميل، وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي من تلاميذ الشافعي أظهر

اعتقاده حين ظهرت المحنة في باب القرآن، ومنهم: أبو عبدالله أحمد بن حنبل سيد أهل الحديث في زمانه، وكان أبو أحمد بن أبي أسامة القرشي الهروي من أفاضل مَنْ بخراسان من العلماء والفقهاء أملى اعتقاداً له، قال: وينبغي لمن من الله بعلم الهداية والكرامة بالسنة ممن بقي من الخلف، القدوة ممن مضى من السلف، وأن مذهبنا ومذهب أئمتنا من أهل الأثر: أن نقول: إن الله عز وجل أحد لا شريك له، ولا ضد له، ولا ند، ولا شبيه له، إلهاً واحداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يشرك في حكمه أحداً». (الحجة في بيان المحجة (508/2)).

وقال أيضاً رحمه الله: «سبيل الأخبار الواردة في الصفات: أن يؤمن بها، ولا يُتعرض لها، وتمضى كما أمضاها الأسلاف، من غير تمثيل، ولا تأويل». (الترغيب والترهيب، لقوام السنة (253/1)).

وقال ابن قتيبة رحمه الله: «وعدل القول في هذه الأخبار - أي أخبار الصفات- أن يؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها، فنؤمن بالرؤية والتجلي، وأنه يعجب، وينزل إلى السماء الدنيا، وأنه على العرش استوى، وبالنفس، واليدين، من غير أن نقول في ذلك بكيفية، أو بحد، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت، فنرجو أن نكون في ذلك القول والعقد على سبيل النجاة غداً، إن شاء الله تعالى». (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية، لابن قتيبة (ص: 53)).

وقال الزهري: «على الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم». (الحجة في بيان المحجة (512/2)، وشرح السنة للبخاري (171/1)).

كتاب الإيمان بالملائكة

ملخص الكتاب

ونؤمن بالملائكة، ونعلم علم اليقين أن الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان.

والإيمان بالملائكة ينتظم معاني:

أحدها: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجنّ، مأمورون مكلفون لا يقدرّون إلا على ما يقدرهم الله تعالى عليه، والموت جائز عليهم، ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله -تعالى جده- ولا يُدعون آلهة، كما ادعى ذلك المشركون.

الثالث: الاعتراف بأن منهم رُسُلَ الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصّافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره.

(شعب الإيمان (1/ 296)).

الرابع: الإيمان بالملائكة على سبيل الإجمال والتفصيل، فنؤمن بوجود الملائكة إيماناً مجملاً، ونؤمن بمن علمنا من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم كما ورد في الكتاب والسنة إيماناً مفصلاً.

ونؤمن بمن علمنا منهم ومن لم نعلم، ونؤمن بأعمالهم وصفاتهم، ونعلم أن ما خفي علينا من أعدادهم وأعمالهم

وصفاتهم أكثر مما علمنا، ولكننا نؤمن بكل ذلك، كما أخبرنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لا نطلب له كيفية، ولا نرده بعقولنا، ولا نتوهمه بأرائنا، ولا نتأوله باجتهاداتنا، بل نقول: آمنا، وصدقنا، وسلّمنا.

ونؤمن أن الله خلق الملائكة من نور، فهم خلقٌ من خلق الله، خلقهم على هيئة مخصوصة لا يعلم حقيقتها إلا الله، وهم عباد مربوبون، خلقهم لعبادته، والقيام بأوامره، فهم يعبدونه، ولا يستكفون عن عبادته.

ومن عباداتهم: التسبيح، والسجود، والخوف، والوجل، وهم -مع عظيم عبادتهم- يخافون ربهم أشد الخوف، ومن عباداتهم: أنهم يوالون في الله، ويحبون في الله.

ونؤمن أن الله خلقهم على هيئة لا يحيط بها إلا الذي خلقهم عليها.

ونؤمن أن الله جعل لهم أجنحة، وقد أذن لهم أن يأتوا إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام على هيئة البشر، ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله فقد أكذبه الله.

ونؤمن أن الملائكة لا يأكلون، ولا يشربون؛ لأنه ليس لهم شهوات، وأن من خلقهم الحياء، وأنهم يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم.

ونؤمن أن الله جعل فيهم من القوة والبأس ما لا يحاط به، والملائكة خلق كثير لا يحصي عددهم إلا الذي خلقهم.

ونؤمن أن الله شرفهم، وكلفهم أعمالاً جليلاً وكثيرة ومتنوعة، وأشرفها أن يكونوا رسلاً بين الله وبين عباده، يبلغونهم الوحي، والمَلَكُ الموَكَّلُ بإنزال الوحي إلى أنبياء الله

ورسله عليهم السلام هو جبريل عليه السلام . وقد يرسلهم الله إلى غير الأنبياء ابتلاء وامتحاناً.

ومن أعمالهم: حمل العرش، وكتابة القدر، والقيام على شؤون الأرحام ومن فيها - خلقاً وتصويراً ونفخاً - وتوفي العباد، ونفخ الأرواح في الأجساد في الدنيا وفي الآخرة، والجهد مع المؤمنين، والدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم، وشهود عبادات المؤمنين، ورفع كلماتهم الطيبة، وإخبار الرب عن أعمالهم -وهو الخبير العليم الذي لا يحتاج إلى من يخبره. ومن أعمالهم: النزول إلى الأرض في مواسم الإيمان، كيوم الجمعة ويوم عرفة وليلة القدر.

ومن أعمالهم: إبلاغ النبي صلى الله عليه وسلم صلوات أمته عليه.

ومن أعمالهم: حفظ بني آدم، وكتابة الحسنات والسيئات، وحراسة المدينة النبوية من الدجال، وسؤال الميت في قبره، وتبشير المؤمنين عند الموت بالفوز العظيم، واستقبالهم في الدار الآخرة، والدخول عليهم من أبواب الجنة، وأنهم ينتزلون مع الله صفّاً صفّاً يوم القيامة.

ومن أعمالهم: أن منهم خازن الجنة، وخازن النار. ونؤمن أن الله جعل للملائكة مقاماتٍ ومراتبٍ، وأعظم الملائكة مقاماً جبريل وميكائيل وإسرافيل، ومن أشرفهم: حملة العرش، وكذا من حضر غزوة بدر من الملائكة، وفي كل سماء من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلا الله، وهؤلاء الملائكة لكلٍ منهم مقام معلوم، وفيهم مقربون.

باب وجوب الإيمان بالملائكة

ونؤمن بالملائكة، ونعلم علم اليقين أن الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، قال المولى جل شأنه: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]، وقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ». (أخرجه البخاري (4777)، ومسلم (9)، وابن ماجه (64)).

قال البيهقي رحمه الله: «والإيمان بالملائكة ينتظم معاني: أحدها: التصديق بوجودهم. والآخر: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله، وخلقه كالإنس والجن، مأمورون مكلفون لا يقدرُونَ إلا على ما قَدَّرَهم الله تعالى عليه، والموت جائز عليهم، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدًا بعيدًا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جدُّه، ولا يُدْعَوْنَ آلهة كما ادعتهم الأوثان. (يطلقون الأوثان، ويقصدون هم الفلاسفة.) والثالث: الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة

الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره». (شعب الإيمان (1/ 296)).

فذكر البيهقي ثلاثة من معاني الإيمان بالملائكة.

والرابع: الإيمان بالملائكة على سبيل الإجمال والتفصيل، فنؤمن بوجود الملائكة إيماناً مجملاً، ونؤمن بمن علمنا من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم كما ورد في الكتاب والسنة إيماناً مفصلاً.

ونعلم أن ما خفي علينا من أعدادهم وأعمالهم وصفاتهم أكثر مما علمنا، ولكننا نؤمن بكل ذلك كما أخبرنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لا نطلب له كيفية ولا نرده بعقولنا، ولا ننوهمه بآرائنا، ولا نتأوله باجتهاداتنا، بل نقول: آمنا، وصدقنا، وسلمنا.

باب خلق الملائكة وكثرة عددهم وصفاتهم

ونؤمن أن الله خلق الملائكة من نور، قال صلى الله عليه وسلم: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**»، (أخرجه مسلم (2996)). فهم خلق من خلق الله خلقهم على هيئة مخصوصة، لكنهم ليسوا أرواحاً فقط، ولا قوى فقط، بل هم عالم غيبي، وعباد مربوبون، خلقهم لعبادته، والقيام بأوامره، فهم يعبدونه، ولا يستنكفون عن عبادته.

ومن عباداتهم: التسبيح، والسجود، والخوف، والوجل، وغير ذلك، قال المولى جل شأنه: {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحریم: 6]، وقال -أيضاً: {وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [النحل: 49]، وقال الحق جل شأنه: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [الزمر: 75]، وهم -مع عظيم

عبادتهم- يخافون ربهم أشد الخوف، قال المولى جل شأنه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَرَاقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 50].

ومن عباداتهم: أنهم يوالون في الله ويحبون في الله، قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»، (أخرجه البخاري (3209)، ومسلم (2637)، والترمذي (3161).) ويعادون، ويبغضون في الله، ويغارون على محارم الله، ويلعنون مَنْ لعنه الله، قال المولى عز شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: 161]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ تِمَائِيلٌ أَوْ تَصَاوِيرٌ». (أخرجه مسلم (2112).)

ونؤمن أن الله خلقهم على هيئة لا يحيط بها إلا الذي خلقهم عليها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ». (أخرجه أبو داود (4727)، وابن طهمان في مشيخته (21)، والطبراني في الأوسط (1709)، وأبو الشيخ في العظمة (313).)

ونؤمن أن الله جعل لهم أجنحة، قال الحق: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: 1]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»، (أخرجه

البخاري (4857)، ومسلم (174)، والترمذي (3277).
وأن لهم قلوباً، قال الحق جل شأنه: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا
مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: 23].

وأذن الله لهم أن يأتوا إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام على
هيئة بشر، فدخلوا على إبراهيم، وعلى لوط عليهما السلام في
هيئة أضياف لا يعرفونهم، قال الله تعالى مخبراً عن ذلك: {هَلْ
أَتَيْتَكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ} [الذاريات: 24، 25]، وقال تعالى: {وَلَمَّا
جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ} [هود: 77]، وجاء جبريل عليه السلام إلى مريم
عليها السلام بصورة لم تعرفه لأول وهلة، كما قصَّ الله علينا
بقوله تعالى: {فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ} [مريم:
17-19]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وَكَانَ
جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَةِ
يَحْيَى». (أخرجه أحمد (5857)، ومحمد بن نصر المروزي
في تعظيم قدر الصلاة (372)، وابن بطة في الإبانة (831).
ونؤمن أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون؛ لأنه ليس لهم
شهوات؛ ولذا لما دخلوا على إبراهيم عليه السلام وقدم لهم
الطعام لم يأكلوا، قال الحق سبحانه مخبراً عن ذلك: {فَرَاغَ إِلَى
أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} [الذاريات: 26-28]، وأن
من خلقهم الحياء، قال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ
رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ». (أخرجه مسلم (2401).

وأنهم يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ -وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَّاثَ- فَلَا يَفْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ». (أخرجه البخاري (854)، ومسلم (564) واللفظ له، وأبو داود (3822)، والترمذي (1806)، والنسائي (707)، وابن ماجه (3365).)

ونؤمن أن الله جعل فيهم من القوة والبأس ما لا يُحاط به، قال تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: 20]، وقال المولى جل شأنه: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]، وأرسل الله ملكاً إلى قرى قوم لوط، وهي سبع قرى، فقلبها عليهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ [هود: 82].

ونؤمن أن الملائكة خلق كثير، لا يحصي عددهم إلا الذي خلقهم، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ...». (أخرجه البخاري (3207)، ومسلم (164)، والترمذي (3346)، والنسائي (448).)

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ». (أخرجه الترمذي (2312)، وابن

ماجه (4190)، وابن أبي شيبة (27044)، وأحمد (21516)، والبزار (3924، 3925).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا». (أخرجه مسلم (2842)، والترمذي (2573).

وزعم المشركون أن الملائكة بنات الله، فأكذبهم الله بقوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْتِنَا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصافات: 150]. ورد عليهم قولهم بقوله جل وعلا: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتِنَا أَنْتُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: 40].

باب أعمال الملائكة

ونؤمن أن الله شرفهم، وكلفهم أعمالاً جليلاً وكثيرةً ومتنوعةً، وأشرفها: أن يكونوا رسلاً بين الله وبين عباده يبلغونهم الوحي، والمَلَكُ الموكَّلُ بإنزال الوحي إلى أنبياء الله ورسله عليهم السلام هو جبريل عليه السلام كما قال المولى عز شأنه: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النحل: 102]، وقال تعالى: {وَأَنَّهُ لَنَتَنَزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: 192-195].

وقد يرسلهم الله إلى غير الأنبياء ابتلاء وامتحاناً، كما في قصة ثلاثة نفر من بني إسرائيل، فعن عبدالرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة رضي الله عنه حدثه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى، بَدَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَاتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأَعْطِي لَوْ أَنَّ حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ -أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ، هُوَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الْأَبْرَصَ، وَالْأَقْرَعَ، قَالَ: أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ- فَأَعْطِي نَاقَةً عَشْرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا، وَاتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأَعْطِي شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا، وَاتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي،

فَأَبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الْغَنَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأَنْتَجَ هَذَانِ، وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَاِدٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَاِدٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَاِدٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مَسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبْلُغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرَثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ، وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مَسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى، فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي، فَخَذْتُ مَا شِئْتُ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». (أخرجه البخاري (3464)،

ومسلم (2964).]

ومنهم حملة العرش، قال الرب جل شأنه وتعالى سلطانه:
﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمْنِيَّةٌ﴾
 [الحاقة: 17].

ومن أعمالهم: كتابة القدر، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنْ أَحَدُكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ

ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدٌ». (أخرجه البخاري (3208)، ومسلم (2643)، وأبو داود (4708)، والترمذي (2137)، وابن ماجه (76).)

ومن أعمالهم: القيام على شؤون الأرحام ومن فيها - خلقًا وتصويرًا ونفخًا - فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ، أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ». (أخرجه مسلم (2645).)

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّجِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ نُطْفَةٍ، أَيُّ رَبِّ عَلَقَةٍ، أَيُّ رَبِّ مُضْغَةٍ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَكْتُبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ». (أخرجه البخاري (6595)، ومسلم (2646).)

ومن أعمالهم: قبض أرواح العباد، قال الحق - وقوله الحق: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: 61]، وقال المولى جل شأنه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرُوهُمْ﴾ [محمد: 27].

ومن أعمالهم: نفخ الأرواح في الأجساد في الدنيا وفي الآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً

مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا، فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ»، (أخرجه البخاري (3208)، ومسلم (2643)، وأبو داود (4708)، والترمذي (2137)، وابن ماجه (76).) وقال الله تعالى: {ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [الزمر: 68].

ومن أعمالهم: الجهادُ مع المؤمنين، وتثبيت المؤمنين في ساحات الوغى، وفي معترك الحياة، قال المولى عز شأنه وتعالى سلطانه: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلرُّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال: 12]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِإِبْنِ آدَمَ وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً: فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَأَيْعَادُ بِالْشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فَأَيْعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ} الْآيَةَ [البقرة: 268]». (أخرجه الترمذي (2988)، وابن المبارك في الزهد (1435)، وأحمد في الزهد (854)، وأبو داود في الزهد (164).)

ومن أعمالهم: الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم، قال الولي الحميد: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [غافر: 7].

ومن أعمالهم: شهود عبادات المؤمنين في مواسم الإيمان والخير والأوقات الفاضلة، كيوم الجمعة، ويوم عرفة، وليلة القدر، وصلاتي الفجر والعصر، ورفع كلماتهم الطيبة، وإخبار الرب عن أعمالهم -وهو الخبير العليم الذي لا يحتاج إلى من يخبره- قال الله جل ذكره: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: 78]، وقال الحق سبحانه: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [القدر: 4].

وقال صلى الله عليه وسلم: «يَتَعَقَّبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرِجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ». (أخرجه البخاري (555)، ومسلم (632)، والنسائي (485)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ. قَالَ: فَيُخَفُّونَهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا». (أخرجه البخاري (6408)، ومسلم (2689)).

وتشهد الملائكة مواسم الإيمان كيوم الجمعة ويوم عرفة وليلة القدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ». (أخرجه البخاري (881)، ومسلم (850)، وأبو داود (351)، والترمذي (499)، والنسائي (1388)).

ومن أعمالهم: إبلاغ النبي صلى الله عليه وسلم صلوات أمته، عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَصَلُّوا عَلَيَّ؛

فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». (أخرجه أبو داود (204)،
وأحمد (8804)، والطبراني في الأوسط (8030)، والبيهقي
في الشعب (3865).)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ
فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ». (أخرجه النسائي
(1282)، وعبد الرزاق (3116)، وابن أبي شيبة في
المصنف (8797)، وفي المسند (269)، وأحمد (3666).)
ومن أعمالهم: حفظ بني آدم، قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11]. وقال علي
بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: فَأَلْمُعَقِّبَاتُ:
«هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ». (أخرجه الطبري في
التفسير (13/ 463)، وابن أبي حاتم في التفسير
(12198).)

ومن أعمالهم: كتابة الحسنات والسيئات، قال تعالى: ﴿كِرَامًا
كُتِبَ عَلَيْهِمُ {الانفطار: 11}. وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ
الْأَيْمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾
[ق: 17، 18]، وقال: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: 61]،
وقال تعالى فيهم: ﴿لَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعَ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَثُونَ﴾ [الزخرف: 80]، وقال صلى الله عليه
وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ: فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمَلَهَا
فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا
أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمَلَهَا
فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ». (أخرجه
البخاري (7501)، ومسلم (128)، والترمذي (3073).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً -وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ- فَقَالَ: ارْزُقُوهُ، فَإِنْ عَمَلَهَا فَاكْتُتِبُوا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُتِبُوا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي». (أخرجه مسلم (129)).

ومن أعمالهم: حراسة المدينة النبوية من الدجال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونَ، وَلَا الدَّجَالُ». (أخرجه البخاري (1880)، ومسلم (1379)).

ومن أعمالهم: سؤال الميت في قبره، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبراً عن حال الإنسان إذا وضع في قبره: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». (أخرجه أبو داود (4753)، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1548)، والطيالسي (789)، وعبدالرزاق (6737)، وابن أبي شيبة (12185)).

ومن أعمالهم: أن منهم خازن الجنة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آتِي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك». (أخرجه مسلم (197)). وخازن النار، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يٰمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْنُؤُونَ﴾ [الزخرف: 77]. وقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾

[المدثر: 30، 31]، وقد ثبت في الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزونها». (أخرجه مسلم (2842)، والترمذي (2573). (تفسير القرطبي (80/19).

باب مراتب الملائكة

ونؤمن أن الله جعل للملائكة مقاماتٍ ومرتائب، قال الحق سبحانه مخبراً عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [الصفات: 164-166].

وأعظم الملائكة مقاماً جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ؛ ولذا توسَّل النبي صلى الله عليه وسلم بربوبية الله للثلاثة الأولين منهم، فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تُهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». (أخرجه مسلم (770)، وأبو داود (767)، والنسائي (1625)، وابن ماجه (1357).)

ومن أشرافهم حملة العرش، وكذا مَنْ حضر غزوة بدر من الملائكة، وعن معاذ بن رفاع بن رافع الزرقني عن أبيه رضي الله عنه -وكان أبوه من أهل بدر- قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟» قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ». (أخرجه البخاري (3992).)

وفي كل سماء من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلا الله، وهؤلاء الملائكة لكلٍ منهم مقام معلوم، وفيهم مقربون؛ ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن صعود روح المؤمن

وعروجها بعد موته: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي بِهَا- عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا». (أخرجه أبو داود (3212)، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1548) وأبو داود الطيالسي (789)، وعبد الرزاق (6324)، وأحمد (6737)، وأحمد (18534) واللفظ له.)

كتاب الإيمان بالكتب

ملخص الكتاب

ونؤمن بالكتب، وهي: كتب الله المنزلة على رسله وأنبيائه عليهم السلام والذي نعلم منها هي: صحف إبراهيم وصحف موسى، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، ونؤمن بما علمنا منها وما لم نعلم.

ونؤمن أن كل هذه الكتب هي كلام الله ووحيه، والتوراة كتبها الله بيده. وهذه الكتب أنزلها على رسله عليهم السلام نزل بها جبريل الأمين، وتضمنت الشرائع الإلهية، والأخبار والمواعظ والأوامر والنواهي، وكان كل كتاب في زمنه هو الوحي الذي يجب العمل به، والتحاكم إليه للأمة التي أنزل عليها.

ونؤمن أن بعضها أفضل من بعض، فالتوراة كتبها الله بيده. ونعلم علم اليقين أن الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان، فنؤمن بها كلها، ولا نكون كالذين آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

ونؤمن أن كل الكتب التي سبقت القرآن لم يتكفل الله بحفظها؛ بل وَكَّلَ حفظها إلى القوم الذين أنزلها الله عليهم؛ ولذا دخلها التحريف، وتعرضت هذه الكتب الإلهية للضياع والنسيان، وكتبها المفترون، ونسبوا إلى الله زورًا وبهتانًا، فهم يكتبونها ويتلونهم بالسنتهم إمعانًا في التلبيس على الخلق؛ ليحسبوا من عند الله.

ونؤمن أن القرآن الكريم هو أعظم الكتب الإلهية وأكملها وأشرفها، وهو آخرها، نزل به جبريل عليه السلام على قلب

رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، بلسان عربي مبين، واختار الله له أشرف اللغات؛ وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني؛ فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة، وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه، وأول ما أنزل الله منه قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، ومن أواخر ما نزل منه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، نزل منجماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال سنوات نبوته، ومنه المكي والمدني، وعدد سوره مائة وأربع عشرة سورة، وأعظم سوره «سورة الفاتحة»، و«سورة الإخلاص» تعدل ثلث القرآن، وأعظم آياته آية الكرسي.

وأثنى الله على هذا الكتاب العظيم، وجعله نوراً وهدى ورحمةً للمؤمنين، وموعظةً وشفاءً من أدواء القلوب والأبدان. ونؤمن أن هذا الكتاب العظيم هو أكمل الكتب الإلهية وأشملها، وتضمن من الحجج والبراهين، وضرب الأمثال ما تقوم به الحجة على الخلق إلى قيام الساعة - وقد احتوى على كل ما في الكتب الإلهية السابقة وزاد عليها، وتضمن كل ما يحتاج إليه الخلق من أصول الإيمان والشرائع والبراهين والحكم والمواعظ والأخبار، وهو في غاية الفصاحة والبيان. ومن أعظم الدلالات على أن هذا القرآن كلام رب العالمين، أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، وأنزل عليه أعظم الكتب وأكملها فصاحة وبيانا.

ونؤمن أن القرآن آية باهرة في لفظه ومعناه، وتحدى الله الجن والإنس جميعاً أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة من مثله.

ونؤمن أن هذا القرآن هو كلام الله منزل غير مخلوق، وأنه محفوظ في الصدور، مكتوب في المصاحف، متلو في المحاريب والمساجد، لا يخرج ذلك عن أن يكون كلام الله. وكلام الله صفة من صفاته، وما كان من صفات الله فلا يكون مخلوقاً؛ إذ لو كان مخلوقاً لجرى عليه ما يجري على سائر المحدثات من الفناء والزوال والتغير.

ونؤمن أن هذا القرآن قد تكفل الله بحفظه، ولم يجعل ذلك إلى خلقه، وجعله محكماً غاية الأحكام كما جعله متشابهاً، وبين أن أهل الزيغ يتبعون المتشابه منه، والمؤمنون يؤمنون به كله محكمه ومتشابهه.

وجعله الله حاكماً على جميع الكتب السابقة، ومهيماً عليها، وأن هذا الكتاب يقص علينا أخبار الأمم الماضية، ويفصل بين أهل الكتاب فيما اختلفوا فيه.

ونؤمن أن هذا القرآن العظيم هو كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين، وهذا أمر معلوم من دين المسلمين بالضرورة، وجميع المسلمين العلماء منهم والعامة مجمعون على ذلك، ولم يخالف في ذلك أحد منهم، وقد شهد الله لهذا القرآن بأنه من عنده، وشهدت الملائكة أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد. وشهد أهل الكتاب المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر الله هذه الشهادة في محكم تنزيله. وشهد شاهد الجن بأن هذا القرآن تنزيل من عند الله وأنه موافق لما جاء به موسى عليه

السلام ، وشهد كفار قريش أن هذا القرآن ليس من كلام البشر ، وأنه مخالف لكلامهم.

ونؤمن أن ما تضمنه القرآن من علوم إلهية، وأحكام شرعية، وآداب مرعية - أن ذلك مستقر في الفطر، موافق لما جاءت به الأنبياء عليهم السلام، وكل الأصول التي ورد التأكيد عليها في القرآن هي التي دعا إليها المرسلون، وأكدوا عليها.

والقرآن العظيم موافق لما يريده الله سبحانه وتعالى من الخلق، وموافق لما يريده الخلق من الخالق؛ ذلك لأن الله هو الخالق، فيعلم ما يحتاج إليه العباد، ويعلم ما يصلح أديانهم وأبدانهم وأموالهم وديارهم، وما أمر بشيء إلا وفي أمره غاية المصلحة، ولا نهى عن أمر إلا وفي نهيه غاية الاحتياط والحماية.

والقرآن الكريم موافق لما تقتضيه العقول، ولذا لما ذكر الله أصول المحرمات في «سورة الأنعام» ختمها بقوله: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.

والأدلة التي جاء بها القرآن الكريم أدلة في غاية البيان والفصاحة والقوة والقرب واليسر، يفهمها كل أحد، ولا يستطيع أن ينقضها أحد أو يرددها، وهذا لا يعرف في كلام أحد من البشر، وأدلتها لا يمكن -بحال من الأحوال- أن تدل على باطل. والقرآن العظيم هو كلام رب العالمين، ومع ذلك فهو ميسر لكل أحد، ولم يكن من معهود البشر أن يكتب الواحد منهم كتابًا، فيكون ميسرًا لكل أحد، ومخاطبًا به كل أحد، فهذا لا يكون إلا لهذا الكتاب الكريم.

والقرآن العظيم محفوظ من التغير والاختلاف، وكتب الله له البقاء والخلود إلى قيام الساعة، وهذا البقاء والخلود وعدم التغير يدل على أنه تنزيل من حكيم حميد، ومع بقاءه وخلوده وحفظه، ومع تجدد العلوم والفنون والمكتشفات، لم نجد أن علماً تضمن خلاف ما جاء به القرآن، بل العلوم توافق القرآن فيما ورد في القرآن ذكره، كخلق السموات، وخلق الإنسان، وغير ذلك.

والقرآن هادٍ للتي هي أقوم، شامل لكل خير، فهو شامل للخبر عن الخالق والمخلوق، والدنيا والآخرة، والجن والإنس، والأوامر والنواهي والآداب والواجبات، والجنة والنار، فهو شامل للإيمان والعمل والجزاء.

والقرآن الكريم شفاء للأدواء، ولا يعرف في كلام البشر كلام يكون فيه الشفاء من أدواء القلوب والأبدان، كما في هذا القرآن العظيم الذي هو كلام رب العالمين.

والقرآن يقص علينا أخبار الأمم الماضية كما وقعت، ولم تكن أخبارهم منتشرة بين أهل مكة، فقصها الله علينا كما هي، وهذا شاهد على أن هذا التنزيل من حكيم حميد.

والقرآن العظيم الذي تضمن غاية البيان والفصاحة والأخبار الغيبية والشرائع الربانية جاء به رسول أمي لا يقرأ ولا يكتب، وهذا دالٌّ على أنه تنزيل من حكيم حميد. والسورة الواحدة من القرآن الكريم تنزل في أوقات متباعدة، وفي أماكن مختلفة، ومع ذلك تقرأ السورة كأنما أنزلت مرة واحدة، وجرت العادة أن البشر تتفاوت ملكاتهم، وتختلف أساليبهم إذا صنفوا الكتب في أوقات متباعدة.

والرسول صلى الله عليه وسلم قد آتاه الله السنة كما آتاه القرآن: ومن نظر في القرآن والسنة علم أن بينهما من التفاوت ما لا يخفى.

وأن القرآن تضمن توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما ينبغي أن يكون، أو ما يجب أن يفعله.

باب وجوب الإيمان بالكتب

ونؤمن بالكتب، وهي كتب الله المنزلة على رسله وأنبيائه عليهم السلام.

والذي نعلم منها هي: صحف إبراهيم، وصحف موسى، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن. ونؤمن بما علمنا منها وما لم نعلم.

ونؤمن أن كل هذه الكتب هي كلام الله ووحيه، أنزلها على رسله عليهم السلام نزل بها جبريل الأمين، وتضمنت الشرائع الإلهية، والأخبار والمواعظ والأوامر والنواهي. وكان كل كتاب في زمنه هو الوحي الذي يجب العمل به، والتحاكم إليه. ونؤمن أن بعضها أفضل من بعض، فالتوراة كتبها الله بيده، قال الحق جل في علاه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 145]، وقال صلى الله عليه وسلم مخبراً عن آدم أنه قال لموسى عليهما السلام: «يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ»، (أخرجه البخاري 6614)، ومسلم (2652)، وأبو داود (4701)، والترمذي (2134)، وابن ماجه (80). وقال الله في التوراة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيهَا هُدًى وَنُورًا يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: 44]. وقال الحق في الإنجيل: ﴿وَعَائِيتُهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46].

والإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان بالله، قال المولى جل شأنه: ﴿عَٰمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ

رُسُلُهُ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. [البقرة: 285]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»، (أخرجه البخاري 4777)، ومسلم (9)، وابن ماجه (64). ولا نكون كالذين آمنوا ببعضها، وكفروا ببعض، كما أخبر الله عنهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 150]، أو كالذين كذبوا بالكتب التي أنزلها الله على رسله، حيث قال الحق مخبراً عنهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 70]. ونؤمن أن كل الكتب التي سبقت القرآن لم يتكفل الله بحفظها؛ بل وَكَّلَ حفظها إلى القوم الذين أنزلها الله عليهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: 44]؛ ولذا دخلها التحريف، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: 13].

وتعرّضت هذه الكتب الإلهية للضياع والنسيان، وكتب المفترون ما كتبوا ونسبوا إلى الله زوراً وبهتاناً، قال الحق جل في علاه: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ رَأْيَ بَعْضٍ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79]، ويتلون بها بالسنتهم إمعاناً في التلبيس على الخلق؛ ليحسبوا من عند الله، قال الله مخبراً عن ذلك بقوله

تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ
وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78].

باب الإيمان بالقرآن العظيم

ونؤمن أن القرآن الكريم هو أعظم الكتب الإلهية وأكملها وأشرفها، وهو آخرها، نزل به جبريل عليه السلام على قلب رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزْلُ رُبِّ الْعَلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: 192-194]، واختار الله له أشرف اللغات، فأنزله بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]. قال ابن قتيبة: «وإنما يعرف فضل القرآن مَنْ كَثُرَ نَظَرُهُ، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصَّ الله به لغتها دون جميع اللغات؛ فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان، واتساع المجال، ما أوتيته العرب خصيصي من الله؛ لما أرهصه في الرسول صلى الله عليه وسلم، وأراد من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب، فجعله علمه، كما جعل علم كل نبي من المرسلين، من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه». (تأويل مشكل القرآن (ص: 17).

وأول ما أنزل الله منه: قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت في أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم: حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ جِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: «اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {
[العلق: 1-3]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَرْجِفُ فُؤَادُهُ. (أخرجه البخاري (3)، ومسلم (160)،
والترمذي (3632).) ومن أواخر ما نزل منه: قوله تعالى:
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا) [المائدة: 3]».

وقد نزل القرآن منجماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلال سنوات نبوته، ومنه المكي والمدني، وعدد سوره مائة
وأربع عشرة سورة، وأعظم سوره «سورة الفاتحة»، فعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال: بَيَّنَّمَا جِبْرِيلُ قَاعِدُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا
بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتِيحَ الْيَوْمِ لَمْ يَفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ،
فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ،
وَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُوْتَاهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ،
وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ».
(أخرجه مسلم (806)، والنسائي (912).) و«سورة
الإخلاص» تعدل ثلث القرآن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه
قال: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَقْرَأْ
عَلَيْكُمْ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ»، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ { حَتَّى
خَتَمَهَا. (أخرجه مسلم (812).)

وأعظم آياته آية الكرسي، فعن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي
أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.
قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»

قَالَ: قُلْتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]. قَالَ:
فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».
(أخرجه مسلم (810)، وأبو داود (1460)).

وأثنى الله على نفسه بإنزال هذا الكتاب، فقال جل ثناؤه:
{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف:
1]. كما أثنى سبحانه وتعالى على هذا الكتاب العظيم، فقال
الحق جل شأنه وتعالى سلطانه: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ
لَرَأَيْنَاهُ خُسْفًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: 21]، وقال سبحانه أيضاً: {وَلَوْ أَنَّ
قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى}
[الرعد: 31]، وجعله هدى ورحمة للمؤمنين، قال الله تعالى:
{هَذَا بَصِيرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الباقية: 20]،
وموعظة وشفاء من أدواء القلوب والأبدان، فقال الحق جل
شأنه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي
الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 57]، وقال سبحانه
وتعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ
الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: 82].

ونؤمن أن هذا الكتاب العظيم هو أكمل الكتب الإلهية
وأشملها، وتضمن من الحجج والبراهين، وضرب الأمثال ما
تقوم به الحجة على الخلق إلى قيام الساعة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا
النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} [النساء:
174]، وقال الحق جل في علاه: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ
بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: 33]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}

[الإسراء: 89]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: 41]، قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ لهؤلاء المشركين المفترين على الله {في هذا القرآن} العبر والآيات والحجج، وضربنا لهم فيه الأمثال، وحذرناهم فيه، وأنذرناهم {لِيَذَكَّرُوا} يقول: ليتذكروا تلك الحجج عليهم، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون، ويعتبروا بالعبر، فيتعظوا بها، وينبؤوا من جهالتهم، فما يعتبرون بها، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذر». (تفسير الطبري (17/453)).

وقد احتوى هذا القرآن العظيم على كل ما في الكتب الإلهية السابقة، وزاد عليها، قال تعالى: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: 115]، وتضمن كل ما يحتاج إليه الخلق من أصول الإيمان والشرائع والبراهين والحكم والمواعظ والأخبار، قال الحق جل شأنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 3]، وهو في غاية الفصاحة والبيان، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ [الزمر: 23]. وقال صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ». (أخرجه البخاري (2977)، ومسلم (523)، والترمذي (1553)، والنسائي (3087)).

ومن أعظم الدلالات على أن هذا القرآن كلام رب العالمين: أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، وأنزل عليه أعظم الكتب وأكملها فصاحة وبيانًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا

كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿العنكبوت: 48﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

ونؤمن أن القرآن آية باهرة في لفظه ومعناه، وتحدى الله الجن والإنس جميعاً أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة، فتبارك الله رب العالمين، قال الحق جل شأنه: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13]. وقال المولى عز شأنه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23].

ونؤمن أن هذا القرآن قد تكفل الله بحفظه، ولم يجعل ذلك إلى خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفَةٍ تَنْزِيلٍ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، وجعله محكماً كله من حيث الإحكام العام، قال المولى عز شأنه: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ ءَايَتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1]، كما جعله متشابهاً كله، فقال الحق سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: 23]، وجعل منه المحكم والمتشابه، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

[7]، وبين أن أهل الزيف يتبعون المتشابه منه، والمؤمنون يؤمنون به كله محكمه ومتشابهه.

وجعله الله حاكماً على جميع الكتب السابقة، ومهيماً عليها، قال المولى عز شأنه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]. وبين الحق أن هذا الكتاب يقص علينا أخبار الأمم الماضية، كما في قول الحق جل شأنه: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: 102]، ومثلها كثير، والقرآن يفصل بين أهل الكتاب فيما اختلفوا فيه، قال المولى عز شأنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: 76].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على منبره: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَضَعُوهُ عَلَى مَوَاضِعِهِ، وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ. (أخرجه أحمد في الزهد (191)، والدارمي (3398)، وعبدالله بن أحمد في السنة (117)، والآجري في الشريعة (155) واللفظ له، وابن بطة في الإبانة (23)). وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، فَلَا تَصْرِفُوهُ عَلَى آرَائِكُمْ». (أخرجه الآجري في الشريعة (156)).

وَعَنْ فَرْوَةَ بِنِ نَوْفَلٍ الْأَسْجَعِيِّ قَالَ: «كَانَ خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِي جَارًا، فَقَالَ لِي يَوْمًا: يَا هَنَاءُ، تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا اسْتَطَعْتَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَسْتَ تَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ». (أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: 77)، وابن أبي شيبة (30722)، وأحمد في الزهد (192)،

وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (160)،
وعبدالله بن أحمد في السنة (111).

ونؤمن أن هذا القرآن هو كلام الله، منزل غير مخلوق، وأنه محفوظ في الصدور، قال الحق جل شأنه: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 49]، وسواء كان مكتوباً في المصاحف، أو متلوّاً في المحاريب والمساجد، فلا يخرج ذلك عن أن يكون كلام الله، قال الله جل في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: 29]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَفَرْعٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: 77-80].

والقرآن العظيم كلام الله، وكلامه صفة من صفاته، وما كان من صفات الله فلا يكون مخلوقاً؛ إذ لو كان مخلوقاً لجرى عليه ما يجري على سائر المحدثات من الفناء والزوال والتغير، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، وقال الحق جل في علاه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 6].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَّامَّةٍ». (أخرجه البخاري (3371)،

وأبو داود (4737) وقال: هذا دليل على أن القرآن ليس بمخلوق، والترمذي (2060)، وابن ماجه (3525).
وحكى إسماعيل بن أبي أويس إجماع أهل المدينة على أن القرآن غير مخلوق، فقال: «كان مالك وعلماء أهل بلدنا يقولون: القرآن من الله، وليس من الله شيء مخلوق، وعلماء أهل المدينة في وقت مالك بن أنس: محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب، وعبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون، وأبو بكر بن أبي سبرة، وإبراهيم بن سعد الزهري، وسعيد بن عبدالرحمن الجمحي، وحاتم بن إسماعيل، وعبدالله بن عبدالعزيز العمري الزاهد، وأبو ضمرة أنس بن عياض، ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (300/2)).

وقال شعيب بن حرب: قلت لأبي عبدالله سفيان بن سعيد الثوري: «حدثني بحديث من السنة ينفعني الله عز وجل به، فإذا وقفت بين يدي الله تبارك وتعالى وسألني عنه، فقال لي: من أين أخذت هذا؟ قلت: يا رب حدثني بهذا الحديث سفيان الثوري، وأخذته عنه، فأنجو أنا، وتؤاخذ أنت. فقال: يا شعيب، هذا توكيد، وأي توكيد، اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (170/1)).

وقال الإمام ابن جرير الطبري: «حدثنا ابن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود». (صريح السنة، للطبري (ص: 19)).

وعن الحسن بن أيوب قال: «سمعت أحمد بن حنبل يقول عن الفريابي قال: سمعت الثوري - يعني سفيان - يقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو زنديق». وعن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: بلغني عن إبراهيم ابن سعد، وسعيد بن عبدالرحمن الجمحي، ووهب بن جرير، وأبي النضر هاشم بن القاسم، وسليمان بن حرب قالوا: القرآن ليس بمخلوق». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (277/2)).

وبوّب إمام الأئمة محمد بن خزيمة رحمه الله على هذه المسألة، فقال: «باب من الأدلة التي تدل على أن القرآن كلام الله الخالق، وقوله غير مخلوق». (التوحيد، لابن خزيمة (404/1)).

وقال أبو سعيد الدارمي: «ففي هذه الأحاديث بيان أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه ليس شيء من المخلوقين من التفاوت في فضل ما بينهما كما بين الله وبين خلقه في الفضل؛ لأن فضل ما بين المخلوقين يستدرك، ولا يستدرك فضل الله على خلقه، ولا يحصيه أحد، وكذلك فضل كلامه على كلام المخلوقين، ولو كان كلامًا مخلوقًا لم يكن فضل ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه، ولا كعشر عشر جزء من ألف ألف جزء ولا قريبًا ولا قريبًا، فافهموه؛ فإنه ليس كمثله شيء، فليس ككلامه كلام، ولن يؤتى بمثله أبدًا». (الرد على الجهمية، للدارمي (ص: 188)).

وعن أبي يوسف رحمه الله أنه قال: «أما القرآن فإنه كلام الله تعالى، ووحيه وتنزيله، على هذا وجدت أبا حنيفة والأئمة،

ولم يكن عندهم مخلوقًا، ولا خالقًا». (الاعتقاد، للنيسابوري
(ص: 135).

باب القرآن الكريم تنزيل رب العالمين

ونؤمن أن هذا القرآن العظيم هو كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، وهذا أمر معلوم من دين المسلمين بالضرورة، والمسلمون مجمعون على ذلك، ولم يخالف في ذلك أحد منهم. وهذا الأمر -وهو كونه من رب العالمين- تدل عليه أدلة كثيرة لا يمكن حصرها، ولا الإحاطة بها، فمنها:

شهادة الله لهذا القرآن بأنه من الله، قال الحق - وقوله الحق: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19]، وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: 166].

ومنها: شهادة الملائكة أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166].

ومنها: أنه موافق لما جاءت به الأنبياء عليهم السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166]. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23]. إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 39].

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: 3]. فكل هذه الأصول التي ورد التوكيد عليها هي التي دعا إليها المرسلون وأكّدوا عليها.

ومنها: شهادة أهل الكتاب المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر الله هذه الشهادة في محكم تنزيله، فقال جل من قائل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: 10]. وفي «الصحيحين» من خبر ورقة بعدما أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بما رأى «فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى». (أخرجه البخاري (3392)، ومسلم (160)).

وفي خبر جعفر رضي الله عنه حينما سأله النجاشي: هل معك شيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فقرأ عليه، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: «وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ وَالْكَلَامَ الَّذِي جَاءَ مُوسَى لِيُخْرِجَ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ مِصْرَ وَاحِدَةٍ». (أخرجه إسحاق بن راهويه (1835)، وأحمد (22498)، وابن خزيمة (2260)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (5598)، وأبو نعيم في الحلية (1/ 115)، وفي دلائل النبوة (194)).

ومنها: شهادة الجن بأن هذا القرآن تنزيل من عند الله، وأنه موافق لما جاء به موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يُقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: 29، 30]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1، 2].

ومنها: شهادة كفار قريش أن هذا القرآن ليس من كلام البشر، وأنه مخالف لكلامهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَانَهُ رَقٌّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنَّ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قَبْلَهُ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ قَرِيشَ أَتِي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ، أَوْ أَنَّكَ كَارُهُ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟! فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشُّعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْحِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُسَبِّهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُنْمِرٌ أَعْلَاهُ مُعْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطُمُ مَا تَحْتَهُ». (أخرجه الحاكم (3872)، والبيهقي في الشعب (133)، وفي دلائل النبوة (2/ 198).)

ومنها: أن القرآن العظيم موافق لما يريد الله سبحانه وتعالى من الخلق، قال المولى عز شأنه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

ومنها: أن ما تضمنه القرآن من معارف إلهية، وأحكام شرعية، وآداب مرعية كله مما استقر في الفطر، قال الحق جل في علاه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30].

ومنها: أن القرآن العظيم موافق لما فيه صلاح الخلق؛ ذلك لأن الله هو الخالق، فيعلم ما يحتاج إليه العباد، ويعلم ما يصلح أديانهم وأبدانهم وأموالهم وديارهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: 14]. وما أمر إلا وفي أمره غاية المصلحة، ولا نهى إلا وفي نهيه غاية الاحتياط والحماية.

ومنها أن القرآن الكريم موافق لما تقتضيه العقول؛ ولذا لما ذكر الله أصول المحرمات في «سورة الأنعام» ختمها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنَا ذُنُوبٌ قَاتِلٌ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ إِلَّا مَا عَلَّمْتُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 151].

وخطاب القرآن لأولي الألباب أكثر من أن يحصر، كما أن الله كثيراً ما يطلب من العباد التفكير والنظر والاعتبار فيما يأمر به، أو ينهى عنه.

ومنها: أن الأدلة التي جاء بها القرآن الكريم أدلة في غاية البيان والفصاحة والقوة والقرب واليسر، يفهما كل أحد، وهذا لا يعرف في كلام أحد من البشر، كما في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 61]. وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]، كما أن أدلته لا يمكن -بحال من الأحوال- أن تدل على باطل، ومن قوة أدلته أنه لا يمكن نقضها أو ردها، قال تعالى:

{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوْفًا} [الإسراء: 81].

ومنها: أن القرآن العظيم -وهو كلام رب العالمين- ميسر لكل أحد، قال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر: 17]. ولم يكن من معهود البشر أن يكتب الواحد منهم كتاباً فيكون ميسراً لكل أحد، ومخاطباً به كل أحد، فهذا لا يكون إلا لهذا الكتاب الكريم.

ومنها: أن القرآن العظيم محفوظ من التغيّر والتبديل، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]. وكتب الله له البقاء والخلود إلى قيام الساعة، فهذا البقاء والخلود وعدم التغيّر يدل على أنه تنزيل من حكيم حميد، قال الحق: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82].

ومع بقاءه وخلوده وحفظه ومع تجدد العلوم والفنون والمكتشفات، لم نجد أن علماً تضمن خلاف ما جاء به القرآن، بل العلوم توافق القرآن فيما ورد في القرآن ذكره، كخلق السموات، وخلق الإنسان وغير ذلك.

ومنها: أن القرآن هادٍ للتي هي أقوم، شامل لكل خير، فهو شامل للخبر عن الخالق والمخلوق، والدنيا والآخرة، والجن والإنس، والأوامر والنواهي والآداب والواجبات، والجنة والنار، فهو شامل للإيمان والعمل والجزاء، قال تعالى: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 38]، وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: 9].

ومنها: أن القرآن الكريم شفاء للأدواء، قال تعالى: ﴿بِآيَاتِهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]. ولا يعرف في كلام البشر كلام يكون فيه الشفاء من أدواء القلوب والأبدان، كما في هذا القرآن العظيم الذي هو كلام رب العالمين.

ومنها: أن الله تحدى الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بمثل سورة منه، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38]، وبين أنه لا ريب فيه، فقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 37].

ومنها: أن هذا القرآن يقص علينا أخبار الأمم الماضية كما وقعت، ولم تكن أخبارهم منتشرة بين أهل مكة، فقصها الله علينا، كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ وَإِن كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3]. وهذا شاهد على أن هذا التنزيل من حكيم حميد.

ومنها: أن هذا القرآن العظيم الذي تضمن غاية البيان والفصاحة والأخبار الغيبية والشرائع الربانية جاء به رسول أمي لا يقرأ ولا يكتب، قال المولى جل شأنه: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِّن كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: 157].

ومنها: أن السورة الواحدة من القرآن الكريم تنزل في أوقات متباعدة وفي أماكن مختلفة، ومع ذلك تقرأ السورة كأنما أنزلت

مرة واحدة، وجرت العادة أن البشر تتفاوت ملكاتهم، وتختلف أساليبهم إذا صنفوا الكتب في أوقات متباعدة.

ومنها: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد آتاه الله السنة كما آتاه القرآن، قال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ». (أخرجه أبو داود (4604)، والترمذي (2664)، وابن أبي شيبة في المصنف (24816) وفي المسند (927)، وأحمد (17174).)

ومنها: أن القرآن تضمن توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما ينبغي أن يكون، أو ما يجب أن يفعله، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كُتِبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقٌ لِّمَسِّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 68]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: 1]، وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّه يُزَكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَعْنَى * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى﴾ [عبس: 1-7]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 74، 75]، ولو كان القرآن من عند الرسول صلى الله عليه وسلم لما سجَّل هذا على نفسه؛ فلما ورد فيه مثل هذا التوجيه الكريم للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ دل قطعًا على أنه ليس من عنده، بل هو من عند العليم الحكيم.

كتاب الرسل والأنبياء - عليهم السلام-

ملخص الكتاب

ونؤمن أن الإيمان بالرسل عليهم السلام هو الركن الرابع من أركان الإيمان بالله تعالى.

ونؤمن أن أساس دعوة الرسل عليهم السلام هو العلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنهم كلهم بُعثوا بالتوحيد ودَعَوْا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، فالأنبياء والمرسلون أكمل الناس توحيدًا وإيمانًا، وهم أعلم الخلق بالخالق سبحانه وتعالى وما يجب له وما يمتنع عليه سبحانه وتعالى.

وكل نبي دعا قومه إلى أصلين عظيمين، هما: عبادة الله وحده، والإيمان باليوم الآخر وما أعد الله فيه من النعيم لأوليائه، والعذاب لأعدائه.

ونؤمن أن الأنبياء عليهم السلام متفقون في الأصول الكبرى التي دعوا إليها، فكلهم دعا إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وكلهم دعا إلى أصول العبادات، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأصول الأخلاق الحمودة، ونهوا عن أصول الأخلاق المذمومة، فالأنبياء عليهم السلام متفقون في الأصول، أما الشرائع التي دعوا إليها فمختلفة في أحكامها وتفصيلها.

ونؤمن أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام وتصديقهم في كل ما أخبروا به من الغيب، وطاعتهم فيما أمروا به، والانتفاء عن كل ما نهوا عنه، ومحبتهم وتوقيرهم والاقتداء بهم، والشهادة لهم بأنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا

لله ولعباده، وجاهدوا في الله حق جهاده، ويجب على كل أمة العمل بشريعة الرسول الذي أرسل إليها، ويجب على هذه الأمة -أمة محمد صلى الله عليه وسلم- من الجن والإنس العمل بشريعة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه مرسل إلى جميع الثقلين.

وكل الأنبياء والرسل عليهم السلام جاؤوا لإخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل، وإن كانوا في عزٍّ من الدنيا وسلطان وقوة وبأس وحرث ومصانع.

ونؤمن أن الله أرسلهم مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ونؤمن أن الله قد أرسل في كل أمة رسولاً. فمن علمنا اسمه منهم وجب الإيمان به، ومن لم نعلم اسمه منهم نؤمن به إجمالاً. فالإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام واجب على كل مسلم ومسلمة، ومن كفر بنبي واحد فقد كفر بجميع الأنبياء عليهم السلام.

ونؤمن أن الله يرسل رسله إلى من شاء من عباده وفق ما تقتضيه حكمته، فلا معقب لحكمه، يفعل ما يشاء ويختار.

ونؤمن أن النبوة مئة إلهية، ورحمة ربانية يهبها الله لمن شاء من عباده، فالله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس.

والأنبياء والرسل عليهم السلام فيما بينهم متفاضلون، وأفضلهم أولو العزم، وأفضل أولي العزم الخليلان: إبراهيم، ومحمد عليهما السلام، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التفضيل بين الأنبياء إذا كان على سبيل الحمية والعصية أو التنقص، وكما اتخذ الله إبراهيم ومحمدًا عليهما السلام خليلين، فقد اختار الله موسى عليه السلام واصطفاه على الناس برسالاته وبتكليمه، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد نال شرف مرتبة الخلّة، وشرف أن كلمه ربه من وراء حجاب ليلة أسري به صلى الله عليه وسلم، فيكون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد نال شرف الخلّة، وشرف التكليم.

ونؤمن أن الأنبياء أفضل البشر، ولا يبلغ أحد مرتبة النبي، لا ولي ولا غيره، ولا يجوز تفضيل أحد من البشر على أحد من الأنبياء، وليست النبوة كسبًا، ولا ينالها العبد بالاجتهاد بالطاعة، ولا بتزكية النفس والمجاهدة وتطهير القلب وتنقيته وتهذيب السلوك.

ونؤمن أن الله لم يرسل إلا رجالًا، ونعلم أن الرسل والأنبياء عليهم السلام بشر كبقية البشر، وهم أكمل البشر في أديانهم وعقولهم وأخلاقهم، لكنهم يوحى إليهم، وهم معصومون فيما يبلغونه عن أمر الله، وإذا اجتهد النبي فيما لم يوح إليه فيه شيء ولم يصب، فإن الله لا يقره على اجتহاده، بل ينتزل عليه الوحي لتسديده.

والرسل والأنبياء عليهم السلام لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، مع أن لهم المنزلة العالية، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود في الدنيا والآخرة، وإذا كانوا لا يملكون لأنفسهم نفعًا

ولا ضرراً فلا يملكون لغيرهم من باب الأولى، وإذا كانوا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم -حال حياتهم- نفعاً ولا ضرراً فهم إذاً من باب الأولى لا يملكون لغيرهم نفعاً ولا ضرراً، بعد وفاتهم. ولا يعلمون الغيب إلا على قدر ما أطلعهم الله عليه وأذن لهم فيه.

والأنبياء والمرسلون عليهم السلام يعبدون الله خوفاً وطمعاً، ويبتغون إليه الوسيلة ويتقربون إليه سبحانه وتعالى.

ونؤمن أن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يتعرضون لما يتعرض له البشر من البلاء والمرض، ويصيبهم الحزن والموت، وأنهم لهم أزواج وذرية، وأنهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، ونعلم أن المسيح عليه السلام رفعه الله حياً لما أراد قومه قتله.

ونشهد أنهم قد نصحوا للخلق، وأدوا الأمانة، وبلغوا رسالات ربهم، ولا يضرهم أن الأتباع لم يستجيبوا، ولا أن الملائكة استكبروا عليهم.

ونؤمن أن الله قد أتى كل نبي من الآيات والحجج ما على مثلهما يؤمن البشر.

ونؤمن أن الله ما بعث نبياً، إلا ومعه آية تدل على صدقه، سواء علمناها أو لم نعلمها، وقد ذكر الله لنا جملة منها في القرآن الكريم. ونعلم -أيضاً- أن هناك آيات كثيرة أيد الله بها رسله السابقين، ولم يذكرها الله لنا، وتارة يذكر الله الآيات البينات، وتارة يذكر السلطان، ونعلم أن الآيات والحجج التي أيد الله بها رسله وأنبياءه عليهم السلام كثيرة جداً.

وأعظم الأدلة الدالة على صدقهم هي ما يدعون إليه من التوحيد المستقر في الفطر الذي تشهد العقول على حسنه، وما جاؤوا به من العلم النافع والعمل الصالح والهدى ودين الحق والميزان. وشهادة الله لرسله أنهم على الحق، وأن ما جاؤوا به هو الحق. ومن أعظم آياتهم الوحي الذي ينتزل عليهم من الله، وأعظم الوحي هو القرآن العظيم آية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الوحي لا يمكن أن يأتي البشر بمثله؛ لأنه كلام الله ووحيه، ولما فيه من الأنباء الغيبية، ولما فيه من الهدى والنور والرحمة والحكمة.

ومما أيد الله به رسله عليهم السلام البراهين العقلية التي يمدهم الله بها، فنبهت الكافر، وتزهق باطله.

ومن أعظم آياتهم إخبارهم بالغيوب التي يأذن الله لهم في الإخبار عنها. ومنها: نجاة الأنبياء السابقين عليهم السلام ونجاة أتباعهم من مكر أعدائهم، وهلاك المعاندين المستكبرين، وتذكير الله للمدعويين بما فعل بالسابقين، وأن سنة الله ماضية. ومنها: كمال خصالهم، وحسن أخلاقهم وأفعالهم وسيرتهم، وصدق أقوالهم مما يمتنع معه عليهم الكذب. ومنها: التواتر العظيم في نقل آيات الأنبياء، وما جاؤوا به من العلم والهدى ودين الحق، مما يستحيل معه أن يتواطؤوا على نقل الكذب. ومنها: أنهم لا يطلبون أجرًا على رسالاتهم، ولا يبتغون ملكًا. ومنها: أنه لا يوجد من قدح في نبوة الأنبياء إلا جاهل لم ينظر فيما جاؤوا به من الدين والعلم والهدى، أو معاند مستكبر.

ومن أعظم آياتهم ما يكون برهانًا حسيًا تراه العيون، وتسلم له العقول، كغرق قوم نوح، وناقاة صالح، وتحدي هود أن يكيد

قومه أجمعون، ونجاة إبراهيم من النار، وآيات موسى، ومنها: العصا، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطوفان، وغرق فرعون وقومه، وآيات داود عليه السلام كتسبيح الجبال وإلانة الحديد، وآيات سليمان عليه السلام وتسخير الريح والجن له، ومعرفة منطق الطير، وآيات المسيح عليه السلام كشفاء الأبرص والأكمه والأعمى، وإحياء الموتى، وأنه كان يعمل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه بإذن الله فيكون طيرًا، وآيات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي كثيرة لا تحصى إلا بالكلفة، كانشقاق القمر، والإسراء والمعراج، وتكثير الطعام، وحديث الدواب، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، ونصر الله له على أعدائه.

ومن آيات الأنبياء: حال النبي الداعي إلى الحق؛ فإن الناس يميزون بين الداعي إلى الحق الصادق في قوله، والدَّعِيّ الكاذب في قوله...إلى غير ذلك من الآيات.

وآيات الأنبياء كلها اندثرت عدا القرآن العظيم، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهما باقيان؛ لأنهما وحي تكفل الله بحفظه، وفيهما أعظم الدلائل والبراهين على صدق الرسالة، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن أن الله يؤيد رسله عليهم السلام بما تقتضيه حكمته من الآيات والبراهين الكونية والشرعية، فيهدي الله من شاء بفضله، ويضل من شاء بعدله، ولكن المعاند لا تزيده الآيات إلا عنادًا واستكبارًا.

ونؤمن أن الله لو أراد لهدى الناس جميعًا.

ونؤمن أن دلائل الأنبياء والآيات التي جاؤوا بها والبراهين التي أمدهم الله بها يستحيل أن يأتي بها مدَّعٍ للنبوة، أو ساحر أو كاذب؛ لأن الله قضى ألا ينصر المبطلُ بدليل صحيح، ولا يصدّق الكاذب ببرهان صادق؛ لأنه الحكيم في شرعه وأمره، وحكمة الله وسنته الجارية تمنع ذلك.

ونؤمن أن نبينا محمد بن عبدالله هو رسول رب العالمين، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو سيد ولد آدم، وهو خليل رب العالمين.

ونعلم أنه أوتي من الآيات ما لم يُؤت مثله أحدٌ من الرسل عليهم السلام وأعظم آياته القرآن الكريم، وأول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وأول ما أنزل عليه منه صدر «سورة العلق»، وأنزل عليه بعدها «المدثر»، ثم حمي الوحي وتتابع، وأنه مكث في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى التوحيد، وأقام بالمدينة عشر سنوات يبين شرائع الله، ويدعو إلى دينه، ويجاهد في سبيله، حتى توفاه الله عن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي. ونعلم أن من أعظم آياته بعد القرآن العظيم الإسراء والمعراج. ومن آياته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، وخصه الله بخصائص كثيرة، وهذه الخصائص ذكرها العلماء في ثنايا مصنفاتهم تارة، وتارة يفردون لها مصنفاتٍ مستقلةً. ونؤمن أنه يجب على كل أحد من الجن والإنس الإيمان به، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر.

ونؤمن بأنه يجب ألا يعبد الله إلا بما شرع. وقد حذر الحق من مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم، وأمر الحق بتوقيره ومحبته، وأنه يجب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحبَّ إلى المرء من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين.

ونؤمن أن الله قرن ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بذكره سبحانه في الشهادتين وفي الأذان، وقد استفاض ذكره

صلى الله عليه وسلم في الكتب الإلهية السابقة، وفي القرآن العظيم، وصنف أئمة الإسلام المصنفات المتنوعة في بيان سنته، وسيرته، وشمائله، وأخلاقه، وغزواته.

ونؤمن أن الله أرسله إلى الخلق كافة، فهو رسول الله إلى الثقلين: الجن والإنس، وصرف الله إليه نفراً من الجن يستمعون إليه؛ ليكونوا منذرين مَنْ وراءهم من قومهم، ولتقوم الحجة عليهم، وأخذ الله الميثاق على كل نبي من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام: لئن بُعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به.

ونؤمن أن الأنبياء بشرت به أقوامها، ووردت صفاته صلى الله عليه وسلم وصفات أصحابه رضي الله عنهم في التوراة والإنجيل، وبشّر به المسيح عليه السلام -على وجه الخصوص- بني إسرائيل، وكان بنو إسرائيل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. ومن علامات نبوته صلى الله عليه وسلم التي كانت معروفة عند أهل الكتاب خاتم النبوة على كتفه الشريف. ونؤمن بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم ولذا أرسل الكتب إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم وتصديقه.

ونؤمن أن الله زوى لنبينا صلى الله عليه وسلم الأرض، فرأى منها ما سيبلغه ملك أمته منها.

ومن أدلة عموم رسالته صلى الله عليه وسلم أن نصارى نجران نكلوا عن مباہلتة، وقبلوا أداء الجزية إليه وهم صاغرون؛ لعلمهم أنه نبي.

ومن أدلة عموم رسالته صلى الله عليه وسلم إسلام كثير من أبحار اليهود ورهبان النصارى، بل الآلاف المؤلفة من أهل الكتاب. ومن أدلة عموم رسالته صلى الله عليه وسلم أنه غزا الروم، وأمر أصحابه بجهاد الفرس والروم من بعده. ومن أدلة عموم رسالته صلى الله عليه وسلم أنه وعد سرقة بأنه سيلبس سوارى كسري، فلبسهما في خلافة عمر رضي الله عنه.

ونعلم علم اليقين أن الله اقتضت حكمته أن يهدي من يشاء بفضل، وأن يضل من يشاء بعدله، كما اقتضت حكمته أن يكون لكل نبي عدو، وأن يكون بين هؤلاء الأعداء تواصل على الباطل وتوافق في مقالاتهم، فمقالة الملائكة في كل أمة متماثلة: فتارة يقولون: إنه ساحر أو كاهن أو كاذب، وتارة ينكرون أن يكون أتاهم بآية، وتارة يزعمون أنه يفترى الكذب على الله، وتارة يصفونه بالجنون، وحاشا رسل الله عليهم السلام - وهم أكمل الناس عقولاً وأزكاهم قلوباً. وتارة يستعظمون ما يدعوهم إليه من الدعوة إلى عبادة الله وحده، وتارة يردون على النبي دعوته؛ لأنه بشر مثلهم، وتارة يطالبونهم بأمور ليست في قدرة الخلق - ولكنه الاستكبار والعناد. فقد طالبوا نبيينا محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يفجر من الأرض ينبوعاً، أو يكون له جنة، أو يسقط السماء عليهم كسفاً، أو يأتيهم بالهلال والملائكة، أو يكون للنبي بيت من زخرف، أو يرقى في السماء، وينزل عليهم كتاباً. وتارة يطالبون النبي بأن يأتيهم بما يعدهم به، وتارة يصدون عن سبيل الله ويقولون لأتباعهم: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه. وتارة يقابلون الرسول بالكذب، أو يتهمون الرسول صلى

الله عليه وسلم بأن إنما يُعَلِّمُهُ بشر، وليس الذي يأتيه وحياً من الله.

وقد ينصرفون عن الرسول؛ لأن الذين اتبعوه هم الضعفاء، وتارة يسخرون ويستهزئون من الرسل، وتارة يخادعون الرسول، ويطمعون في مداهنته لهم أو الركون إليهم، وتارة بالتعيير بما يعلم المعاند أنه كاذب في قوله، كما في تعيير فرعون لموسى بالكفر.

وتارة يهدد الملائكة النبي بالإخراج من الأرض، وحاصر كفار قريش نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ومن معه وبني هاشم في الشَّعْب ثلاث سنين، وأخرجوه من بلده صلى الله عليه وسلم. وحاول قوم إبراهيم عليه السلام إحراقه بالنار، فنجاه الله سبحانه وتعالى، وحاول بنو إسرائيل قتل الأنبياء، بل قتلوا منهم مَنْ قتلوا...

هذا هو دَيْدُنُ المستكبرين مع المرسلين، وهذه سنة جارية يتبعها الملائكة في كل أمة مع المصلحين.

باب الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام

الإيمان بالرسول عليهم السلام هو الركن الرابع من أركان الإيمان، قال المولى جل شأنه: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285]، وقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ». (أخرجه البخاري (4777)، ومسلم (9)، وابن ماجه (64)).

ونؤمن أن أساس دعوة الرسل عليهم السلام هو العلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنهم كلهم بُعثوا بالتوحيد، ودَعُوا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وحده وترك عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]، وكل نبي قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65]. فالأنبياء والمرسلون أكمل الناس توحيدًا وإيمانًا، وهم أعلم الخلق بالخالق سبحانه وتعالى وما يجب له، وما يمتنع عليه سبحانه وتعالى.

وكل نبي دعا قومه إلى أصليين عظيمين، هما: عبادة الله وحده، والإيمان باليوم الآخر وما أعد الله فيه من النعيم لأوليائه، والعذاب لأعدائه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، وقال عز شأنه: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾

قَالَ يَقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمِ كَيْلَ وَالْمِيزَانِ
إِنِّي أَرَأَيْكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ) [هود: 84]،
وقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ
بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: 21].

ونؤمن أن الأنبياء عليهم السلام متفقون في الأصول الكبرى
التي دعوا إليها، فكلهم دعا إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وكلهم دعوا
إلى أصول العبادات، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج،
وأصول الأخلاق الحمودة، ونهوا عن أصول الأخلاق
المذمومة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]. فالأنبياء عليهم السلام متفقون
في الأصول، أما الشرائع التي دعوا إليها فمختلفة في أحكامها
وتفاصيلها، قال المولى جل شأنه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً
وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة: 48].

ونؤمن أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء، وتصديقهم في كل ما أخبروا به من الغيب، وطاعتهم فيما أمروا به، والانتفاء عن كل ما نهوا عنه، ومحبتهم وتوقيرهم والافتداء بهم، والشهادة لهم بأنهم بلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، ونصحوا الله وعباده، وجاهدوا في الله حق جهاده، ويجب على كل أمة العمل بشريعة الرسول الذي أرسل إليها، ويجب على هذه الأمة -أمة محمد صلى الله عليه وسلم- من الجن والإنس، العمل بشريعة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه مرسل إلى جميع الثقلين.

وكل الأنبياء والرسل عليهم السلام جاؤوا لإخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل، وإن كانوا في عزٍّ من الدنيا وسلطان وقوة وبأس وحرث ومصانع، قال تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِإِثْنَيْنِ أَنَّ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5]، وقال تعالى: ﴿أَتَتَّبِعُونَ رِيعَ آيَةٍ تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 128-130]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: 9].

ونؤمن أن الله أرسلهم مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165].

ونؤمن أن الله قد أرسل في كل أمة رسولا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: 36]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، (أخرجه البخاري (3455)، ومسلم (1842)، وابن ماجه (2871).) بل قد أخبرنا الله تعالى أنه أرسل إلى قرية من القرى ثلاثة أنبياء في وقت واحد، قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: 14]. فمن عرفنا اسمه منهم وجب الإيمان به، ومن لم نعرف اسمه منهم نؤمن به إجمالا، فيجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]، وقال تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَاَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 84]. ونؤمن أن الله يرسل رسله إلى مَنْ شاء مِنْ عباده وَفَقِ مَا تَقْتَضِيهِ حُكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال المولى عز شأنه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 51]، وقال المولى عز شأنه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 44]، فلا معقب لحكمه، يفعل ما يشاء ويختار، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصاص: 68].

ومن كفر بنبي واحد؛ فقد كفر بجميع الأنبياء عليهم السلام؛ ولذا قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: 105]. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ كَذَّبٍ رُسُلٌ فَحَقَّ وَعِيدٌ﴾ [ق: 14]. ونؤمن أن النبوة منة إلهية، ورحمة ربانية يهبها الله لمن شاء من عباده، فالله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75]، وقال المولى عز شأنه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124]. فليست النبوة كسباً، ولا ينالها العبد بالاجتهاد بالطاعة، ولا بتزكية النفس والمجاهدة وتطهير القلب وتنقية السلوك وتهذيبه.

ونؤمن أن الأنبياء والرسل عليهم السلام متفاضلون فيما بينهم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: 253]، وأن أفضل الأنبياء هم أولو العزم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7]، وأشار الله إليهم في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35]. وأفضل أولي العزم الخيلان: إبراهيم ومحمد عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125]. وعن جندب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِحَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا». (أخرجه مسلم (532)).

ونشهد أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل والأنبياء، قال صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة». (أخرجه مسلم (2278)، وأبو داود (4673)).

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التفضيل بين الأنبياء إذا كان على سبيل الحمية والعصبية أو التنقص، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ

إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرَ الْمُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْنَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعَقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَنْتَنَى اللَّهُ؟» (أخرجه البخاري (2411)، ومسلم (2373)، وأبو داود (4671)، والترمذي (3245)، وابن ماجه (4274).) وفي لفظ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عَرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تَفْضِلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ». (أخرجه مسلم (2373).)

وكما اتخذ الله إبراهيم ومحمدًا عليهما السلام خليلين، فقد اختار الله موسى عليه السلام واصطفاه على الناس برسالاته وبتكليمه، وإن كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد نال شرف مرتبة الخلّة، فقد كلّمه ربه من وراء حجاب ليلة أسري به صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10]، فيكون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد جمع بين شرف الخلّة، وشرف التكليم.

ونؤمن أن الأنبياء أفضل البشر، ولا يبلغ أحد مرتبة النبي، لا وليٍّ، ولا غيره، ولا يجوز تفضيل أحد من البشر على أحد من الأنبياء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى». (أخرجه البخاري (4804).)

ونؤمن أن الله لم يرسل إلا رجالاً، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالاً تُوْحِي إِلَيْهِمْ} [الأنبياء: 7].

ونعلم أن الرسل والأنبياء عليهم السلام صفوة الخلق، قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: 75]. وهم أكمل البشر في أديانهم وعقولهم وأخلاقهم، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الكهف: 110]. فهم بشر مثل بقية البشر، لكنهم يوحى إليهم، وهم معصومون فيما يبلغونه عن أمر الله، قال تعالى مخبراً عن نبيه وخليته محمد صلى الله عليه وسلم: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ} [النجم: 3-5].

وإذا اجتهد النبي فيما لم يوح إليه فيه بشيء، ولم يُصَبْ؛ فإن الله لا يقره على اجتهاده، بل ينتزل عليه الوحي لتسديده، كما في قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: 67]. وقوله جل ثناؤه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاحٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التحریم: 1].

ومع أن لهم هذه المنزلة العالية والدرجة الرفيعة والمقام المحمود في الدنيا والآخرة، فإنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً، قال تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [يونس: 49].

وإذا كانوا لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً فلا يملكون لغيرهم من باب الأولى، قال تعالى في نبيه وخليته محمد صلى الله عليه وسلم: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ}

فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: 128]، وقال في المسيح عليه السلام: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 17].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرته وابنته فاطمة رضي الله عنها: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتَ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا». (أخرجه البخاري (2753)، ومسلم (206)، والترمذي (3185)، والنسائي (3646).) وإذا كانوا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم -حال حياتهم- نفعًا ولا ضرًا، فهم إذا لا يملكون لغيرهم نفعًا ولا ضرًا بعد وفاتهم من باب الأولى. ونؤمن أنهم لا يعلمون الغيب إلا على قدر ما أطلعهم الله عليه، وأذن لهم فيه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: 50]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188]، وقال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: 26]، [27].

والأنبياء والمرسلون عليهم السلام يعبدون الله خوفًا وطمعًا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، ويبتغون إليه الوسيلة،
ويتقربون إليه سبحانه قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ
رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57].

والأنبياء والمرسلون عليهم السلام يتعرضون لما يتعرض له البشر من البلاء والمرض والموت، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30]، وقال تعالى مخبراً عن أيوب أنه مسّه الضر: ﴿وَإِيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83]، ولهم أزواج وذرية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: 38].
ويأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: 20]، ويصيبهم الحزن، كما قال تعالى مخبراً عن يعقوب عليه السلام: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84]. وفي «الصحيحين» في خبر وفاة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فَلَمَّا قَعَدَ رُفِعَ إِلَيْهِ، فَأَقْعَدَهُ فِي حَجْرِهِ، وَنَفْسُ الصَّبِيِّ جُبْتُ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ يَضَعُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءُ». (أخرجه البخاري (6655)، ومسلم (923)، وأبو داود (3125)، والنسائي (1868)، وابن ماجه (1588).) (جنت؛ أي فزع، وجنت فهو مجنوث، أي: مذعور. فتح الباري (8/722)، والنهاية في غريب الحديث (1/232).)

ونعلم أنهم قد نصحوا للخلق، وأدوا الأمانة، وبلغوا رسالات ربهم، ولا يضرهم أن بعض الأتباع لم يستجيبوا، ولا أن الملائة استكبروا عليهم قال صلى الله عليه وسلم: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ الرَّهْيِطُ، وَالنَّبِيُّ

وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ». (أخرجه البخاري (5705)، ومسلم (220)، والترمذي (2446).
 ونؤمن أن الله تعالى قد رفع المسيح عليه السلام حيًّا لما أراد قومه قتله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَهَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِهِينَ﴾ [آل عمران: 52-54]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَّ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: 61]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة: أن المراد بها: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام. (أخرجه الطبري في التفسير (631/20) - (633).)

وقال جل ذكره: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلٍ لِّلْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: {قَبْلَ مَوْتِهِ} أي: قبل موت عيسى ابن مريم». (تفسير الطبري (380/9).)

ونؤمن أنه سينزل في آخر الزمان حكمًا عدلًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُّقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْحِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ». (أخرجه البخاري (2222)، ومسلم (155)، وأبو داود (4324)، والترمذي (2233)، وابن ماجه (4078).)

وفي خبر نزول المسيح عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، (أي في شقتين، أو حلتين، وقيل الثوب المهرود: الذي صُيغ بالورس ثم بالزعفران. النهاية في غريب الحديث (5/ 258).) وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةٍ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ...». (أخرجه مسلم (2937)، وأبو داود (4321)، والترمذي (2240)، وابن ماجه (4075).)

باب آيات الأنبياء ودلائل نبوتهم عليهم السلام

ونعلم أن الله قد أتى كل نبي من الآيات والحجج ما على مثلها يؤمن البشر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَوْ مِنْ، أَوْ أَمِنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (أخرجه البخاري 7274)، ومسلم (152).

ونؤمن أن الله ما بعث نبياً إلا ومعه آية تدل على صدقه، علمناها أو لم نعلمها، وقد ذكر الله لنا جملة منها في القرآن الكريم، ونعلم -أيضاً- أن هناك آيات كثيرة أيد الله بها رسله السابقين، لم يذكرها الله لنا، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْأَجْحِيمِ﴾ [المائدة: 10]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰبٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: 11]. وتارة يذكر الله الآيات البينات، ويذكر السلطان، كما في قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: 96]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَشِدُّ عَضْدُكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾ [القصص: 35]، قال عكرمة: «ما كان في القرآن من سلطان فهو: حجة». (تفسير الطبري (30/8) و (337/9)).

ونعلم أن الآيات والحجج التي أيد الله بها رسله وأنبياءه عليهم السلام كثيرة جداً، وأعظم الأدلة الدالة على صدقهم هي ما جاؤوا به من الوحي، ووحي الله لأنبيائه ورسله عليهم السلام: إما أن يكون وحياً بغير واسطة، كالرؤيا كقوله سبحانه

وتعالى مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿قَلَمًا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصفافات: 102]، أو أن يسمع الرسول كلام الله جل وعلا مباشرة ولكن من وراء حجاب، كما في قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51]، وكما في تكليم الله لموسى عليه السلام كما في قوله جل شأنه: ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144]، أو يكلمه الملك، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 51].

ونعلم أن من أعظم الأدلة الدالة على صدقهم هي ما يدعون إليه من التوحيد المستقر في الفطر، الذي تشهد العقول على حسنه، وما جاؤوا به من العلم النافع، والعمل الصالح، والهدى ودين الحق والميزان، فعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَفْيَانَ: «أَنَّ هِرْقُلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَرَعَمْتُ: أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ». (أخرجه البخاري (2681)، ومسلم (1773)، والترمذي (2717).)

وقال النجاشي لما تلا عليه جعفر رضي الله عنه صدر «سورة مريم»: «إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ وَالْكَلامَ الَّذِي جَاءَ مُوسَى لِيُخْرِجَ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ مِصْرَ» (أخرجه إسحاق بن راهويه (1835)، وأحمد (22498)، وابن خزيمة (2260)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (5598)، وأبو نعيم في الحلية (1/ 115) وفي دلائل النبوة (194).)

ومنها شهادة الله لرسله أنهم على الحق، وأن ما جاؤوا به هو الحق، قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 166]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 43].

ومن أعظم آياتهم: الوحي الذي ينتزل عليهم من الله، وأعظم الوحي هو القرآن العظيم آية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الوحي لا يمكن أن يأتي البشر بمثله؛ لأنه كلام الله ووحيه، ولما فيه من الأنباء الغيبية، ولما فيه من الهدى والنور والرحمة والحكمة.

ومن آياتهم البينات: البراهين العقلية التي يمد الله بها رسله وأنبياءه عليهم السلام، فتبتهت الكافر وتزهق باطله كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمَلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258]، وقوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿فَأَنبَهُمُ عَذُوْلِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: 77-82]، وقوله عن موسى عليه السلام أنه قال لفرعون: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50]، ومنها قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]، وقوله جل ثناؤه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91]. وهذه الأدلة كثيرة جداً ذكرنا بعضها في باب الربوبية والألوهية، ومن أجل آياتهم إخبارهم بالغيوب التي يأذن الله لهم في الإخبار عنها.

ومن آياتهم الباهرة: نجاة الأنبياء السابقين عليهم السلام ونجاة أتباعهم من مكر أعدائهم، وهلاك المعاندين المستكبرين،

وتذكير الله للمدعويين بما فعل بالسابقين، وأن سنة الله ماضية، قال الله تعالى في أول سورة الأنبياء: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: 9]، وقال في خاتمتها: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ * أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: 42-43]. وفي «سورة الشعراء» كلما ذكر الله نجاة الأنبياء السابقين عليهم السلام وهلاك أعدائهم يعقب الحق علي كل خبر من هذه الأخبار بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 67]. وقال الحق جل في علاه: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودٍ﴾ [فصلت: 13]، وقال المولى عز شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: 9].

ومن آياتهم الدالة على نبوتهم: كمال خصالهم، وحسن أخلاقهم وأفعالهم وسيرتهم، وصدق أقوالهم مما يمتنع معه عليهم الكذب، قال الله مخبراً عن قوم صالح عليه السلام أنهم قالوا: ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: 62]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87].

وقال هرقل بعدما سأل أبا سفيان عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتُ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ». (أخرجه البخاري (7)، ومسلم (1773).)

ومنها: التواتر العظيم في نقل آيات الأنبياء وما جاؤوا به من العلم والهدى ودين الحق مما يستحيل معه أن يتواطؤوا على نقل الكذب.

ومنها: أنهم لا يطلبون أجراً على رسالاتهم، ولا يبتغون ملكاً، قال تعالى مخبراً عن كثير من أنبيائهم أن كل واحد منهم قال لقومه: **(يَقَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ)** [هود: 51].

ومنها: أنه لا يوجد من قدح في نبوة الأنبياء إلا جاهل لم ينظر فيما جاؤوا به من الدين والعلم والهدى، أو معاند مستكبر، قال تعالى: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا)** [النمل: 14]، وقال الحق جل في علاه: **(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)** [الأنعام: 33].

ومنها: ما يكون برهاناً حسيّاً تراه العيون، وتسلم له العقول، كغرق قوم نوح، وناقة صالح، وتحدي هود قومه أن يكيدوه جميعاً، ونجاة إبراهيم من النار، وآيات موسى، ومنها: العصا، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطوفان، وغرق فرعون وقومه، وآيات داود عليه السلام كتسييح الجبال، وإلانة الحديد، وآيات سليمان عليه السلام كتسخير الريح والجن له، ومعرفة منطق الطير، وآيات المسيح عليه

السلام كشفاء الأبرص والأكمه والأعمى وإحياء الموتى، وأنه كان يعمل من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه بإذن الله فيكون طيراً، وآيات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي كثيرة لا تحصى إلا بالكلفة، كانشقاق القمر، والإسراء والمعراج، وتكثير الطعام، وحديث الدواب، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، ونصر الله له على أعدائه.

ومنها: حال النبي الداعي إلى الحق؛ فإن الناس يميزون بين الداعي إلى الحق الصادق في قوله، والدَّعِيّ الكاذب في قوله؛ ولذا قال عبدالله بن سلام: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَنْجَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَنَّتْ فِي النَّاسِ لِأَنْظَرِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنَتْ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفَتْ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ»، (أخرجه الترمذي (2485)، وابن ماجه (1334)، وابن أبي شيبة (25898)، وأحمد (23784)، وعبد بن حميد (496).) إلى غير ذلك من الآيات.

ولم يبق من آيات الأنبياء شيء عدا القرآن العظيم، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهما باقيان؛ لأنهما وحي تكفل الله بحفظه، قال المولى عز شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وفيهما أعظم الدلائل والبراهين على صدق الرسالة، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن أن الله يؤيد رسله عليهم السلام بما تقتضيه حكمته من الآيات والبراهين الكونية والشرعية، فيهدي الله من شاء بفضلته، ويضل من شاء بعدله، ولكن المعاند لا تزيده الآيات إلا عناداً واستكباراً، قال الحق: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: 41]، وقال الحق جل شأنه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: 68]، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: 42]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109]، وقال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: 59].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سَأَلَ أَهْلَ مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنَحِّيَ الْجِبَالَ عَنْهُمْ، فَيَزِرَ عَوَا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِي بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أَهْلَكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ، قَالَ: لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 59]». (أخرجه أحمد (2333)، والبخاري (5036)، والنسائي في الكبرى (11226)، والحاكم (3437)، والبيهقي في دلائل النبوة (605)).

ونعلم أن الله لو أراد لهدى الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[النحل: 93]. وقال الحق جل في علاه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: 35].
 ونؤمن أن دلائل الأنبياء والآيات التي جاؤوا بها والبراهين التي أمدهم الله بها يستحيل أن يأتي بها مدع للنبوة، أو ساحر أو كاذب؛ لأن الله قضى ألا ينصر المبطل بدليل صحيح، ولا يصدق الكاذب ببرهان صادق؛ لأنه الحكيم في شرعه وأمره، وحكمة الله وسنته الجارية تمنع ذلك، قال المولى عز شأنه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: 44-46].

باب نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

ونؤمن أن نبينا محمد بن عبدالله هو رسول رب العالمين، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ». (أخرجه البخاري (3535)، ومسلم (2286).)

وهو سيد ولد آدم، قال صلى الله عليه وسلم: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ»، (أخرجه مسلم (2278)، وأبو داود (4673).) وهو خليل رب العالمين، قال صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي». (أخرجه البخاري (3656).)

ونعلم أنه أوتي من الآيات ما لم يؤت مثله أحد من الرسل عليهم السلام، وأعظم آياته القرآن الكريم، وأول ما أنزل عليه منه صدر «سورة العلق»، كما صح بذلك الحديث: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ جَرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَرَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى

حَدِيَجَةٌ فَيَتَرَوُدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ جَرَاءٍ،
 فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: «اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، قَالَ: فَأَخَذَنِي،
 فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا
 بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي، فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ
 أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي، فَعَطَّنِي
 الثَّلَاثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق: 1-3]»،
 فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ،
 (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3)، وَمُسْلِمٌ (160)، وَالتِّرْمِذِيُّ
 (3632).) وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ بَعْدَهَا «الْمَدْثَرُ»، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْدُثُ
 عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ: «فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ،
 فَرَفَعْتُ بَصَرِي قَبْلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِجَرَاءٍ قَاعِدٌ
 عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى
 الْأَرْضِ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمِّلُونِي»،
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: 1، 2]
 إِلَى قَوْلِهِ: {فَاهْجُرْ} [المدثر: 5] -قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَالرَّجَزُ:
 الْأَوْثَانُ- ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ. (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4926)،
 وَمُسْلِمٌ (161)، وَالتِّرْمِذِيُّ (3325).)

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ
 هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:
 يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلَاطَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ،
 فَيُقْصَمُ عَلَيَّ، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتِمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ

رَجُلًا، فَيَكْلُمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:
وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَقْصِمُ عَنْهُ،
وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا. (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (2)، وَمُسْلِمٌ
(2333)، وَالتِّرْمِذِيُّ (3634)، وَالنَّسَائِيُّ (933).)
وَأَنَّهُ مَكَثَ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَأَقَامَ
بِالْمَدِينَةِ عَشَرَ سِنَوَاتٍ يَبِينُ شَرَائِعَ اللَّهِ، وَيَدْعُو إِلَى دِينِهِ وَيُجَاهِدُ
فِي سَبِيلِهِ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي.

ونعلم أن من أعظم آياته -بعد القرآن العظيم- الإسراء والمعراج، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ ذَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبُغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرْبُطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَأَخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتُ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي
بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عز وجل: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مريم: 57]، ثُمَّ
عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟
فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟
قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ،
فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ:
وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ،
فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي
بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ:
مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا
أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ
إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفِيلَةِ،
وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَاقِلِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ
تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا،
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ
يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا
فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى
رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَأَنِّي قَدْ بَلَوْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَارْجِعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ،
خَفَّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَارْجِعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ:

حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أَمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ، قَالَ: فَتَرَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ». (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (7517)، وَمُسْلِمٌ (162) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَالتِّرْمِذِيُّ (3131)، وَالنَّسَائِيُّ (450)، وَابْنُ مَاجَهَ (1399).)

وَمِنْ آيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انشِيقَ الْقَمَرُ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفْتَرَبْتَ آلْسَاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ [القمر: 1]، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْهَدُوا». (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (4864)، وَمُسْلِمٌ (2800)، وَالتِّرْمِذِيُّ (3285).)

وخصَّه الله بخصائص كثيرة، كقوله صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُجِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخَتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»، (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (523)، وَالتِّرْمِذِيُّ (1553).) وَهَذِهِ

الخصائص ذكرها العلماء في ثنايا مصنفاتهم تارة، وتارة
يفردون لها مصنفاتٍ مستقلةً.

ونؤمن أنه يجب على كل مؤمن ومؤمنة الإيمان به،
وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: 9].
وقال عز شأنه، وتقدسست أسماؤه: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ
الَّذِي أُنْزِلَنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: 8].

ونؤمن ألا يعبد الله إلا بما شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7]. وحذر الحق من مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم، فقال عز شأنه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

ويجب توقيره ومحبته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم من أصول الإيمان، وقد قرنها الله بمحبته، وتوعد من قدم عليها شيئاً من الأمور المحبوبة طبعاً من الأقارب والأموال والأوطان وغير ذلك، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

ويجب على المؤمن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين، فعن عبدالله بن هشام رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ -وَاللَّهِ- لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ

نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآنَ يَا عُمَرُ».
(أُخْرِجَهُ الْبُخَارِيُّ (6632).)

وقد قرن الله تعالى ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بذكره سبحانه في الشهادتين وفي الأذان، وقد استفاد ذكره صلى الله عليه وسلم في الكتب الإلهية السابقة. وفي القرآن العظيم، وصنّف أئمة الإسلام المصنّفات المتنوعة في سنته، وسيرته، وشمائله، وأخلاقه، وغزواته، ونكتفي هنا بما يتوجب اعتقاده بشأن نبوته صلى الله عليه وسلم.

قال القاضي عياضٌ رحمه الله: «إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه، ورأينا الواحد ممّا يتشرف بواحدة منها، أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر: إما من نسب، أو جمال، أو قوة، أو حلم، أو شجاعة، أو سماحة، حتى يعظم قدره، ويضرب باسمه الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرٌ عظيمة، وهو منذ عصور خوال، رمم بوال، فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال، إلى ما لا يأخذه عدّ، ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب، ولا حيلة، إلا بتخصيص الكبير المتعال، من فضيلة النبوة، والرسالة، والخلة، والمحبة، والاصطفاء، والإسراء، والرؤية، (رؤية النبي ﷺ ليلة أسري به مُختلف فيها، والصحيح أن رسولنا ﷺ لم ير ربه ليلة الإسراء.) والقرب، والدنو، والوحي، والشفاعة، والوسيلة، والفضيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق، والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء والأمم، وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبشارة، والندارة، والمكانة عند ذي العرش، والطاعة ثمّ،

والأمانة، والهداية، ورحمة للعالمين، وإعطاء الرضى
والسؤل، والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة، والعفو عما
تقدم وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الإصر، ورفع الذكر،
وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء
الكتاب والحكمة، والسبع المثاني والقرآن العظيم، وتركية
الأمة، والدعاء إلى الله، وصلاة الله تعالى والملائكة، والحكم
بين الناس بما أراه الله، ووضع الإصر والأغلال عنهم، والقسم
باسمه، وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات والعجم...، وإسماع
الصم، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، وانشقاق
القمر، وردّ الشمس، وقلب الأعيان، والنصر بالرعب... إلى ما
لا يحويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحة ذلك، ومفضّله به
لا إله غيره، إلى ما أعدّله في الدار الآخرة، من منازل الكرامة،
ودرجات القدس، ومراتب السعادة، والحسنى والزيادة التي
تقف دونها العقول، ويحار دون إدراكها الوهم». (الشفابتعريف
حقوق المصطفى (1/ 55 - 57).

باب عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للخلق كافة

ونؤمن أن الله أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، وقال المولى جل جلاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: 28]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِّنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ». (أخرجه البخاري (438)، ومسلم (521)، والنسائي (432).)

ونبيننا محمد صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله إلى الثقليين: الإنس، والجن، باتفاق المسلمين، وقد استمعت الجن إلى القرآن وولوا إلى قومهم منذرين، فأخبر الله رسوله بذلك في القرآن بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ * قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْمِنُوا بِهٖ يَعْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: 29-32].

وأخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لئن بُعث محمد صلى الله عليه وسلم -وهم أحياء- ليؤمننَّ به، قال المولى عز شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81]. قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: «لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا، أَدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ: لئن بُعثَ -وَهُوَ حَيٌّ- لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَيَنْصُرُنَّهُ، وَيَأْمُرُهُ، فَيَأْخُذُ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ} الآية [آل عمران: 81]». (أخرجه الطبري في التفسير (5/ 540)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «دَعَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ، وَبَشَارَهُ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ فُصُورُ السَّمَاءِ»، (أخرجه أحمد (17163)، وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (261)، وابن أبي عاصم في السنة (418)، وعبدالله بن أحمد في السنة (865)، وابن حبان (6404)، والطبراني في مسند الشاميين (1455)). وقوله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا دَعَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ» يقصد بها ما أخبرنا به المولى عز شأنه من دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام وهو قوله: (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [البقرة: 129].

ونؤمن أن الأنبياء بشرت به صلى الله عليه وسلم أقوامها، ووردت صفاته صلى الله عليه وسلم وصفات أصحابه رضي

الله عنهم في التوراة والإنجيل، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29]، وقال المولى عز شأنه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157]. وبشر به المسيح عليه السلام بني إسرائيل، قال تعالى مخبراً عنه أنه قال لهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6]. وكان أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 146].

ومن علامات نبوته صلى الله عليه وسلم التي كانت معروفة عند أهل الكتاب خاتم النبوة على كتفه الشريف، فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، فَتَنَظَّرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوءَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، مِثْلَ زَرِّ الْحَبَلَةِ». (أخرجه البخاري (190)، ومسلم (2345)، والترمذي (3643)).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ». (أخرجه مسلم (2344)، والترمذي (3644)، والنسائي (5114).)

ونؤمن بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم ولذا أرسل الكتب إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى عبادة الله وحده والإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم وتصديقه، فعن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ النَّجَاشِيِّ -فَذَكَرَ حَدِيثَهُ- قَالَ النَّجَاشِيُّ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَلَوْ لَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَحْمِلَ نَعْلَيْهِ». (أخرجه أبو داود (3205)، وابن أبي شيبه (37795)، وعبد بن حميد (550)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (366)، والرويانى (502)، والحاكم (3268).)

وقال هرقل بعدما ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَظَنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَلَوْ أَرَجُو أَنْ أَخْلَصَ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لُقَيْهَ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ قَدَمَيْهِ». (أخرجه البخاري (2941)، وأبو داود (5136).)

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَ اللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَا عَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلَا عَقِبْنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: لَا بُعْثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ»، فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ». (أخرجه البخاري (4380)، ومسلم (2420)، والترمذي (3796)، وابن ماجه (135).)

ونؤمن أن الله زوى لنبينا صلى الله عليه وسلم الأرض، فرأى منها ما سيبلغه ملك أمته منها، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا». (أخرجه مسلم (2889)، وأبو داود (4252)، والترمذي (2176)، وابن ماجه (3952).)

ومن أدلة عموم رسالته صلى الله عليه وسلم إسلام كثير من أئبار اليهود ورهبان النصارى، بل الآلاف المؤلفة من أهل الكتاب.

وأيضًا: فقد غزا صلى الله عليه وسلم الروم، وأمر أصحابه بجهاد الفرس والروم من بعده.

باب مقالاتِ خصوم الرسالات والرسل عليهم السلام

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112]، وقال الله جل ذكره وتقدسست أسماؤه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمَجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: 31].

اقتضت حكمة الله أن يهدي من يشاء بفضله، وأن يضل من يشاء بعدله، كما اقتضت حكمته أن يكون لكل نبي عدو، وأن يكون بين هؤلاء الأعداء تواصل على الباطل وتوافق في مقالاتهم، قال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَّغْفَرَةٌ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: 43]. فمقالات الملأ في كل أمة متماثلة، فتارة يقولون: إنه ساحر أو كاهن أو كاذب، كما في قول فرعون لموسى فيما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهُمَّنْ وَقُرُونِ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 23، 24]. وتارة ينكرون أن يكون أتاها بآية، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 53]. وتارة يزعمون أنه يفترى الكذب على الله، قال الله مخبرًا عن مقالاتهم الخبيثة: ﴿وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبا: 43].

وتارة يصفونه بالجنون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: 6]، وقال سبحانه مخبرًا عن مقالاتهم: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: 175].

[27]. وحاشا رسل الله عليهم السلام، وهم أكمل الناس عقولاً، وأزكا هم قلوباً.

وتارة يستعظمون ما يدعوهم إليه من الدعوة إلى عبادة الله وحده، قال تعالى مخبراً عن مقاتلهم أنهم قالوا: {أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأعراف: 70]، وقالوا: {أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَحِْدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: 5].

وتارة يردون على النبي دعوته؛ لأنه بشر مثلهم، قال تعالى: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا} [هود: 27]، وقال تعالى: {لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} [الأنبياء: 3].

وتارة يطالبونهم بأمر ليس في قدرة الخلق -ولكنه الاستكبار والعناد- فقد طالبوا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً، أو يكون له جنة، أو يسقط السماء عليهم كسفاً، أو يأتيهم بالله والملائكة، أو يكون للنبي بيت من زخرف، أو يرقى في السماء، وينزل عليهم كتاباً، كما في قوله عز شأنه وتعالى سلطانه: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خَلْلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَفِيقِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} [الإسراء: 90-95].

وتارة يطالبون النبي بأن يأتيهم بما يعدهم به من العذاب، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 70]، وقال عز شأنه: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: 77].

وتارة يتهمون الرسول بالضلالة أو السفاهة، كما في قولهم الذي قصه الله علينا في قوله الحكيم: ﴿قَالَ أَلَمَّا أَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: 66].

وتارة يصدون عن سبيل الله، ويقولون لأتباعهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، والغو فيه، كما أخبر الله عنهم؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26].

وتارة يقابلون الرسول بالتكذيب، كما أخبر الله تعالى أنهم قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾، أو يتهمون الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الذي يعلمه بشر وليس الذي يأتيه وحياً من الله، قال المولى عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]. وقد ينصرفون عن الرسول؛ لأن الذين اتبعوه هم الضعفاء، كما في قوله تعالى مخبراً عن قوم نوح: ﴿فَقَالَ أَلَمَّا أَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِي مَا نَرُكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرُكَ أَتَّبِعُكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِآدِي الرُّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كٰذِبِينَ﴾ [هود: 27]، وقال هرقل لأبي سفيان: «وَسَأَلْتُكَ: أَشَرَّافُ النَّاسِ

يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّ ضَعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ». (أخرجه البخاري (7)، ومسلم (1773)).

وتارة يسخرون، ويستهنئون من الرسل كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أِبِلَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: 65]، وكما في قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38]. وتارة يخادعون الرسول، ويطمعون في مداهنته لهم أو الركون إليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: 9]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَتُّنَا لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 74].

وتارة يتطاولون على النبي بالتعبير كما قال فرعون لموسى عليه السلام: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: 52].

وقول أبي سفيان -وهو في الشام- عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: «فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرٌ «ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ»، إِنَّهُ لِيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ». (أخرجه البخاري (4553)، ومسلم (1773)، والترمذي (2717)).

وتارة يهدد الملأ النبي بالإخراج من الأرض، كما قال الله تعالى في قوم شعيب: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا مَرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 88].

وقال الحق جل شأنه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: 13]، وقال قوم لوط للوط ومن آمن معه كما أخبر الله عنهم: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ

إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ} [الأعراف: 82]. وحاصر كفار قريش نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ومن معه، وبني هاشم، في الشَّعْب ثلاث سنين، وأخرجوه من بلده صلى الله عليه وسلم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا قَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِسْمَةَ حُنَيْنٍ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مَا أَرَادَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا، فَصَبَرَ». (أخرجه البخاري (4335)، ومسلم (1062)، والترمذي (3896).

وحاول قوم إبراهيم عليه السلام إحراقه بالنار، فجاهد الله سبحانه وتعالى، قال المولى عز شأنه: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} [العنكبوت: 24]، وقال الله مخبراً عما فعل بنو إسرائيل مع أنبيائهم: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} [البقرة: 87]. هذا هو دَيْدُنُ المستكبرين مع المرسلين، وهذه سنة جارية يتبعها الملاء في كل أمة مع المصلحين.

وسنة الله جارية بنصر رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ} [غافر: 51]، وقال تعالى: {ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ} [الأنبياء: 9].

كتاب اليوم الآخر

ملخص الكتاب

ونؤمن باليوم الآخر، وأنه ركن من أركان الإيمان الستة، وسمي باليوم الآخر؛ لأنه آخر أيام الدنيا، فليس بعده يوم، وله - أيضًا - أسماء كثيرة ومن أسمائه: يوم القيامة، ويوم البعث، ويوم الحساب، ويوم الدين، والطامة، والحاقة، والواقعة، والصاخة، والغاشية، وقد ذكر الله اليوم الآخر في مواطن كثيرة من كتابه الكريم.

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بعلاماته - أي: علامات الساعة- وأيضًا: الإيمان بما يحصل بعد الموت، وسنبداً بالكلام على علامات الساعة، ثم ما يحصل بعد الموت؛ لكونها تقع قبل اليوم الآخر.

فعلامات الساعة: هي العلامات الدالة على قرب اليوم الآخر، وهي من الغيب الذي أمرنا بالإيمان به. وهي ثلاثة أقسام:

أحدها: ما ظهر من علامات الساعة، وانتهى، وهي كثيرة جدًا.

الثاني: ما ظهر من علامات الساعة، لكنه لم ينته، وإنما ما زال مستمرًا.

الثالث: ما لم يقع بعدُ منها، وإنما تكون بين يدي الساعة قريبًا منها.

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بأن كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى، وأن ملك الموت يقبض الأرواح،

والإيمان بما يحصل بعد الموت، من سؤال الميت، وعذاب القبر ونعيمه.

ونؤمن بأن الله إذا أذن بزوال هذه الدنيا وانقضائها، أمر الله المَلَكَ، فينفخ في الصور النفخة الأولى، فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينزل الله مطرًا تنبت منه أجساد الخلق، ثم يأذن الله للملك فينفخ في الصور النفخة الثانية؛ فيبعثون من قبورهم، ويقوم الناس لرب العالمين، وأول من تتشق عنه الأرض نبينا صلى الله عليه وسلم، وأول من يفيق نبينا صلى الله عليه وسلم، وأول من يكسى نبي الله إبراهيم خليل الرحمن، ويحشر الناس حفاة عراة غُرْلًا، وأرض الحشر بيضاء.

ونؤمن بشفاة نبينا صلى الله عليه وسلم، ونؤمن بالعرض والحساب والجزاء، وأنه سبحانه وتعالى سريع الحساب. وحساب الله لعباده له مراتبٌ وأحوالٌ متباينةٌ، فمن العباد من يحاسب حسابًا عسيرًا، ومنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، ومن المؤمنين من يدخل الجنة بلا حساب.

ولا يُظلم أحد في ذلك اليوم، وأول من يحاسب يوم القيامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء.

ونؤمن أنه في هذا اليوم يؤتى بالشهداء، فتشهد الملائكة، وتشهد الأرض بما عمل العباد عليها، وتشهد الجوارح. ونؤمن أن الله تعالى يضع موازينَ حقيقةً لوزن أعمال العباد.

ونؤمن بأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضاً ترده
أمته، ثم يساق العباد: إما إلى الجنة، وإما إلى النار -والعياذ بالله-
ويضرب الجسر على جهنم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان،
فتخطف الناس بأعمالهم، وأول من يجيز الجسر نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم.

باب دلائل الإيمان باليوم الآخر

ونؤمن باليوم الآخر، وهو ركن من أركان الإيمان الستة المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: 177]، وفي قوله جل ثناؤه: ﴿لَكِنَّ الرُّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162].

ودل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ». (أخرجه البخاري (4777)، ومسلم (9)، وابن ماجه (64)).

ودلت عليه دلائل العقل، كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 78، 79]، وفي قوله عز شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ثَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾ [الحج: 5]، وقول الحق جل شأنه وتقدست أسماؤه: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: 27]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَىٰ

الْأَرْضَ خُشْعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فصلت: 39]، وقوله عز شأنه وتقدس أَسْمَاوَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27]، وقوله عز من قائل: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104].

وسمي باليوم الآخر؛ لأنه آخر أيام الدنيا، فليس بعده يوم، وله -أيضاً- أسماء كثيرة، ومن أسمائه: يوم القيامة، ويوم البعث، ويوم الحساب، ويوم الدين، والطامة، والحاقة، والواقعة، والصاخة، والغاشية، وقد ذكر الله اليوم الآخر في مواطن كثيرة من كتابه الكريم. كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 6]. وقوله جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: 43]، وقوله جل ثناؤه: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: 34]. وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ * يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمَةٌ وَأَبِيهِ * وَصُحْبَتِي وَبَنِيهِ * لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 33 - 37]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1، 2]. وقوله جل جلاله وتعالى سلطانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: 9].

باب في الإيمان بأشراط الساعة

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بعلاماته - أي علامات الساعة - وهي العلامات الدالة على قرب اليوم الآخر، كما قال سبحانه وتعالى: **{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا}** [محمد: 18]، وهي من الغيب الذي أمرنا بالإيمان به.

ومن علامات الساعة ما ظهر وانتهى، وهي كثيرة جداً، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **((بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ هَذِهِ، أَوْ: كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى))**، (أخرجه البخاري (5301)، ومسلم (2950)). وقوله صلى الله عليه وسلم: **((أَعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَفَعَاصُ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِقَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَيُظَلَّ سَاخِطًا))**...، (أخرجه البخاري (3176)، وابن ماجه (4042)). وقوله صلى الله عليه وسلم: **((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعَوُتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُفْبِضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرَجُ، وَهُوَ: الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ، فَيَفْبِضَ حَتَّى يُوْهَمَ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُئْيَانِ...)).** (أخرجه البخاري (7121)، ومسلم (157)، والترمذي (2218)).

ومن علامات الساعة ما وقع، لكنه لم ينته، ولا يزال مستمرًا، ومن ذلك وقوع الفتن في الأمة (في الصحيحين أحاديث كثيرة في الفتن، لكنها ليست صريحة في أن الفتن من أشراط الساعة؛ لهذا ذكرنا الحديثين الآتين من السنن؛ لأن فيهما التصريح بذلك.)، وهي كثيرة، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا، وَيُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِرُوا قَسِيكُمْ، وَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سِوْفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دَخَلَ - يَعْنِي - عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ». (أخرجه أبو داود (4259)، والترمذي (2204)، وابن ماجه (3961)، وابن أبي شيبة (30978)، وأحمد (19662)، والرويانى (585).)

وقال صلى الله عليه وسلم: ((تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنٌ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا، وَيُؤْمِسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)). (أخرجه الترمذي (2197)، وابن أبي شيبة في المصنف (31053) وفي الإيمان (64)، والفريابي في صفة النفاق ودم المنافقين (97).)

وقال صلى الله عليه وسلم: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ)). (أخرجه البخاري (7121)، ومسلم (157)، والترمذي (2218).)

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَّرَهُ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ -أَرَاهُ- السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟»، قَالَ: هَا أَنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَاَنْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وَبِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَاَنْتَظِرِ السَّاعَةَ». (أخرجه البخاري (59).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَنْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزَّنا». (أخرجه البخاري (80)، ومسلم (2671)، والترمذي (2205)، وابن ماجه (4045).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا، يَنْزُلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ». (أخرجه البخاري (7062)، ومسلم (2672)، والترمذي (2200)، وابن ماجه (3959، 4050).)

ومن علامات الساعة ما لم يقع بعد، وإنما يقع بين يدي الساعة قريباً منها، ومنها: نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159]، وخروج يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96]، وخروج الدابة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82].

وجاء في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا، ونحن نندأكر، فقال: «مَا تَدَاكُرُونَ؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: -فَذَكَرَ- الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسَفٌ بِالشَّرْقِ، وَخَسَفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ». (أخرجه مسلم (2901)، وأبو داود (4311)، والترمذي (2183)، وابن ماجه (4041).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا أَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، فَيَوْمَئِذٍ {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام: 158]». (أخرجه البخاري (4635)، ومسلم (157)، وأبو داود (4312)، وابن ماجه (4068).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُفْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلَيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَقْبِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ». (أخرجه البخاري (2222)، ومسلم (155)، وأبو داود (4324)، والترمذي (2233)، وابن ماجه (4078).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرٌ -وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ-

مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ». (أخرجه البخاري (7408)، ومسلم (2933)، وأبو داود (4316)، والترمذي (2245).)

باب في الإيمان بما يكون بعد الموت

ونؤمن أن من الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بأن كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]، وقال المولى عز شأنه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهِ فَإِنْ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 26، 27]، وأن ملك الموت يقبض الأرواح، قال الحق جل في علاه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: 11].

ونؤمن بما يحصل بعد الموت، من سؤال الميت، وعذاب القبر ونعيمه، كما في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46]، وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرْدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: 101]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: 50، 51]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: 47].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27] قَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ

وَجُل: {يُتَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ} [إبراهيم: 27]». (أخرجه البخاري (1369)،
ومسلم (2871) واللفظ له، والترمذي (3120)، والنسائي
(2056، 2057) وابن ماجه (4269، 4750).)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنْ
الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ
بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ
بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ». (أخرجه مسلم (590)، وأبو
داود (1542)، والترمذي (3494)، والنسائي (2063)،
وابن ماجه (3840).)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْضِ حِطَّانِ الْمَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ
يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ: «يُعَذِّبَانِ، وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَإِنَّهُ
لَكَبِيرٌ، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي
بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا بِكِسْرَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَتَيْنِ، فَجَعَلَ
كِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، وَكِسْرَةً فِي قَبْرِ هَذَا، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ
عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبَسَا». (أخرجه البخاري (6055)، ومسلم
(292)، وأبو داود (20)، والترمذي (70)، والنسائي
(31)، وابن ماجه (347).)

وعن أبي سعيد قال: حدثني زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:
بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطِ لِبْنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ
لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَدَّثَ بِهِ، فَكَادَتْ تَلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةً أَوْ
خَمْسَةً أَوْ أَرْبَعَةً -قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ- فَقَالَ: «مَنْ

يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِسْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِقُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوِّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ. (أخرجه مسلم (2867).)

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ- فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا». (أخرجه البخاري (1375)، ومسلم (2869)، والنسائي (2059).)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلْتُ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنَ عَجَزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْنُهُمَا، وَلَمْ أُنْعَمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا، وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ، وَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «صَدَقْنَا، إِنَّهُنَّ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا»، فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. (أخرجه البخاري (6366)، ومسلم (586)، والنسائي (2067).)

وكما أن الكافر والمنافق وبعض أصحاب المعاصي من المسلمين يعذبون في قبورهم، فكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُنْعَمُ فِي الْقَبْرِ،

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَّهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمَحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْذَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»، قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ». (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (1374)، وَمُسْلِمٌ (7318).)

باب في الإيمان بالبعث وما بعده

ونؤمن أن الله إذا أذن بزوال هذه الدنيا وانقضائها، أمر الله المَلَكَ فينفخ في الصور، فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68]، وقال صلى الله عليه وسلم: «...ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيَتَاءَ، وَرَفَعَ لِيَتَاءَ، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يُلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ....» (أخرجه مسلم (2940)). (و«رفع ليتاء»، أي أمال صفحة عنقه إليه. النهاية في غريب الحديث (3/ 33)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «...وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ، وَلَا يَطُويَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِفَحْتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أَكْلَتَهُ إِلَىٰ فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا».

فِيَهْلِكُ اللَّهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ مِمَّنْ كَتَبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ، حتى لا يبقى إلا الحق سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: 26]، [27]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص: 88]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [سورة غافر: 16].

ثم يُنزل الله مطراً تنبت منه أجساد الخلق، كما قال صلى الله عليه وسلم: «...ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ -أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ -أَوْ: الظِّلُّ- نُعْمَانُ (وهو أحد رواة الحديث.) الشَّاكُّ- فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ...». (أخرجه مسلم (2940).)

ثم يأمر الله الملك فينفخ في الصور النفخة الثانية، كما قال تعالى: {ثُمَّ نُفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [سورة الزمر: 68].

وبيّن صلى الله عليه وسلم مقدار ما بين النفختين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالَ: وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ، إِلَّا عَجَبَ ذَنْبِهِ، فِيهِ يُرْكَبُ الْخَلْقُ». (أخرجه البخاري (4814)، ومسلم (2955).)

ونؤمن بما أخبرنا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من أحوال السموات والأرض يوم القيامة، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالْتَرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[الزمر: 67]«. (أخرجه البخاري (4811)، ومسلم
(2786)، والترمذي (3238).)

ونؤمن بأن الناس يبعثون من قبورهم، فيحيي الله تعالى
 الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية؛ فيقوم الناس لرب
 العالمين، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ تُنْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 15، 16]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي
 الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَوْمَئِذٍ أَتَيْنَا
 مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا
 صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: 51-53].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ
 عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمُ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: 23-25].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفُنًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
 جَدِيدًا * ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي
 صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ
 إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ
 يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:

49-52]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن
 تَجِدَ لَهُم أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِم عُمَبًا
 وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّاوَلَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ
 بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفُنًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
 جَدِيدًا * ﴿قُلْ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ
 أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾
 [الإسراء: 97-99]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا
 بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104]، والآيات الكريمة في إثبات البعث
 والنشور كثيرة جدًا.

وأول من تتشق عنه الأرض نبينا صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع». (أخرجه مسلم (2278)، وأبو داود (4673)).

وأول من يفيق نبينا صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «... لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعُقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فَيَمُنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي؟ أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَنْتَى اللَّهَ؟». (أخرجه البخاري (2441)، ومسلم (2373)).

وأول من يكسى نبي الله إبراهيم خليل الرحمن، قال صلى الله عليه وسلم: «وَأَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ». (أخرجه البخاري (3349)، ومسلم (2860)، والترمذي (2423)، والنسائي (2082)).

ويحشر الناس حفاة عراة غرلاً، كما قال صلى الله عليه وسلم: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا». (أخرجه البخاري (6527)، ومسلم (2859)، والنسائي (2083)، ابن ماجه (4276)).

ونؤمن أن الأرض التي يحشر عليها العباد أرض غير هذه الأرض، كما قال الحق جل شأنه: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» [إبراهيم: 48].

وأرض الحشر بيضاء، قال صلى الله عليه وسلم: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ».

(أخرجه البخاري (6521)، ومسلم (2790).)

وعن أبي سعيد الخدري، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْرَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْرَتَهُ فِي السَّفَرِ...».

(أخرجه البخاري (6520)، ومسلم (2792).)

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة في بيان أين يكون الناس وقت التبديل: فعن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ يَسْأَلُهُ وَفِيهِ: «...فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ».

(أخرجه مسلم (315).)

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ} فَأَيَّنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: عَلَى الصِّرَاطِ».

(أخرجه مسلم (2791).)

ونعلم أن هذا اليوم عظيم جدًا، كما قال الله تعالى: (أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) [المطففين: 4، 5]. وقال جل شأنه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) [الحج: 1].

وأن مقداره خمسون ألف سنة، كما صح بذلك الخبر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ صَاحِبٍ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاةَهُ إِلَى أَنْ قَالَ: حَتَّى

يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ». (أخرجه البخاري (2371)، ومسلم (987)، وأبو داود (1658)، والترمذي (1636)، والنسائي (3563)، وابن ماجه (2788)

وفيه تدنو الشمس من الأرض، فعن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: قَوْلَ اللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَغْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةُ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟- قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيئِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمًّا». (أخرجه مسلم (2864)، والترمذي (2421).)

ويبقى المؤمنون حرَّ الشمس بما سبق لهم من الحسنی، فمنهم من يستظل بظل العرش، كما قال صلى الله عليه وسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ». (أخرجه البخاري (660)، ومسلم (1031).)

ومنهم من تظله «البقرة» و«آل عمران»، وتحتاجان عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ. اقْرَأُوا الزَّهْرَ أَوْ يَنْبِقُورَ، وَسُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنْهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنْهُمَا غَيَّائَتَانِ، أَوْ كَأَنْهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ». (أخرجه مسلم (804).) ومنهم من يستظل بظل

صدقته، قال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ أَمْرٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ
حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ». (أحمد (17333)، وأبو يعلى
(1766)، وابن خزيمة (2431)، وابن حبان (3310)،
وصححه ابن خزيمة وابن حبان.)

باب في الشفاعة يوم القيامة ومجيء الرب وإتيانه لفصل القضاء بين عباده

ونؤمن أن الشفاعة لله سبحانه وتعالى، قال الحق جل شأنه:
(قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)
[الزمر: 44].

ونؤمن أنه لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، قال الحق جل في
علاه: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) [البقرة: 255]، ولا يشفع
الشفعاء إلا لمن رضي الرحمن قوله وفعله، قال المولى عز
شأنه: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}
[الأنبياء: 28]، وقال تعالى: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) [طه: 109].

ونؤمن أن أسعد الناس بشفاعة الشفعاء هم أهل الإخلاص
والتوحيد، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:
قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لَا
يَسْأَلْنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ جُرْصِكَ
عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». (أخرجه البخاري (99)،
(6570).

ونؤمن أن الكافرين لا تنالهم شفاعة الشافعين، قال الحق جل
في علاه: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ) [المدثر: 48].
ونؤمن أن الله يأذن لمن شاء من عباده بالشفاعة؛ إكراماً
للشافع ورحمة للمشفوع له. ونعلم أن أعظم الشفعاء يوم القيامة
هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فيشفع شفاعاتٍ متعددة،

وأعظمها وأجلها الشفاعة في أهل الموقف، يُقضى بينهم، وذلك هو المقام المحمود، وهي التي ذكرها الله في كتابه، فقال جل شأنه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79]، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري: «...فَيَشْفَعُ لِيُقْضَىٰ بَيْنَ الْخَلْقِ فَيَمْشِي حَتَّىٰ يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَيَوْمِذُ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَّحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ». (أخرجه البخاري (1475).) فذكر في هذا الحديث الشفاعة في فصل القضاء، وأخبر الحق سبحانه وتعالى أنه يتفضل لفصل القضاء كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: 210]. وقوله جل شأنه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]. وقوله عز شأنه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 158].

ثم الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة، وقد دللت على هذه الشفاعات الأحاديث الكثيرة المتواترة، منها حديث أنس رضي الله عنه المشهور أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَآجَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: أَسْتُ لَهَا، وَلَكِنِ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: أَسْتُ لَهَا، وَلَكِنِ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى؛ فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: أَسْتُ لَهَا، وَلَكِنِ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: أَسْتُ لَهَا، وَلَكِنِ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَاسْتَأْذِنْ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذِنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ

أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشْفَعَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمِّي أُمِّي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشْفَعَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمِّي أُمِّي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشْفَعَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمِّي أُمِّي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ». فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسٍ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ، وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ، فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثْنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَاتَّبَيْنَاهُ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثْنَا فِي الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: هِيَ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ، فَأَنْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ: هِيَ، فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي -وَهُوَ جَمِيعٌ- مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَلَا أَدْرِي أَنَسِي أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا؟ قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ، فَحَدَّثْنَا، فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا، مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشْفَعَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لِأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». (أخرجه البخاري (7510)، ومسلم (193)، وابن ماجه (4312).)

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو نحو حديث أنس رضي الله عنه، وقال في آخره: «...أَذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ نِعْمَتَهُ، اشْفَعْ شَفْعًا، فَارْفَعْ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ادْخُلِ الْجَنَّةَ مِنْ أَمْتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى». (أخرجه البخاري (3340)، ومسلم (194).)

ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ». (أخرجه مسلم (196)، والدارمي (52).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فَاسْتُجِيبَ، فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، (أخرجه البخاري (6305).) وقال صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ نَبِيٍّ

دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي
فِي الْآخِرَةِ». (أخرجه البخاري (6304)، ومسلم (199)،
والترمذي (3602)، وابن ماجه (4307).)
ونؤمن أن الله كما أكرم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة، فكذلك يكرم الأنبياء والملائكة والمؤمنين، فعن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم:
«...فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع
المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار،
فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط». (أخرجه البخاري
(7439)، ومسلم (183)).

باب العرض والحساب وتوزيع الصحف

ونؤمن أن كلَّ إنسان يُؤتى كتابه، فأخذ كتابه بيمينه، قال الحق - وقوله الحق: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَفْرُؤُوا كِتَابِيهِ} [الحاقة: 19].

وأخذ كتابه بشماله، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يُلَيِّنُنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ} [الحاقة: 25]، أو يأخذه من وراء ظهره، قال المولى عز شأنه: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} [الانشقاق: 10]، ويقال له: {أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: 14]، وقال الحق جل شأنه: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّتُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: 49].

ونؤمن بالعرض، قال الحق - وقوله الحق: {يَوْمَئِذٍ تُعَرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة: 18]، وقال تعالى: {وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا} [الكهف: 48]. وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكْلِمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَّمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تُلْقَاءُ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». (أخرجه البخاري (6539)، ومسلم (1016)).

ونؤمن بالحساب، وأن الله يحاسب عباده، قال تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية: 25، 26]، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، كما

صح بذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «...يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْقِيكُمْ أَيَّهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». (أخرجه مسلم (2577).)

وهو سبحانه سريع الحساب، قال جل شأنه: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 17].
ونؤمن أن بعض المؤمنين يدخلون الجنة بلا حساب، قال صلى الله عليه وسلم: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ...». (أخرجه البخاري (5811)، ومسلم (216) واللفظ له.)

وحساب الله لعباده له مراتب وأحوال متباينة، فمن العباد من يحاسب حسابًا عسيرًا، ومنهم من يحاسب حسابًا يسيرًا، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينَةٍ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: 7، 8].

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ». (أخرجه البخاري (6537)، ومسلم (2876).) فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينَةٍ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ [الانشقاق: 7، 8]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا غُدِبَ». (أخرجه البخاري (6537).) ولا يُظْلَم أحد في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

وأول من يحاسب يوم القيامة من الأمم أمة محمد؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «... نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ». (أخرجه مسلم (856)).

وأول ما يقضى بين الناس في الدماء؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ». (أخرجه البخاري (6864)، ومسلم (1678)).

ونؤمن أنه في هذا اليوم يؤتى بالشهداء، فتشهد الملائكة، وتشهد الأرض بما عمل العباد عليها، وتشهد الجوارح، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: 51]، وقال الحق: ﴿وَأَشْرَفَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69]، وقال المولى عز شأنه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: 4]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: 65].

وفي «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ذكر شهادة الجوارح على العباد، وفيه: «...ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ». (أخرجه مسلم (2968)).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَجَّكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ

ثُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُحِيزُ
عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ
شَهِيدًا، وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخَنِّمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ
لَأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْكَلَامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكِنَّ سَحَقًا، فَعَنْكَنَ كُنْتُ أَنْاضِلُ».

(أخرجه مسلم (2969).)

باب الإيمان بالموازين

ونؤمن بأن الله تعالى يضع الموازين لوزن أعمال العباد، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47]، وقال تعالى: ﴿وَالْوِزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 8، 9]، وهو ميزان حقيقي له كفتان ولسان توزن به أعمال العباد.

ونؤمن أن الأعمال توضع في الموازين، قال صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». (أخرجه البخاري (6682)، ومسلم (2694)، والترمذي (3467)، وابن ماجه (3806).)

وقال صلى الله عليه وسلم -أيضاً: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ...». (أخرجه مسلم (223)، والترمذي (3517)، والنسائي (2437)، وابن ماجه (280).)

ونعلم أن العامل يوضع مع عمله في الميزان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزْنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، وَقَالَ: اقْرَأُوا: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: 105] ، (أخرجه البخاري (4729)، ومسلم (2785).) وكذلك توضع في الموازين صحائف الأعمال كما دل على ذلك حديث البطاقة. (أخرجه الترمذي (2639)، وابن

ماجه (4300)، وابن المبارك في المسند (100)، وفي الزهد
(109 /2)، وأحمد (6994).

باب الإيمان بالحوض

ونؤمن بأن لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حوضاً ترده أمته، قال تعالى: **{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}** [الكوثر: 1].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أَنْزَلْتُ عَلَيَّ آيَةً سُورَةً» فَقَرَأَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَر * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: 1-3]» ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ نَهْرَ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيِنُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخَلَّجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثْتُ بَعْدَكَ». (أخرجه مسلم (400)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَأْوُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيْرَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا». (أخرجه البخاري (6579)، ومسلم (2292)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ التَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَا يَنْبِيْهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لِأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَكُمْ سِيْمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ، تَرْدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ». (أخرجه مسلم (247)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: هَلَمْ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: هَلَمْ، قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلٍ النَّعَمِ». (أخرجه البخاري (6587).)

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما عُرِجَ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى السَّمَاءِ قال: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ الْمَجُوفِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكُوثَرُ». (أخرجه البخاري (4964).)

باب الصراط والجزاء

ونؤمن أن الصراط يُنصب على مثن جهنم، وهو دحض مَزَلَّةٌ، يمر عليه العباد بحسب أعمالهم، وبه كلاليبٌ مثل شوك السعدان، فتخطف الناس بأعمالهم، وأول من يجوز الجسر نبينا صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعِ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ، فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلَ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». (أخرجه البخاري (806)، ومسلم (182)، وأبو داود (4730)، والترمذي (2554)، وابن ماجه (178).)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «...ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالَالِيبِ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقِيَاءٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا...». (أخرجه البخاري (7439).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «...وَفِي حَافَتِي الصِّرَاطِ كَاللَّيْلِ مُعَلَّقَةً مَّامُورَةً بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ». (أخرجه مسلم (195)).

وعن أبي الزبير، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ: «نَجِيءٌ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، أَنْظِرْ أَيَّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ: فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْتَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَنَافِقًا، أَوْ مُؤَمِّنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَاللَّيْلِ وَحَسَاكَ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ...». (أخرجه مسلم (191)).

وإذا نجا المؤمنون من الصراط فإنهم يُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لِأَحَدِهِمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا». (أخرجه البخاري (6535)).

باب الجنة والنار

ونؤمن أن الجنة والنار هما دار الجزاء، وورد في القرآن والسنة صفة أهل الجنة والنار، وذكر مساكنهم ومشاربهم ومطاعمهم وملابسهم.

ونؤمن أنهما مخلوقتان الآن، وأن آدم عليه السلام كان في جنة الخلد، قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 19]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا حَبِيبُنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتُلَوْنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» ثلاثاً. (أخرجه البخاري (6614)، ومسلم (2652)، وأبو داود (4701)، والترمذي (2134)، وابن ماجه (80).)

والجنة هي دار النعيم المقيم، قال الحق عز شأنه: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرٌ لِلْعَمِلِينَ﴾ [آل عمران: 136]. وقال تعالى مُرْغَبًا فِيمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17].

ونؤمن أن أعظم نعيم الجنة هو النظر إلى وجه الله تعالى في جنات النعيم، قال تعالى: ﴿وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23] وقال: ﴿كَأَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15] وعن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ،

قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ. (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (181).)

وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْجَنَّةَ مَنَازِلُ، وَقَدْ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَزَلَةً وَأَعْلَاهُمْ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَزَلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، كَيْفَ، وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخْدَانَهُمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ مُلْكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اسْتَهْتَنْتَ نَفْسَكَ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنَزَلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدَيَّ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ: وَمَصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: 17] الْآيَةُ. (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (189).)

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَدْنَى مَفْعَدٍ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ فَيَتَمَنَّى، وَيَتَمَنَّى، فَيَقُولَ لَهُ: هَلْ تَمَنَيْتَ؟ فَيَقُولَ: نَعَمْ، فَيَقُولَ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ». (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (182).)

وَنَعْلَمُ أَنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ

مَحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَأَبْنُ أُمِّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ
أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ؛
أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ النَّامِيَّةِ شَاءَ». (أخرجه البخاري
(3435)، ومسلم (28).)

ونؤمن أن دار النعيم جنات متعددة، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ
خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: 46]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا
جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: 62]، وقال صلى الله عليه وسلم: «جنتان من
فضة، أنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، أنيتهما وما فيهما،
وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على
وجهه في جنة عدن».

ونؤمن أن نعيم الجنة دائم لا ينقطع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ
يَنَعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ».

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنْ
لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهَرَمُوا أَبَدًا،
وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَعْمُوا فَلَا تَبْنَسُوا أَبَدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتُودُوا
أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رَتَّبْنَاهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]».

وأخبر الله عن النار وما فيها من أصناف العذاب والنكال،
فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ
يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ
مُرْتَقًى﴾ [الكهف: 29]، وقال الحق سبحانه: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي
بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقْعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: 20، 21]، وقال
المولى عز شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا

نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَلِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 56].

ونؤمن أن النار دركات مختلفة، وقد بيّن الحق أن المنافقين في دركات الجحيم، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145]. وجاء في القرآن الكريم أن لها سبعة أبواب، فقال الحق جل في علاه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: 44]. وهي دار العذاب المقيم، قال الحق جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: 168، 169].

كتاب الإيمان بالقدر

ملخص الكتاب

ونؤمن بالقضاء والقدر، ونعلم علم اليقين أن الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، فالإيمان بالقدر من الإيمان بالله؛ لأن القدر من علم الله وتقديره وتدبيره ومشيئته وخلقه.

وأجمع المسلمون على أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان.

ونعلم أن الإيمان بالقضاء والقدر يتضمن الإيمان بعلم الله الشامل المحيط، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، وأن علمه محيط بالأمور العظيمة والجليلة، والكبيرة والصغيرة، ولا شيء مما هو موجود أو مما سيوجد، ولم يوجد بعد، إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ، مكتوب ذلك فيه، ومرسوم عدده ومبلغه والوقت الذي يوجد فيه، والحال التي يفنى فيها.

وأنه سبحانه علم ما كان، وما سيكون، وما لو كان كيف سيكون، وأن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.

ونؤمن بأن الله كتب كل ما هو كائن في كتاب محفوظ. ونؤمن أن الله يكتب ما يشاء، ويمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

ونؤمن بأنه لا يكون شيء إلا بقضاء الله وقدره، ولا يدفع أمر إلا بقضاء الله وقدره، فما قدره واقع لا محالة، وما صرفه لا يستطيع أحد أن يوقعه، فالخلق كلهم لا يستطيعون فعل شيء

لم يكتبه الله، ولا دَفَعَ ما كتبه سبحانه وتعالى، فما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

ونؤمن بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن مشيئته تامة، وقدرته نافذة، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، ونؤمن بأن للعباد مشيئة على الحقيقة، وهي تابعة لمشيئة الله تعالى.

ونؤمن بأن الله قد هدى من شاء بفضله، وخذل من شاء بعدله سبحانه وتعالى، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وكل طاعة من مطيع فبتوفيق الله له، وكل معصية من عاص فبخذلان الله السابق منه وله، والسعيد من سبقت له السعادة، والشقي من سبقت له الشقاوة، وأفعال العباد من الخير والشر فعل لهم، خَلَق لخالقهم.

ونؤمن بأن الله يحب الطاعات والمطيعين، ونؤمن أن الله يكره الفسوق والفساقين، وإن الله إذا أراد بعدد خيراً وَفَّقَه لمحابِّه وطاعته وما يرضى به عنه، ومن أراد به غير ذلك أقام عليه الحجة، ثم عذبه غير ظالم له.

ونؤمن أن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر. ونؤمن بأن الله خالق كل شيء، وأن الله خلق العباد، وخلق أفعالهم، لا يشاركه أحد في خلقه، كما لا يشاركه أحد في ملكه. واحتج الله على الخلق بأنه هو الخالق وحده، ومن تفرد بالخلق فليس لأحد أن يدعي مشاركته في الخلق.

ونؤمن أنه لا تعارض بين الشرع والأمر والخلق، فالله سبحانه وتعالى له الخلق، وله الأمر، فكما يفعل ما يشاء، ولا يسأل عما يفعل، فهو يأمر، ولا راد لقضائه، ولا معقب لأمره.

ونؤمن أن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ومع ذلك أمر بطاعته وطاعة رسله وأنبيائه، ونهى عن معصيته ومعصية رسله وأنبيائه، فجمع سبحانه وتعالى في كتابه بين الإخبار عن تقديره، والأمر باتباع وحيه وأمره. وبين الحق أن الواجب اتباع الهدى، وأنه هدى من شاء بفضله، وأضلّ من شاء بعدله، وجمع الحق بين إخباره عن مشيئته العامة، وتهديده للمخالفين، وأمره لعباده المؤمنين بعبادته والتوكل عليه. والجمع بين الإيمان بالقدر والعمل بالشرع ممكن ومقدور عليه؛ وبين المولى عز شأنه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها.

ونؤمن بأنه كما لا يوجد تعارض بين الخلق والأمر والشرع، لا يوجد تعارض بين الشرع والأمر والعقل، فكل ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، أو نهى عنه الله ورسوله، أو قدره الله، أو أخبر به، فلا يعارض العقل، بل هو مقتضى ما تأمر به العقول، وهو غاية الحكمة.

ونؤمن بأن الله أنزل الكتب، وأرسل الرسل عليهم السلام لتقوم الحجة على الخلق. والشرع والأمر والقدر كل ذلك متكامل يكمل بعضه بعضاً، وهو في غاية الحسن، بل لا أحسن منه.

وأثنى الله تعالى على كتابه الذي وصفه بأنه أحسن الحديث الذي تضمن الشرع والأمر - فما شرعه الله أو قدره، فهو في غاية الكمال والحسن؛ سواء أدركته العقول أو عجزت عن إدراكه وفهمه، ولا نجعل عقولنا وآراءنا حكماً على شرع الله

وقدره، تارة بالتحسين وتارة بالتقبيح، بل كل ما قدره الله وشرعه فهو تامُّ الحُسْن والكمال.

ونؤمن بأن الشرع والقدر كله خير، والله لا يقدر الشر المحض، ولكن يدخل الشر ضمن عموم المقدّر، ويرد في القرآن مضافاً إلى من قام به، ومن باب الأدب ألا يضاف الشر إلى الله تعالى.

ونؤمن بأن فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل مباشرة الأسباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، وأمر ربنا بفعل الأسباب، ومن أعظم الأسباب الدعاء، وأمرنا بالدعاء وقد سبق القضاء.

ونؤمن بأن الله سبحانه وتعالى -يأمر بالعدل- ويحكم به شرعاً وتقديراً وجزاءً، ونفى عن نفسه الظلم، وأثبت كمال العدل.

ونؤمن بأن سبق القدر لا يلزم منه ظلم للعباد؛ لأن الله أنزل الكتب، وأرسل الرسل؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وجعل القدر سرّاً مكتوماً، وجعل للعباد مشيئة واختياراً، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها.

ونؤمن بأنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي ولا على ترك الطاعات، وأن المشركين الذين احتجوا بالقدر على وقوعهم في الشرك، بين الله كذبهم وأذاقهم بأسه، ولو كان القدر حجة لهم على شركهم ما أذاقهم الله بأسه.

ونؤمن بأنه يجوز للعبد أن يحتج بالقدر على الذنوب بعد التوبة منها، وأن يحتج بالقدر على المصائب.

ونؤمن أن المؤمن إذا سلّم الأمر إلى الله، ورجع واسترجع
عند المصيبة، كتب له ثلاث خصال من الخير: الصلاة من الله،
والرحمة، وتحقيق سبيل الهدى.

باب وجوب الإيمان بالقدر

ونؤمن بالقضاء والقدر، فهو سبحانه وتعالى قد علم ما كان وما سيكون، وكتب كل ذلك وشاءه وخلقه وقدره تقديرًا.

ونعلم علم اليقين أن الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، وقال الحق جل في علاه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْذُورًا﴾ [الأحزاب: 38]، وقال المولى عز شأنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]، وقال المولى جل شأنه: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فالإيمان بالقدر من الإيمان بالله؛ لأن القدر من علم الله وتقديره وتدبيره.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: 68]، وقال المولى عز شأنه: ﴿وَإِنَّمَا مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه من حديث جبريل عليه السلام قال: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. (أخرجه مسلم (8)، وأبو داود (4695)، والترمذي (2610)، والنسائي (4990)، وابن ماجه (63)).

وقد أجمع المسلمون على أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، قال الحافظ أبو القاسم اللالكائي: «فإن كان في الدنيا

إجماع بانتشار من غير إنكار، فهو في هذه المسألة «يعني القدر»، فمن خالف قوله فيها، فهو معاند مشاقق، يلحق به الوعيد، وهو داخل تحت قوله: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: 115]. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (4/ 726).)

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أَنَّ نَفَرًا كَانُوا جُلُوسًا بِبَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذًا وَكَذَا؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذًا وَكَذَا؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ كَأَنَّمَا فُقِيَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ: «بِهَذَا أُمِرْتُ؟ أَوْ بِهَذَا بُعِثْتُ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟ إِنَّمَا ضَلَّتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ، انظُرُوا الَّذِي أُمِرْتُ بِهِ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَالَّذِي نُهَيْتُمْ عَنْهُ، فَانْتَهُوا». (أخرجه ابن ماجه (85)، وأحمد (6845) واللفظ له، والحاثر بن أبي أسامة في المسند - كما في بغية الباحث (735)، وابن أبي عاصم في السنة (406).)

وعن عبد الملك -يعني ابن جريج- عن عطاء بن أبي رباح قال: «أتيت ابن عباس، وهو ينزع في زمزم، وقد ابتلت أسافل ثيابه، فقلت له: قد نُكِّلَ في القدر، فقال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: والله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: {ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ} * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 48، 49]، لا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، ولو أريتنى واحداً منهم، فقأت عينه». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (3/ 597).)

وَقَالَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي». (أخرجه أبو داود في سننه (4700)، والسنة، لابن أبي عاصم (51/1)).

وعن يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ قَالَ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجَهَنِيِّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمِيرِيُّ حَاجِبَيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوَفَّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدِ، فَاسْتَفْتَاهُ أَنَا وَصَاحِبِي: أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَتَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لَاقَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ، قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بَرَاءٌ مِنِّي، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ...». (أخرجه مسلم في مقدمة

الصحيح (8)، والشریعة، للأجري (851/2)).

وعن أبي هارون الأبلی - وكان ممن صحب سهل بن عبد الله - وكان رجلاً صالحاً، وكان يقرئنا القرآن في المسجد الجامع، قال: «سئل سهل بن عبد الله عن القدر، فقال: الإيمان بالقدر

فرض، والتكذيب به كفر، والكلام فيه بدعة، والسكوت عنه سنة». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (4/786).)
وعن الحسن البصري قال: «جفَّ القلم، وقضي القضاء، وتمَّ القدر بتحقيق الكتاب، وتصديق الرسل، وسعادة من عمل واتقى، وشقاوة من ظلم واعتدى، وبالولاية من الله للمؤمنين، وبالتبرئة من الله للمشركين». (الشریعة، للأجري (881/2)).

قال ابن بطة العكبري: «ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومرّه، وقليله وكثيره مقدور واقع من الله عز وجل على العباد، وفي الوقت الذي أراد أن يقع، لا يتقدم ولا يتأخر، على ما سبق بذلك علم الله، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما تقدم لم يكن ليتأخر، وما تأخر لم يكن ليتقدم... فالإيمان بهذا حق لازم، فريضة من الله عز وجل على خلقه، فمن خالف ذلك، أو خرج عنه، أو طعن فيه، ولم يثبت المقادير لله عز وجل، ويضيفها، ويضيف المشيئة إليه، فهو أول الزندقة». (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لابن بطة (ص: 213 - 216)).

باب ما يتضمنه الإيمان بالقدر

ونؤمن أن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله الشامل المحيط، وأنه سبحانه وتعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، قال المولى عز شأنه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12].

وأن علمه محيط بالأمور العظيمة والجليلة، والكبيرة والصغيرة، قال تعالى: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59]. قال ابن جرير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: «ولا شيء -أيضاً- مما هو موجود، أو مما سيوجد ولم يوجد بعد، إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ، مكتوب ذلك فيه، ومرسوم عدده ومبلغه، والوقت الذي يوجد فيه، والحال التي يفنى فيها. ويعني بقوله: {مُبِين} أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم». (تفسير الطبري (403/11)).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبا: 2، 3].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: «اقْبُلُوا

الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ
الْيَمَنِ، فَقَالَ: «افْبُلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِنْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو
تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ
هَذَا الْأَمْرِ: مَا كَانَ؟ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ
عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ
كُلَّ شَيْءٍ». ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ، أَدْرِكْ نَاقَتَكَ، فَقَدْ
ذَهَبَتْ، فَأَنْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَائِمْ اللَّهُ
لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ، وَلَمْ أَقُمْ. (أخرجه البخاري
(7418)، والترمذي (3951).)

وقد علم سبحانه وتعالى ما كان، وما سيكون، وما لو كان
كيف سيكون، قال تعالى -مخبراً عن المنافقين أنهم لو خرجوا
مع المؤمنين ما زادوهم إلا خبالاً، وهم لم يخرجوا معهم بعد -:
(لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبِغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ
وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) [التوبة: 47].

وقال الله تعالى في أهل النار: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفِّقُوا عَلَى النَّارِ
فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِبِأَيِّ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَأَ
لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلَ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ) [الأنعام: 27، 28]. فذكر أنهم لو ردوا إلى الدنيا
لعادوا إلى كفرهم، وهم لم يعرضوا على النار بعد، وقال تعالى:
(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ
لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمُوتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ
ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [سبا: 3].

ونؤمن بأن الله سبحانه وتعالى كتب كل ما هو كائن في كتاب
محفوظ، قال الحق جل شانه: (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ

فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ { [يونس: 61]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». (أخرجه مسلم (2653)، والترمذي (2156).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ». (أخرجه أبو داود (4700)، والترمذي (2155)، (3319)، والطيالسي (578)، وأحمد (22705، 22707)، وابن أبي عاصم في السنة (115).)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبَتْ، أَوْ قَالَ: سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ». (أخرجه البخاري (7553)، ومسلم (2751)، والترمذي (3543)، وابن ماجه (189).)

ونؤمن أن الله يكتب ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب، قال الحق - وقوله الحق: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39].

ونؤمن أنه لا يكون شيء إلا بقضاء الله وقدره، ولا يدفع أمر إلا بقضاء الله وقدره، فما قدره واقع لا محالة، وما صرفه لا يستطيع أحد أن يوقعه، فالخلق كلهم لا يستطيعون فعل شيء لم يكتبه الله، ولا دفع ما كتبه سبحانه وتعالى، فما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». (أخرجه الترمذي (2516)، وابن وهب في القدر (28)، وأحمد (2669)، وعبد بن حميد (636).)

ونؤمن بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن مشيئته تامة، قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: 68]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29]. وقدرته نافذة، قال الحق: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: 44]،

وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: 112].

ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، قال الحق: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: 253].

ونؤمن بأن للعباد مشيئة على الحقيقة، وهي تابعة لمشيئة الله، قال المولى عز شأنه: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان: 30]، وقال الحق جل شأنه: {لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: 28، 29]، وقال عز شأنه: {إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا} [الإنسان: 29]. وقال سبحانه وتعالى: {ذَٰلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا} [النبأ: 39].

ونؤمن بأن الله قد هدى من شاء بفضله، وخذل من شاء بعدله سبحانه وتعالى، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام: 39]، وقال عز شأنه: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام: 125]، وقال الحق جل في علاه: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة: 13].

وعن أبي بكر المروزي قال: «سمعت أبا عبد الله -يعني: أحمد بن حنبل- يقول: سألوأ عبدالرحمن بن مهدي عن القدر،

فقال لهم: الخير والشر بقدر». (الإبانة الكبرى، لابن بطة (261/4).)

وقال أبو بكر بن أبي عاصم: «سألت عن السنة ما هي؟ والسنة: اسم جامع لمعان كثيرة في الأحكام وغير ذلك، ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة: القول بإثبات القدر، وأن الاستطاعة مع الفعل للفعل، والإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه وممره، وكل طاعة من مطيع فبتوفيق الله له، وكل معصية من عاص فبخذلان الله السابق منه وله، والسعيد من سبقت له السعادة، والشقي من سبقت له الشقاوة، والأشياء غير خارجة من مشيئة الله وإرادته، وأفعال العباد من الخير والشر فعل لهم، خلق لخالقهم». (السنة، لابن أبي عاصم (645/2).)

ونؤمن أن الله يحب الطاعات والمطيعين، قال جل ثناؤه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: 7]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّوْبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَّاسَ، وَيَكْرَهُ التَّائِبَ». (أخرجه البخاري (6223)، ومسلم (2994)، وأبو داود (5028)، والترمذي (2746)، وابن ماجه (968).)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا

**فَاجِبُهُ...». (أخرجه البخاري (6040)، ومسلم (2637)،
والترمذي (3161).)**

ونؤمن بأن الله يكره الفسوق والفاسقين، وقال الحق سبحانه:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا
تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بَنَسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ) [الحجرات: 11]، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ) [البقرة: 190]، وقال المولى عز شأنه: (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ) [البقرة: 205].

وعن عثمان البتي قال: دخلت على ابن سيرين، فقال لي:
«ما يقول الناس في القدر؟ قال: فلم أدر ما رددت عليه، قال:
فرفع شيئاً من الأرض، وقال: ما أريد على ما أقول مثل هذا،
(في الشريعة للأجري ما يزيد. (2 / 887).) إن الله إذا أراد
بعبد خيراً وفقه لمحابه وطاعته، وما يرضى به عنه، ومن أراد
به غير ذلك اتخذ عليه الحجة، ثم عذبه غير ظالم له». (القدر،
للغريابي (ص: 263).)

ونؤمن بأن الله لا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر،
قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) [الأعراف: 28]، وقال عز
شأنه وتعالى سلطانه: (وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا
يَرْضَهُ لَكُمْ) [الزمر: 7].

ونؤمن بأن الله خالق كل شيء، قال تعالى: (اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الزمر: 62]، وأن الله خلق العباد،
وخلق أفعالهم، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)
[الصافات: 96]، ولا يشاركه أحد في خلقه كما لا يشاركه أحد

في ملكه، قال الحق جل في علاه: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ
تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2].

واحتج الله على الخلق بأنه هو الخالق وحده، قال الله تعالى:
﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ
نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: 57-59]. فهو، وإن كان برهاناً على
البعث، دليل على تفرده - سبحانه - بالخلق تبارك وتعالى.

باب لا تعارض بين الأمر والشرع والخلق والعقل

ونؤمن بأنه لا تعارض بين الشرع والأمر والخلق، فالله سبحانه وتعالى له الخلق، وله الأمر، فكما يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل، فهو يأمر ولا راد لقضائه، ولا معقب لأمره، قال الحق سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

ونؤمن بأن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ومع ذلك أمر بطاعته وطاعة رسله وأنبيائه، ونهى عن معصيته ومعصية رسله وأنبيائه، قال الحق جل شأنه، وتقدست أسماؤه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 107-109]. فجمع سبحانه وتعالى في هذه الآيات بين الإخبار عن تقديره، والأمر باتباع وحيه وأمره، وقال الحق جل جلاله: ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: 106-107]، فبين الحق أن الواجب اتباع الهدى، وأنه هدى من شاء بفضله، وأضل من شاء بعدله، سبحانه وتعالى، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ * وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ { [هود: 118-123]. وفي هذه الآيات -أيضاً- جمع سبحانه وتعالى بين إخباره عن مشيئته العامة، وتهديده للمخالفين، وأمره لعباده المؤمنين بعبادته والتوكل عليه.

والجمع بين الإيمان بالقدر والعمل بالشرع ممكن ومقدور عليه؛ ولذا قال المولى عز شأنه: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: 286]، وقال الحق سبحانه وتعالى: {وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [المؤمنون: 62].

وأمرنا الله بالصبر على أقداره المؤلمة، فقال الحق جل شأنه: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: 155]، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ». (أخرجه إسحاق بن راهويه (2413)، وأحمد في المسند (27079)، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (6)، والنسائي في الكبرى (7440).)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ حَظِيئَةٌ». (أخرجه الترمذي

(7859)، وابن أبي شيبه (10916)، وأحمد في المسند (7859)، وهناد بن السري في الزهد (402).

وعن علي رضي الله عنه قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مَخْصَرَةٌ، فَكَسَّ، فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِمَخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تَنْكُلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَتَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنْنا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْنا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ. قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسِّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسِّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى { الْآيَةُ [الليل: 6]}. (أخرجه البخاري (1362)، ومسلم (2647)، وأبو داود (4694)، والترمذي (3344).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْعَرَفُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلُّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَوْ: لِمَا يُسِيرُ لَهُ». (أخرجه البخاري (6596)، ومسلم (2649)، وأبو داود (4709).

وعن جابر رضي الله عنه قال: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشَمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيَّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ»

قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلِ؟ قَالَ رُهَيْبٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الرَّبِيعِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ». (أخرجه مسلم (2648).)

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ -فِيمَا يَرَى النَّاسُ- عَمَلٌ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ -فِيمَا يَرَى النَّاسُ- عَمَلٌ أَهْلُ النَّارِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا». (أخرجه البخاري (6493)، ومسلم (112).)

قال الإمام الأجري مخبراً عن الله أنه: «أَحَبُّ الطَّاعَةِ مِنْ عِبَادِهِ وَأَمْرَ بِهَا، فَجَرَتْ مِنْ أَطَاعِهِ بِتَوْفِيقِهِ لَهُمْ، وَنَهَى عَنِ الْمَعَاصِي، وَأَرَادَ كَوْنَهَا مِنْ غَيْرِ مُحَبَّةٍ مِنْهُ لَهَا، وَلَا لِلأَمْرِ بِهَا، تَعَالَى عِزُّ وَجَلُّ عَنْ أَنْ يَأْمُرَ بِالْفَحْشَاءِ، أَوْ يَحْبِهَا، وَجَلَّ رَبُّنَا وَعِزٌّ مَنْ أَنْ يَجْرِيَ فِي مَلِكِهِ مَا لَمْ يَرِدْ أَنْ يَجْرِيَ، أَوْ شَيْءٌ لَمْ يَحِطْ بِهِ عِلْمُهُ قَبْلَ كَوْنِهِ، قَدْ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وَبَعْدَ أَنْ خَلَقَهُمْ، قَبْلَ أَنْ يَعْمَلُوا قِضَاءً وَقَدَرًا، قَدْ جَرَى الْقَلَمُ بِأَمْرِهِ تَعَالَى فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ بِمَا يَكُونُ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَجُورٍ، يَثْنِي عَلَى مَنْ عَمِلَ بِطَاعَتِهِ مِنْ عِبِيدِهِ، وَيُضِيفُ الْعَمَلَ إِلَى الْعِبَادِ، وَيَعْدُهُمْ عَلَيْهِ الْجِزَاءَ الْعَظِيمَ، وَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ لَهُمْ مَا عَمَلُوا بِمَا اسْتَوْجَبُوا بِهِ مِنْهُ الْجِزَاءَ؛ {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: 21]، وَكَذَا ذَمُّ قَوْمًا عَمَلُوا بِمَعْصِيَتِهِ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا، وَأَضَافَ الْعَمَلَ إِلَيْهِمْ بِمَا عَمَلُوا، وَذَلِكَ بِمَقْدُورٍ جَرَى عَلَيْهِمْ، يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ». (الشریعة، للأجري (702 / 2).)

ونؤمن بأنه كما لا يوجد تعارض بين الخلق والأمر والشرع، فكذا لا يوجد تعارض بين الشرع والأمر والعقل، فكل ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم، أو نهى عنه الله ورسوله، أو قدره الله، أو أخبر به - لا يعارض العقل؛ بل هو مقتضى ما تأمر به العقول، وهو غاية الحكمة، قال الحكيم العليم: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: 39]، وقال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بِلَغَةٍ فَمَا تُعْنِ النَّذْرُ﴾ [القمر: 5]، وقال الحق: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: 113]، وبه تقوم الحجة على الخلق، قال المولى عز شأنه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149]. وهذا الشرع والأمر والقدر هو في غاية الحسن، بل لا أحسن منه، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

وعن ابن الديلمي قال: «أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَابَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُثْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ». (أخرجه أبو داود

(4699)، وابن ماجه (77)، وأحمد (21589)، وعبد بن حميد (247)، والفریابی في القدر (190)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (676/4).

وقال تعالى مثنيًا على كتابه الذي تضمن الشرع والأمر أنه أحسن الحديث، قال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا} [الزمر: 23]. فما شرعه الله أو قدره فهو في غاية الكمال والحسن؛ سواء أدركته العقول أو عجزت عن إدراكه وفهمه، ولا نجعل عقولنا وآراءنا حكمًا على شرع الله وقدره تارة بالتحسين، وتارة بالتقبيح، بل كل ما قدره الله وشرعه فهو تام الحسن والكمال.

ونؤمن بأن الشرع والقدر كله خير، والله لا يقدر الشر المحض، قال صلى الله عليه وسلم: «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ». (أخرجه مسلم (771)، وأبو داود (761)، والترمذي (266)، والنسائي (897)).

ويدخل الشر ضمن عموم المقدر، كما قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 49]، ويرد الشر في القرآن مضافًا إلى من قام به، قال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق: 1، 2].

ومن باب الأدب ألا يضاف الشر إلى الله تعالى، قال المولى مخبرًا عن الجن أنهم قالوا: {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن: 10]، وقال الله تعالى مخبرًا عن الخليل عليه السلام أنه قال: {وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي} [الشعراء: 80]، فنسب المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله جل جلاله.

باب فعل الأسباب من القدر

ونؤمن أن فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل مباشرة الأسباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، وأمر ربنا بطلب الرزق، وقد أخبرنا أنه كتبه لنا، قال الحق: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10].

وقال الله مخبراً عن يعقوب أنه قال لبنيه: ﴿يَا بَنِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67]. وعن السائب بن يزيد: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَخَذَ دِرْعَيْنِ، كَأَنَّهُ ظَاهِرَ بَيْنَهُمَا». (أخرجه ابن ماجه (2806)، وسعيد بن منصور (2858)، وأحمد (15722)، والنسائي في الكبرى (8529).) وأمر الله نوحاً عليه السلام بصنع السفينة، كما أمر موسى عليه السلام بأن يضرب البحر، وأمر مريم عليها السلام بأن تهز جذع النخلة لتساقط عليها الرطب، إلى غير ذلك مما أمر الله به عباده باتخاذ الأسباب.

ومن أعظم الأسباب: الدعاء، فعن النعمان بن بشير «عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. قَالَ: الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي

أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60] إِلَى قَوْلِهِ: {دَاخِرِينَ}». (أَخْرَجَهُ أَبُو
دَاوُدَ (1479)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2969)، وَابْنُ مَاجَهَ (3828).
وَمِنَ الْأَسْبَابِ: الدَّوَاءُ وَالرَّقْيُ، فَعَنْ أَبِي خَزَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رُقِيَ نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ وَتُقَاةً
نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ: «هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ».
(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (2065)، وَابْنُ مَاجَهَ (3437)، وَابْنُ
وَهْبٍ فِي الْجَامِعِ فِي الْحَدِيثِ (699)، وَأَحْمَدُ (15472) وَابْنُ
أَبِي عَاصِمٍ فِي الْأَحَادِ وَالْمِثَانِي (2610).)

باب القدر لا يتعارض مع العدل

نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يأمر بالعدل، ويحكم به شرعاً وتقديرًا وجزاءً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، وقال المولى عز شأنه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 76]، وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا» (أخرجه مسلم (2577)، والترمذي (2495)).

ونفى عن نفسه الظلم، فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾ [النساء: 40]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 124]، وقال عز شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: 44]، وقال الحق جل شأنه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 160]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كمال عدله، ونفى الظلم عن نفسه.

ونؤمن بأن سبق القضاء والقدر لا يلزم منه ظلم للعباد؛ لأن الله أنزل الكتب، وأرسل الرسل؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165].

وجعل القدر سرًّا مكتومًا، قال تعالى: ﴿عُلِّمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 26]، وجعل للعباد مشيئة واختيارًا، قال المولى عز شأنه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3]، وقال الحق: ﴿فَاللَّهُمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: 8].

باب الاحتجاج بالقدر

نؤمن بأن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب؛ لئلا يكون للناس على الله حجة، قال المولى عز شأنه: **(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِنَاسٍ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)** [النساء: 165]، وقال تعالى مخبراً عن المشركين أنهم احتجوا بالقدر على وقوعهم في الشرك، فبين الله كذبهم، وأذاقهم بأسه، قال تعالى: **(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَاسًا فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ فُتُخْرَجُوهُ لَنَّا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)** [الأنعام: 148]. ولو كان القدر حجة لهم على شركهم ما أذاقهم الله بأسه.

وعن علي رضي الله عنه قال: **كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ عُوذٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، وَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلَا نَنْكِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا فِكُلُّ مُيَسَّرٍ». ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى} [الليل: 5] الآية»، (أخرجه البخاري (6605)، ومسلم (2647)، والترمذي (2136)، وابن ماجه (78).) فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل، ونهى عن الاتكال على القدر.**

ونؤمن أنه يجوز للعبد أن يحتج بالقدر على الذنوب بعد التوبة منها، فعن حميد بن عبدالرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ**

وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلَوْنِي عَلَى أَمْرِ قَدَّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى». مَرَّتَيْنِ. (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (6614)، وَمُسْلِمٌ (2652)، وَأَبُو دَاوُدَ (4701)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2134)، وَابْنُ مَاجَةَ (80).)

وَقَالَ مَطَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمْ نُوَكَّلْ فِي الْقُرْآنِ إِلَى الْقَدَرِ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا فِي الْقُرْآنِ أَنَّا إِلَيْهِ نَصِيرٌ»، (السُّنَّةُ، لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ (412/2)). وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْقَدَرِ مِنَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا أُدْرِي مَا هُمْ؟». (السُّنَّةُ، لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ (432/2)، وَشَرَحَ أَصُولَ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ (696/4)).

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: «سُئِلَ مَالِكٌ عَنْ أَهْلِ الْقَدَرِ: أَيْكِفَ عَنْ كَلَامِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَانَ عَارِفًا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ. قَالَ: وَيَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُخْبِرُهُمْ بِخِلَافِهِمْ، وَلَا يَوَاضِعُ الْقَوْلَ، وَلَا يَصْلِي عَلَيْهِمْ، وَلَا تُشْهَدُ جَنَائِزُهُمْ، وَلَا أَرَى أَنْ يَنَاقِحُوا، زَادَ فِي رِوَايَةِ غَيْرِهِ: قَالَ اللَّهُ: {وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِمَّنْ مُشْرِكٍ} [البقرة: 221]، قَالَ فِي رِوَايَةِ أَشْهَبَ: وَلَا يَصْلِي خَلْفَهُمْ، وَلَا يَحْمِلُ عَلَيْهِمُ الْحَدِيثَ، وَإِنْ وَافَقْتُمُوهُمْ فِي ثَغَرٍ فَأَخْرِجُوهُمْ مِنْهُ». (تَرْتِيبُ الْمَدَارِكِ وَتَقْرِيبُ الْمَسَالِكِ (91/1)).

وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمَصَائِبِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ،

وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». (أخرجه مسلم (2664)، وابن ماجه (79)).

و عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله في تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: 156]: قال: أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ وَرَجَعَ وَاسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، كُتِبَ لَهُ ثَلَاثُ خِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ: الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ، وَالرَّحْمَةُ، وَتَحْقِيقُ سَبِيلِ الْهُدَى. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ، وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلْفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ». (أخرجه الطبري في التفسير (2/ 707)، (3/ 223)، وابن أبي حاتم في التفسير (1421)، والطبراني في الكبير (13027)، والبيهقي في الشعب (9240)).

كتاب العبادة

ملخص الكتاب

نؤمن بأن الله خلق الخلق ليعبدوه، والعبادة التي أمر الله بها هي الحنيفية، وهي ملة إبراهيم عليه السلام، وهي التي أمر الله بها جميع الثقلين. والعبادة أنواع كثيرة، ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله تعالى. ومن أنواعها: الدعاء، والتوكل، والخشية، والخوف، والرجاء، والاستعاذة، والذبح، والاستعانة، والاستغاثة.

ونؤمن بأن الله خلق الخلق ليعبدوه، ونعلم أن أول أمر ورد في القرآن هو الأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه، وكل نبي قال لقومه: **(اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)** [الأعراف: 65].

ونعلم أن العبادة لا تكون مقبولة حتى تكون خالصة لله رب العالمين، موافقة لهدى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم. ويجب أن يكون المقصود بالعبادة هو الله وحده لا شريك له، وحذر سبحانه وتعالى من الشرك كله كبيره وصغيره، فمن عمل عملاً خالصاً لكنه غير موافق لهدى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فعمله مردود عليه، ومن عمل عملاً موافقاً لهدى الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه غير خالص لله؛ فهو مردود عليه.

ونعلم أن أصول العبادة ثلاثة هي: كمال الحب، وكمال الرجاء، وكمال الخوف، وأن الأنبياء والمرسلين فازوا من ذلك بأوفر الحظ والنصيب.

وأعظم ما يرجوه المؤمنون هو رؤية وجه الله الكريم، ورؤية الله هي أعلى نعيم أهل الجنة، بل هي زيادة نعيم على

نعيمهم، وإذا دخل أهل الجنة الجنة، زاد الله المؤمنين كرامة وإحساناً إلى إحسانه إليهم تفضلاً منه وجوداً بإذنه لهم بالنظر إليه، وأعظم ما يخافه أهل الإيمان هو حرمانهم من هذا النعيم الذي خص به أوليائه من المؤمنين، وحرّم منه أعداءه، وحجب جميع أعدائه عن النظر إليه من المشركين واليهود والنصارى والمجوس والمنافقين.

والوسيلة هي التقرب إلى الله بكل ما يرضيه من واجب أو مستحب. (وتأتي الوسيلة بمعنى آخر -أيضاً- وهو المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم: «سلوا الله لي الوسيلة».)

ونؤمن بأن أمر الله أمر عباده بالدعاء، ووعدهم بالإجابة، ونعلم أن التوسل إلى الله يكون بأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ ولهذا كانت دعوات الأنبياء والمرسلين أكثر ما تكون بالتوسل بأسماء الله الحسنى. ومن مواطن الدعاء أدبار الصلوات، وفي الثلث الأخير من الليل، وعند الفطر من الصوم، وفي الطواف، وعلى الصفا والمروة، وفي عرفات ومزدلفة، وبعد رمي الجمرات. كما يكون التوسل بالإيمان بالله، يكون التوسل إلى الله بالعمل الصالح بأنواع العبادات. ويكون التوسل إلى الله بذكر الحال، وإظهار الافتقار إلى الله، وأن العبد محتاج إلى عون الله ورحمته. ويكون التوسل بأن يطلب المسلم من الرجل الصالح الحي الحاضر أن يدعو له، كما طلب إخوة يوسف من أبيهم أن يستغفر لهم، وعَدَلَ الصحابة رضي الله عنهم عن الاستسقاء والتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه؛ لأنهم يعلمون أن هذا من التوسل المشروع.

ولا يجوز التوسل بغير ما شرع الله؛ فقد كان أهل الجاهلية يتقربون إلى الله بالتوسل إليه بأوثانهم وآلهتهم.

باب قول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}
نؤمن بأن الله خلق الثقيلين لعبادته، قال عز من قائل: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]؛ أي: وما أمروا إلا ليعبدوا العباد لله رب العالمين. والعبادة التي أمر الله بها هي الحنيفية، وهي ملة إبراهيم عليه السلام، قال عز من قائل: {قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبِيماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: 161].

والعبادة التي أمر الله بها أنواع كثيرة، ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله، قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً} [الجن: 18].

ومن أنواعها: الدعاء، قال عز من قائل: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون: 117]، وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: 60].

ومنها التوكل، قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: 23]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3].

ومنها الخشية، قال تعالى: {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} [البقرة: 150].

ومنها الخوف، قال الحق جل شأنه: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 175].

ومنها الرجاء، قال الحق جل ثناؤه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ

عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: 57]، وقال الحق عز شأنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

ومنها الاستعاذة، قال الحق جل ثناؤه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: 1].

ومنها الذبح، قال الحق جل في علاه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

ومنها الاستعانة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5].

ومنها الاستغاثة، قال الحق جل شأنه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9].

ونعلم أن أول أمر ذكر في القرآن هو الأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه، قال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا

رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 21]. وكل نبي قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ كما قال الله في

أول الرسل عليهم السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[الأعراف: 59]، وقال الله مخبرًا عن آخرهم صلى الله عليه وسلم أنه قال لقومه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:

36]، وقال الله جل في علاه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: 36].

ونعلم أن العبادة لا تكون مقبولة حتى تكون خالصة لله رب العالمين، موافقة لهدى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، قال

تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرَكَ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

ونعلم أنه يجب أن يكون المقصود بالعبادة هو الله وحده لا شريك له، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». (أخرجه البخاري 6689)، ومسلم (1907)، وأبو داود (2201)، والترمذي (1647)، والنسائي (75)، وابن ماجه (4227).

وحدّر سبحانه وتعالى من الشرك كله كبيره وصغيره، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكَتُهُ وَشِرْكُهُ». (أخرجه مسلم 2985).

فمن عمل عملاً خالصاً لكنه غير موافق لهدى الرسول صلى الله عليه وسلم فعمله مردود عليه، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]. وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، (أخرجه مسلم 1718). وقال عز من قائل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، وقال عز

من قائل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

ونعلم أن أصول العبادة ثلاثة هي: كمال الحب، و كمال الرجاء، وكمال الخوف، وقد فاز الأنبياء والمرسلون من ذلك بأوفر الحظ والنصيب، قال تعالى مخبراً عن حالهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ * أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: 60، 61]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: 16]، وقال الحق جل في علاه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ﴾ [الزمر: 9].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرِ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً». (أخرجه البخاري (7405)، ومسلم (2675)، والترمذي (3603)، وابن ماجه (3822)).

وقال الحق جل في علاه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165]، وقال صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةً

الإيمان: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ». (أخرجه البخاري (16)، ومسلم (43)، والترمذي (2624)، والنسائي (4987)، وابن ماجه (4033).)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ». (أخرجه البخاري (14)، والنسائي (5015).) ولا ينال العبد محبة الله حتى يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الحق جل في علاه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وأعظم ما يرجوه المؤمنون هو رؤية وجه الله الكريم، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23].

ورؤية الله هي أعلى نعيم أهل الجنة، بل هي زيادة نعيم على نعيمهم، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26].

وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُخْرِجَنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا

أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ». (أُخْرِجَهُ مُسْلِمٌ
(181)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2552)، وَابْنُ مَاجَةَ (187).)

باب التوسل والوسيلة

والوسيلة هي التقرب إلى الله بكل ما يرضيه من واجب أو مستحب.

ونؤمن بأن الله أمر عباده بالدعاء، ووعدهم بالإجابة، فقال جل من قائل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، وقال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

ونعلم أن التوسل إلى الله يكون بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 110].

ولهذا كانت دعوات الأنبياء والمرسلين أكثر ما تكون بالتوسل بأسماء الله الحسنى، كما قال تعالى مخبراً عن آدم وزوجه أنهما قالوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]، وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: 40]، وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151].

كما يكون التوسل بالإيمان بالله، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ءَامِنَّا بِمَا
أَنْزَلْتَ وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 53].

ويكون التوسل بالعمل الصالح، كما في قصة الثلاثة الذين
انطبق عليهم الغار، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ
رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوْوَا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ،
فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا
يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ
رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ، كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ
قَبْلَهُمَا أَهْلًا، وَلَا مَالًا، فَتَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أَرْحُ
عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ،
وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ،
أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاطَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا، فَشَرَبَا غُبُوقَهُمَا،
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ
مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَاَنْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ»، قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ
عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَأَمْتَنَعَتْ مِنِّي
حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ السَّنِينَ، فَجَاءَنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ
وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُحَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا
قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أَجِلُ لَكَ أَنْ تَقْضِيَ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ،
فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُفُوعِ عَلَيْهَا، فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا، وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ
إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ
وَجْهِكَ، فَافْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا
يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا»، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءً، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ
غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَدَهَبَ، فَتَمَرَّتْ أَجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ
مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي،
فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ،
فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ،
فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَأْقَاهُ، فَلَمْ يَنْزُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ
ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ،
فَخَرَجُوا يَمْشُونَ». (أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (2272)، وَمُسْلِمٌ (2743).)

ويكون التوسل إلى الله بأنواع العبادات، ومن أهمها الدعاء، كما قال جل ثناؤه في أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]. ومن مواطن الدعاء أدبار الصلوات، وفي الثلث الأخير من الليل، وعند الفطر من الصوم، وفي الطواف، وعلى الصفا والمروة، وفي عرفات، ومزدلفة، وبعد رمي الجمرات.

ويكون التوسل بذكر الحال، وإظهار الافتقار إلى الله، وأن العبد محتاج إلى عون الله ورحمته، قال تعالى مخبراً عن موسى عليه السلام أنه قال: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: 24]، وقال جل ثناؤه في نبي الله أيوب عليه السلام أنه دعا فقال: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83].

ويكون التوسل بأن يطلب المسلم من الرجل الصالح الحي الحاضر أن يدعو له، كما طلب إخوة يوسف من أبيهم عليه السلام يستغفر لهم، قال الله تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 97]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 64]. وعن أنس بن مالك، عن خالته أم حرام بنت ملحان، قالت: نَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَرِيبًا مِنِّي، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَتَبَسَّمُ، فَقُلْتُ: مَا أَضْحَكَكَ؟ قَالَ: «أَنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ الْأَخْضَرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرِ»، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ نَامَ الثَّانِيَةَ، فَفَعَلَ مِثْلَهَا، فَقَالَتْ مِثْلَ قَوْلِهَا، فَأَجَابَهَا مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ».

(أخرجه البخاري (2799)، ومسلم (1912)، وأبو داود (2490)، والنسائي (3172)، وابن ماجه (2776).)
ولما فسر النبي صلى الله عليه وسلم صفة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب، قَامَ عُكَاشَةُ رضي الله عنه، فَقَالَ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ». (أخرجه مسلم (218).)

وعن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ»، (أخرجه البخاري (1010).) فعُدل الصحابة رضي الله عنهم عن الاستسقاء والتوسل بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم -لكونه قد مات- إلى التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه؛ لأنهم يعلمون أن هذا من التوسل المشروع، فعمر رضي الله عنه يقصد التوسل بدعاء العباس، وليس بالعباس نفسه؛ لأنه لو كان المقصود التوسل بالعباس نفسه لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك.

ولا يجوز التوسل بغير ما شرع الله، فقد كان أهل الجاهلية يتقربون إلى الله بالتوسل إليه بأوثانهم وآلهتهم، قال تعالى مخبراً عن شنيع فعلهم: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3].

كتاب ما يضاد أصل الإيمان أو يضاد كماله

ملخص الكتاب

ونعلم أن مما يضاد الإيمان بالله: الكفر بالله.
والكفر يكون أكبر وأصغر، والأكبر مُخرج من الملة، ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً، وهو مُخبط لجميع الأعمال، والكافر خالد مخلد في النار. أما الأصغر فيضاد كمال الإيمان.

ونعلم أن الكفر الأكبر أنواع، أخبر الله عنها في كتابه، وذكر أن كفر الكافرين تارة يكون جحوداً، وتارة يكون امتناعاً واستكباراً عن الحق، وتارة يكون تكذيباً، ولا فرق بين التكذيب باللسان، والتكذيب بالقلب، وتارة يكون شكاً وظناً، فهو متردد في أمر الحق شاك في البعث ولقاء الله، وتارة يكون سباً واستهزاءً، وتارة يكون إعراضاً وصدّاً عن سبيل الله، وتارة يكون بغضاً للحق.

ونعلم أن من الكفر كفرًا دون الكفر الأكبر، وهو الكفر الأصغر، ولا يضاد أصل الإيمان، ولكنه يضاد كماله، وهو لا يخلد صاحبه في النار، ولا يحبط جميع الأعمال، وهو أنواع كثيرة.

ومنه: قتال المسلم، فهذا كفر لا يُخرج من الملة، ولا يُخلد صاحبه في النار؛ لأن الله سمى المؤمنين المتقاتلين إخواناً فسماهم مؤمنين، وهم يتقاتلون.

ونعلم أن مما يضاد الإيمان بالله: الشرك بالله العظيم - وهو أعظم الظلم - والشرك يحبط جميع الأعمال، والشرك لا يغفر

الله لصاحبه إذا مات ولم يتب، والمشارك إذا مات ولم يتب فالجنة عليه حرام، ومأواه جهنم خالدًا فيها.

وقد أبطل الله الشرك، ونعى على المشركين شركهم، وبين فساد اتخاذهم الأنداد، وأنها لا تنفع، ولا تضر، فتارة يبين أن هؤلاء الشركاء لا يسمعون، ولو سمعوا ما استجابوا لمن دعاهم. وتارة يبين الحق أن هؤلاء الشركاء لا ينفعون ولا يضررون، ولا يملكون موتًا ولا حياة. وتارة يبين الحق أن هؤلاء المعبودين من دون الله أنقص ممن عبدها؛ لأنها لا تمشي، ولا تبطش، ولا تسمع، ولا ترى. وتارة يبين المولى عز شأنه عجز هذه المعبودات وضعفها، وتارة يحكم عليها المولى عز شأنه بالفقر والقلّة، وأنها لا تملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ملكًا تامًا، ولا تملك شراكة في شيء من ذلك، وليس شيء منها ظهيرًا ومعينًا لله سبحانه وتعالى، ولا شفيعًا عنده. وتارة يبين الحق سبحانه وتعالى أن وجود آلهة مع الله ممتنع عقلاً، ومستحيل كونًا، وباطل شرعًا.

ونعلم أن الشرك الأكبر أنواع كثيرة:

منها: أن يُجعل مع الله شريكٌ في ربوبيته وخلقه وملكه ورزقه وتدبيره، وبين الحق أنه هو المتفرد سبحانه بالخلق والأمر.

ومنها: أن يجعل العبد لله ولدًا -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. ومنها: الإيمان بالكواكب وعبادتها، ومن ذلك -أيضًا- الاستسقاء بالنجوم، واعتقاد أنها تجلب الرزق.

ومنها: أن يجعل مع الله شريكًا في أسمائه أو صفاته سبحانه وتعالى، كمن يزعم أن أحدًا غير الله يعلم الغيب. وقد جاء الوعيد

الشديد على من سمي نفسه، أو سمي غيره باسم من أسماء الله التي لا تنبغي إلا لله كلفظ الجلالة «الله»، أو «الرحمن».

ومنها: أن يعتقد أن أحدًا من الخلق متصفٌ بالكمال الإلهي، أو أنه على كل شيء قدير، كيف؟! وقد أبان سبحانه وتعالى عن العجز التام للعابدين والمعبودين من دونه.

ومنها: أن يجعل مع الله آلهة أخرى.

ومنها: أن يصرف العبادة أو جزءًا منها لغير الله.

ومنها: الذبح لغير الله على سبيل التقرب، كمن يذبح للأصنام أو الموتى تقرباً إليهم.

ومنها: النذر لغير الله، والنذر عبادة لله لا يجوز صرفه لغير الله؛ ولذا مدح الله المؤمنين الذين يوفون بالنذر.

ومنها: الاستعاذة بغير الله.

ومنها: الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو دعاء غير الله تعالى.

ومنها: شرك الطاعة لغير الله، وذكر الله أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً يشرعون لهم، ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم.

ومنها: الشرك في الصلاة والركوع والسجود والطواف؛ ذلك أن هذه العبادات وأمثالها لا يجوز صرفها لغير الله، وأمر الله خليله عليه السلام أن يطهر بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود، وذكر الله أنه لا يستتكف عن عبادته إلا المتكبرون، وذكر الله أن كل المخلوقات تسجد لله.

ومنها: الحكم بغير ما أنزل الله، والتحاكم إلى غير الله، كما فعل أهل الكتاب وغيرهم؛ حيث جعلوا لله شركاء يشرعون لهم

الشرائع، وهذا تارة يكون كفرًا، وتارة يكون ظلمًا، وتارة يكون فسوقًا.

ومنها: شرك المحبة، وهي أن يحب المرء مخلوقًا محبة مقترنة بالذل والتعظيم والخضوع.

ومنها: شرك الخوف والخشية، وهو أن يخشى أو يخاف من مخلوق خوفًا مقترنًا بالخضوع والذل والتعظيم، كأن يخافه أن يُنزل به البلاء، أو يمنع عنه الخير، أو أن يترك لأجله واجبًا، أو أن يفعل لأجله محرماً على سبيل التقرب، وبين الحق جل في علاه أن أهل ولايته لا يخشون إلا الله سبحانه وتعالى.

ومنها: شرك الرجاء، وهو كمن يرجو من مخلوق حي حاضر أو غائب ما لا يقدر عليه إلا الله، أو يرجو من الأموات تفريج الكربات وقضاء الحاجات والشفاعة يوم القيامة.

ومنها: السحر.

ومنها: الكهانة والعرافة؛ لأن من يدّعيها يدعي علم الغيب. ونعلم أن من الشرك شركًا أصغر لا يخرج من الملة، ولا يضاد أصل الإيمان، ولكنه يضاد كماله، وهو لا يخلد صاحبه في النار، ولا يحبط جميع الأعمال، وهو أنواع كثيرة.

ومنه: الطيرة، وحدُّ الطيرة - كما في الحديث - ما أمضاك أو ردك.

ومنه: تعليق التمايم.

ومنه: يسير الرياء، أما من امتلأ قلبه من الرياء، وصار يعمل الصالحات بلا نية ولا إيمان ولا خشية، فهو المنافق الخالص، وعمله حابط مردود غير مقبول، والرسول صلى الله عليه وسلم سماه شرك السرائر، وبين صلى الله عليه وسلم أن

الرياء خفي جداً، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يخافه على أمته أشد من خوفه عليها من المسيح الدجال.

ومنه: إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وهذا متردد بين أن يكون شركاً أكبر، وأن يكون أصغر بحسب ما يقوم في قلب العبد.

ومنه: التنجيم، والتنجيم قد يكون شركاً أكبر، وقد يكون شركاً أصغر بحسب ما يقوم بالقلب.

ومنه: قول الرجل: ما شاء الله وشئت وما شابهها من الألفاظ.

ومنه: الحلف بغير الله.

ونعلم أن مما يضاد الإيمان بالله: النفاق، وهو إظهار الإسلام، وإخفاء الكفر، وهو أكبر وأصغر، والنفاق هو الكفر، أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنفاق الأكبر مخرج من الملة، ونشهد بشهادة الله أن المنافقين كاذبون في دعواهم الإيمان.

ولا يقبل الله من المنافق صرفاً ولا عدلاً، ومآل المنافق - إن مات على النفاق - الخلود في النار.

ونعلم أن النفاق الأكبر يكون بغضاً للحق وكرهية له، ويكون فرحاً بهزيمة الإسلام وأهله، وحسرة إن رأوا نصراً للإسلام. ويكون كفرة بعد إيمان، وإعراضاً عن قبول التحاكم إلى الشرع. ويكون ظناً بالله ظن السوء أنه لن ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ودينه، ويكون سخرية من الحق وأهله، وسباً لهم واستهزاء بهم - ويكون لمزاً للمسلمين - ويكون مخادعة لأهل الإيمان ورياء بالأعمال.

وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجهاد المنافقين.

ونعلم أن النفاق الأصغر لا يخرج من الملة، ولا يحبط العمل، ولا يخلد صاحبه في النار، ولا يضاد أصل الإيمان ولكنه يضاد كماله، وأن النفاق شعب أربع، من كن فيه كان منافقاً، ومن كانت فيه خصلة من هذه الأربع كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر * والبدعة كلها ضلالة.

ونؤمن أن الله قد أكمل لنا الدين، وأتمم علينا النعمة. ومما يضاد كمال الإيمان البدع في الدين، ونعلم أن الله نهى عن التفرق والاختلاف.

ونعلم أن من البدع تعظيم القبور والبناء عليها، وقد تصل إلى الشرك، ومن البدع تصوير الصالحين رجاء الاقتداء بهم بعد مماتهم.

ونعلم أن من البدع المنكرة: الاحتفالات البدعية ومشاركة الكفار أعيادهم.

ونعلم أن من البدع المنكرة: طلب البركة مما لم يجعله الله سبباً مباركاً، وهذا قد يكون سبباً إلى الشرك.

باب الكفر بالله

نعلم أن مما يضاد الإيمان بالله: الكفر بالله، وهو أكبر وأصغر، والكفر الأكبر يضاد أصل الإيمان، والكفر الأصغر يضاد كماله، والأكبر مخرج من الملة، ولا يقبل الله من صاحبه صرفاً ولا عدلاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ إِلَّا رِضْ دَهَبًا وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: 91]، وقال الحق جل في علاه: ﴿وَأَنْتَوُا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: 48]. والكفر محبط لجميع الأعمال، قال الحق جل شأنه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 5]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ}، قَالَ: «أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ عَمَلًا إِلَّا بِهِ، وَلَا يَحَرِّمُ الْجَنَّةَ إِلَّا عَلَى مَنْ تَرَكَهُ». (تفسير الطبري 113/3) و (593/9). وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (1307)، ولكن في تفسير قوله: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ} {.

والكافر خالد مخلد في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: 168، 169]. والكفر الأكبر أنواع، أخبر الله عنها في كتابه، وذكر أن كفر الكافرين تارة يكون جحوداً قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا إِنَّه لَيَخْرُجُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾

[الأنعام: 33]، وقال الحق جل شأنه: ﴿وَمَا يَجْعَدُ بَيَاتِنَا إِلَّا كُلَّ خُنَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: 32]، وقال عز من قائل: ﴿وَجَعَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَنَّهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: 14].

وتارة يكون الكفر امتناعاً واستكباراً عن الحق، قال تعالى في إبليس -وهو إمام الكافرين: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34]. وقال نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي عَادَتِهِمْ وَأَسْتَعْتَبُوا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: 7].

وتارة يكون الكفر تكذيباً، كما قال الله في الأمم السابقة: ﴿كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: 11]، وقال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ [الانشقاق: 22]. ولا فرق بين أن يكون التكذيب باللسان، وأن يكون بالقلب، قال الحق في المنافقين: ﴿﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾﴾ [الحشر: 11]، وقال عز شأنه: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1].

وتارة يكون الكفر شكاً وظناً، فهو متردد في أمر الحق، شاك في البعث ولقاء الله، قال تعالى مخبراً عن صاحب الجنة أنه قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: 36]، فقال له صاحبه المؤمن: أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37].

وتارة يكون الكفر سباً واستهزاءً، كما قال المولى عز شأنه مخبراً عن الكافرين: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: 10]، وقال تعالى مخبراً عن قوم نوح وسخريتهم به: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38].

وتارة يكون الكفر إعراضاً وصدّاً عن سبيل الله، قال تعالى مخبراً عن إعراض الكافرين: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 24]، وقال عز شأنه وتقدست أسماؤه: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: 3].

وتارة يكون الكفر بغضاً للحق، قال المولى عز شأنه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ فَاحْبَطُوا أَعْمَلَهُمْ﴾ [محمد: 9].

ونعلم أن من الكفر كفراً دون الكفر الأكبر، وهو الكفر الأصغر، ولا يضاد أصل الإيمان، ولكنه يضاد كماله، ولا يخلد صاحبه في النار، ولا يحبط جميع الأعمال، وهو أنواع كثيرة. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، (أخرجه البخاري (48)، ومسلم (64)، والترمذي (1983)، والنسائي (4108)، وابن ماجه (69)). ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»، (أخرجه مسلم (67)). وقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا،

يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». (أخرجه البخاري (121)، ومسلم (65)، والنسائي (4131)، وابن ماجه (3942).
 فهذا الكفر لا يُخرج من الملة، ولا يُخلد صاحبه في النار؛ لأن الله سمي المؤمنين المتقاتلين إخواناً، فقال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: 9]، فسماهم مؤمنين وهم يتقاتلون، وقال إمام أهل السنة الإمام أحمد رحمه الله - بعد أن ساق جملة من هذه الأحاديث وأمثالها: «هذه الأحاديث التي جاءت: «ثلاث من كن فيه فهو منافق» هذا على التخليط، نروها كما جاءت، ولا نفسرها... ونحوه من الأحاديث مما قد صح وحُفظ فإننا نسلم له، وإن لم يُعلم تفسيرها، ولا يُتكلم فيه، ولا يُجادل فيه، ولا تفسر هذه الأحاديث إلا بمثل ما جاءت». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (1/182).

باب الشرك بالله

نعلم أن مما يصاد الإيمان بالله: الشرك بالله العظيم، وهو أكبر وأصغر، والشرك الأكبر يصاد أصل الإيمان، والشرك الأصغر يصاد كماله، والشرك الأكبر أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]. والشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]، وقال عز من قائل: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88].

والشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إذا مات ولم يتب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]. والمشرك إذا مات ولم يتب فالحنة حرام عليه، ومأواه جهنم خالدًا فيها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: 72].

وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ». (أخرجه مسلم (93)).

وقد أبطل الله الشرك، ونعى على المشركين شركهم، وبين فساد اتخاذهم الأنداد، وأنها لا تنفع ولا تضر، فتارة يبين أن هؤلاء الشركاء لا يسمعون، ولو سمعوا ما استجابوا لمن دعاهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ

* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ} [فاطر: 13، 14]. فبين الحق أنهم لا يملكون أي شيء، ولا يسمعون لمن دعاهم، ويوم القيامة يكفرون بشركهم.

وتارة يبين الحق أن هؤلاء الشركاء لا ينفعون ولا يضررون، ولا يملكون موتاً ولا حياة، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَوَةً وَلَا نُشُوراً﴾ [الفرقان: 3]، وقال عز شأنه: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: 72، 73].

وتارة يبين الحق أن هؤلاء المعبودين من دون الله أعظم نقصاً ممن عبدها؛ لأنها لا تمشي، ولا تبطش، ولا تسمع، ولا ترى، فهي: «خالية من كل هذه الأشياء التي بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضر». (تفسير الطبري (13/322)). قال تعالى: ﴿اللَّهُمَّ ارْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ [الأعراف: 195].

وتارة يبين المولى عز شأنه عجز هذه المعبودات وضعفها، قال الحق جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: 73]، وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتِطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف: 197].

وتارة يحكم عليها المولى عز شأنه بالفقر والقلّة، وأنها لا تملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ملكاً تامّاً، ولا تملك شراكة في شيء من ذلك، وليس لله تعالى منها ظهيرٌ، ولا معين، ولا شفيع عنده، قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: 22، 23].

وتارة يبين الحق سبحانه وتعالى أن وجود آلهة مع الله ممتنع عقلاً، ومستحيل كوناً، وباطل شرعاً، قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 22]، وقال الله عز شأنه وتعالى مجده وسلطانه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلَ اللَّهِ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42]. وقال الحق عز شأنه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91].

ونعلم أن الشرك الأكبر أنواع كثيرة:

فمن أنواعه: أن يُجْعَلَ مع الله شريك في ربوبيته وخالقه وملكه ورزقه وتدبيره، قال الحق مخبراً عن شركهم: {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَفُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: 16]، وقال تعالى منكرًا على من جعل لله شريكًا من الخلق، وهو مخلوق لا يخلق: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [لقمان: 11]، وبين الحق أنه هو المتفرد سبحانه وتعالى بالخلق والأمر، فقال جل شأنه: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54].

ومن أنواعه: أن يُجْعَلَ لله ولدٌ -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا- قال المولى عز شأنه: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة: 30]، وقال عز من قائل: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ} [الأنعام: 100]، وقال الحق سبحانه وتعالى: {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادَةٍ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ} * أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ} [الزخرف: 15، 16].

ومن أنواعه: الإيمان بالكواكب وعبادتها، قال تعالى مخبراً عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه حاج قومه في عبادة الكواكب: {وَكَذَلِكَ نَرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتًا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ

قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِرُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ { [الأنعام: 75-81].

ومن ذلك -أيضاً: الاستسقاء بالنجوم، واعتقاد أنها تجلب الرزق، قال تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: 82]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا». قَالَ: فَتَرَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: {فَلَا أَفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة: 75]، حَتَّى بَلَغَ: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: 82]. (أخرجه مسلم (73)، والطبري في التفسير (154/23)).

وقال صلى الله عليه وسلم: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَشْرَكُونَهَا: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ». (أخرجه مسلم (934)، وابن ماجه (1581)).

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ:

«هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ». (أخرجه البخاري (846)، ومسلم (71)، وأبو داود (3906)، والنسائي (1525).)

ومن أنواعه: أن يُجْعَلَ مع الله شريك في أسمائه أو صفاته سبحانه وتعالى كمن يزعم أن أحداً غير الله يعلم الغيب، والله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50]، وقال الحق جل في علاه: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: 20]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا -قَالَ مُوسَى فِي حَدِيثِهِ- فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ - ثُمَّ اتَّقَا- أَوْ أَتَى امْرَأَةً - قَالَ مُسَدَّدٌ: امْرَأَتُهُ - حَائِضًا، أَوْ أَتَى امْرَأَةً - قَالَ مُسَدَّدٌ: امْرَأَتُهُ - فِي دُبْرَهَا، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»، (أخرجه أبو داود (3904)، والترمذي (135)، وابن ماجه (639)، والفضل بن دكين في الصلاة (15)، وإسحاق بن راهويه (482)، وأحمد (9536).) وقد جاء الوعيد الشديد على من سمى نفسه، أو سمى غيره باسم من أسماء الله التي لا تنبغي إلا لله، كلفظ الجلالة «الله»، أو «الرحمن»، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180]، وقال المولى عز شأنه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: 8]، وقال صلى الله عليه وسلم: «أَخْنَى
الْأَسْمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكُ الْأَمْلاكِ». (أخرج
البخاري (6205)، ومسلم (2143)، وأبو داود (4961)، والترمذي (2837).)

وقال أبو عبيد رحمه الله: «وكان سفيان بن عيينة يفسر قوله:
«ملك الأملاك»، قال: هو مثل قولهم: شاهان شاه، أي: أنه ملك
الملوك. وقال غير سفيان: بل هو أن يتسمى الرجل بأسماء الله،
كقوله: الرحمن، والجبار، والعزيز. قال: فالله هو ملك الأملاك،
لا يجوز أن تسمى بهذا الاسم غيره». (غريب الحديث، للقاسم
بن سلام (2/ 18)).

ومن أنواعه: أن يُعْتَقَدَ أن أحداً من الخلق متصفٌ بالكمال الإلهي، أو أنه على كل شيء قدير، قال الحق جل في علاه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: 65]، وقال تعالى مخبراً عن كمال قدرته: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 148]، وقال المولى عز شأنه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: 44]. وأبان سبحانه عن العجز التام للعابدين والمعبودين من دونه، فقال عز شأنه وتعالى سلطانه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73].

ومن أنواعه: أن يُجْعَلَ مع الله آلهة أخرى، كما أخبر الله عن قوم إبراهيم عليه السلام أنهم اتخذوا آلهة من دون الله، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 74]، وأخبر الحق عن أصحاب الكهف أنهم اعتزلوا قومهم؛ لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة، قال الله تعالى وتقدس: ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ءَالِهَةٍ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: 15]، وقال سبحانه في قوم موسى عليه السلام أنهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما للمشركين آلهة: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يُمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّئُونَ مِمَّا هُمْ فِيهِ وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 138]،

[139]، وقال تعالى مبطلًا عبادة كل معبود من دون الله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91].

ومن أنواعه: صَرَفُ العبادة أو جزء منها لغير الله، قال تعالى موضحةً حال المشركين: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: 136]، وقال صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَزَكَّيْتُهُ وَشَرَّكْتُهُ». (أخرجه مسلم (2985).)

ومن أنواعه: الذبح لغير الله على سبيل التقرب، كمن يذبح للأصنام أو الموتى تقريبًا إليهم، قال المولى عز شأنه موضحةً أن الذبح لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 115].

وعن أبي الطفيل قال: قلنا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أخبرنا بشيء أسره إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «مَا أَسْرَ إِلَيَّ شَيْئًا كَتَمَهُ النَّاسُ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»؛ (أخرجه مسلم (1978)، والنسائي (4422)). ولأن هذا الأمر عظيم جدًّا، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الذبح بـمكان يذبح فيه لغير الله، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: «نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم أَنْ يَنْحَرَ إِلَّا بِبُؤَانَةٍ - هي هضبة من وراء
ينبع قريبة من ساحل البحر - فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِلَّا بِبُؤَانَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا،
قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْفَ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي
مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». (أخرجه أبو داود
(3313).

ومن أنواعه: النذر لغير الله؛ فالنذر عبادة لله لا يجوز صرفه لغير الله؛ ولذا مدح الله المؤمنين الذين يوفون بالنذر، قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: 270]. وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ».

(أخرجه البخاري (6696)، وأبو داود (3289)، والترمذي (1526)، والنسائي (3806)، وابن ماجه (2126).)

ومن أنواعه: الاستعاذة بغير الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْإِنْسِ يَبِيتُ أَحَدُهُمْ بِالْوَادِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَقُولُ: أَعُوذُ بِعَزِيزِ هَذَا الْوَادِي، فَرَادَهُمْ ذَلِكَ إِثْمًا»، (أخرجه الطبري في التفسير (322 / 23)). قال تعالى مخبراً عن حال أهل الجاهلية: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6]. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من نزل منزلاً وقال: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

(أخرجه مسلم (2708)، والترمذي (3437)، وابن ماجه (3547).)

ومن أنواعه: الاستغاثة والاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو دعاء غير الله، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْمَسِحِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14]، وقال المولى عز شأنه موضحاً أن المشركين يستغيثون بالله إذا مسهم الضر، ثم

يعودون إلى شركهم إذا نجاهم الله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: 65]، وقال عز شأنه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ﴾ [الأحقاف: 5]، وقال الله تعالى مبيناً أنه هو الذي يغيث الملهوف ويكشف الضر: ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62].

ومن أنواعه: شرك الطاعة لغير الله، قال تعالى مخبراً عن أهل الكتاب أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً يشرعون لهم، ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21]. وأمر الله عباده بالإيمان به والتحاكم إلى شرعه، وبين أن الشيطان يريدهم أن يتحاكموا إلى الطاغوت، فقال جل من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 60]. وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنْقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثْنَ، وَاسْمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي «سُورَةِ بَرَاءَةِ»: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحْلَوْا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحْلَوْهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ». (أخرجه الترمذي (3095)،

وابن سعد (6/ 219)، وابن أبي حاتم في التفسير (10057)، والطبراني في الكبير (17/ 92/ 218).

ومن أنواعه: الشرك في الصلاة والركوع والسجود والطواف؛ ذلك أن هذه العبادات وأمثالها لا يجوز صرفها لغير الله، وأمر الله خليله عليه السلام أن يطهر بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26]، وأمر الحق أن يكون السجود له وحده سبحانه وتعالى، فقال جل من قائل: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: 37]. ولا يستكف عن عبادته إلا المتكبرون، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75]، وذكر الله أن سائر المخلوقات تسجد له، فقال عز من قائل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: 49]. وفي خبر جعفر رضي الله عنه عندما دخل على النجاشي، فقال جعفر: «أَنَا خَطِيئُكُمْ الْيَوْمَ، فَاتَّبِعُوهُ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى النَّجَاشِيِّ فَلَمْ يَسْجُدُوا لَهُ فَقَالَ: مَا لَكُمْ لَا تَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ إِلَيْنَا نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَنَا أَلَّا نَسْجُدَ إِلَّا لِلَّهِ». (أخرجه الطيالسي (344)، وسعيد بن منصور (2481)، وأحمد (4400)، ولوين في جزئه (4)، والطحاوي في أحكام القرآن (418).

ومن أنواعه: الحكم بغير ما أنزل الله، والتحاكم إلى غير الله، وبين الله سبحانه وتعالى حكم من حكم بغير ما أنزل الله، فقال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]. وقال الحق جل في علاه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: 45]. وقال المولى عز شأنه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 47]; ذلك لأن الأمر كله لله، قال الحق جل في علاه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35].

وقد نعى الله على أهل الكتاب اتخاذهم آحبارهم ورهبانهم أرباباً يشرعون لهم، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31]. وقال الحق جل في علاه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21]. وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنَ»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةٍ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ». (أخرجه الترمذي (3095)، وابن سعد (219/6)، وابن أبي

حاتم في التفسير (10057)، والطبراني في الكبير (17/92/218).

وأهل الكتاب يضاهئون في ذلك المشركين الذين قال الله عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: 35].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]. وقال عز من قائل: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21]. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

ومن أنواعه: شرك المحبة، وهي أن يحب مخلوقاً محبة مقترنة بالذل والتعظيم والخضوع، قال تعالى في محبة المشركين لأندادهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: 165]. وعن عبدالله رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك...». (أخرجه البخاري (4477)، ومسلم (86)، وأبو داود (2310)، والترمذي (3182)، والنسائي (4013)).

ومن أنواعه: شرك الخوف والخشية، وهو أن يخشى، أو يخاف من مخلوق خوفاً مقترناً بالخضوع والذل والتعظيم، كأن يخاف أن ينزل به البلاء، أو يمنع عنه الخير، أو أن يفعل لأجله محرماً على سبيل التقرب، قال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا دُلَّكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175]. والمشركون يعتقدون أن آلهتهم تضر وتنفع؛ ولذا ظنوا أن آلهتهم أصابت نبي الله هوذاً عليه السلام بسوء حيث قالوا: ﴿إِن نَقُولْ إِلَّا أَعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآسَهِدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: 54]. قال مجاهد: «{أَعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}»، قال: أصابتك الأوثان بجنون». (تفسير الطبري (361/15)). وقال الحق في صاحب الملة الحنيفية عليه السلام أنه قال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَسْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَسْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 81].

وكان أهل الجاهلية يستعيزون بسادات الجن خوفاً من سفهائهم، قال عز من قائل: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6].

وقال تعالى: ﴿قَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: 77]. وبين الحق جل في علاه أن أهل ولايته لا يخشون إلا الله سبحانه وتعالى كما قال عز شأنه: ﴿الَّذِينَ يَبِغُغُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: 39]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَسْ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: 114].

[18]. وأخبر أن السحرة بعد إيمانهم آثروا الخوف من الله على الخوف من فرعون وبطشه، قال تعالى مخبراً عن مقاتلتهم: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾ [طه: 72، 73].

ومن أنواعه: شرك الرجاء، وهو أن يرجو من مخلوق حي حاضر أو غائب ما لا يقدر عليه إلا الله، أو يرجو من الأموات تفريج الكربات، وقضاء الحاجات، والشفاعة يوم القيامة، قال الحق مخبراً عن سبب عبادة المشركين لآلهتهم: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يُبَيِّنْكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14]، وبين الله أن هؤلاء الشركاء لا يملكون شيئاً، قال عز من قائل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: 40]، وقال تعالى في الاتباع أنهم يقال لهم يوم القيامة: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: 64]. وكل ما ورد في القرآن من ذكر لدعوة المشركين لآلهتهم فهو دليل على شرك الرجاء، قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: 43]. ولو لم يكونوا يعتقدون أنهم يجيبونهم لما نفاها مؤمن آل فرعون.

ومن أنواعه: السحر، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هُروثَ وَمُرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: 102]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ». (أخرجه البخاري (2766)، ومسلم (89)، وأبو داود (2874)، والنسائي (3671).)

وعَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، سَمِعَ بَجَالََةَ يُحَدِّثُ عَمْرَو بْنَ أَوْسٍ، وَأَبَا الشَّعْنَاءِ، قَالَ: «كُنْتُ كَاتِبًا لِحَزْرٍ بْنِ مُعَاوِيَةَ عَمِّ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ إِذْ جَاءَنَا كِتَابُ عَمْرِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ: افْتُلُوا كُلُّ سَاحِرٍ...». (أخرجه أبو داود (3043)، وعبد الرزاق (9972)، وسعيد بن منصور (2180)، وأحمد (1657).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ». (أخرجه أبو داود (3905)، وابن ماجه (3726)، وابن أبي شيبة (26159)، وأحمد (2000)، وعبد بن حميد (714).)

ومن أنواعه: الكهانة والعرافة؛ لأن من يدعيها يدعي علم الغيب، قال تعالى: ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبٍ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: 26، 27]. وعن صفية عَنْ بَعْضِ أَرْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى

عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً». (أخرجه مسلم (2230).)

وعن أبي هريرة والحسن رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ». (أخرجه أحمد (9536) عن أبي هريرة، والحسن، وأخرجه أبو داود (3904)، والترمذي (135)، وابن ماجه (639)، وابن أبي شيبة (17077)، وإسحاق بن راهويه (482)، وأحمد (9290) من حديث أبي هريرة.)

ونعلم أن من الشرك شركًا أصغر لا يخرج من الملة، ولا يخلد صاحبه في النار، ولا يحبط جميع الأعمال، وهو أنواع كثيرة:

ومنه: الطَّيْرَة، وحُدُّ الطَّيْرَة: ما أمضاك أو ردك، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131]، وقال الحق جل في علاه: ﴿قَالُوا طَيَّرْكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: 19]. وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ». (أخرجه البخاري (5707)، ومسلم (2220)، وأبو داود (3911)). وعن عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأَلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ». (أخرجه أبو داود (3919)، وابن أبي شيبة في المصنف (26920) وفي الأدب (162)، والخلال في (1405)).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمُ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». (أخرجه ابن وهب في الجامع (658)، وأحمد (7045)، واللفظ له، والطبراني في الكبير (14622)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (292)).

ومنه: تعليق التمام، فعن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه «أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَالنَّاسُ فِي مَبِيتِهِمْ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا: أَنْ لَا يَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةً إِلَّا قُطِعَتْ». (أخرجه البخاري 3005)، ومسلم (2115)، وأبو داود (2552).

وعن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتَّوَلَةَ شِرْكٌ». (أخرجه أبو داود (3883)، وابن ماجه (3530)، ومعمر في الجامع (20343)، وابن أبي شيبة (23924)، وأحمد (3615).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ». (أخرجه الترمذي (2072)، وابن أبي شيبة في المصنف (23923)، وفي المسند (786)، وأحمد (18781).

ومنه: يسير الرياء، أما من امتلأ قلبه من الرياء، حتى صار يعمل الصالحات بلا نية ولا إيمان ولا خشية فهو المنافق الخالص، وعمله حابط مردود غير مقبول، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، وقال صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ». (أخرجه مسلم (2985).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ

قَاتَلَتْ؛ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ؛ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ؛ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». (أخرجه مسلم (1905)، والترمذي (2382)، والنسائي (3137).)

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ». (أخرجه البخاري (6499)، ومسلم (2987)، وابن ماجه (4207).)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمِعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ». (أخرجه ابن المبارك في الزهد (141)، وابن أبي شيبة (36448)، وهناد في الزهد (872)، وأحمد (6509) وفي الزهد (238).)

وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنْ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ -قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَاتِمًا- فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً

اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». (أخرجه البخاري (123)، ومسلم (1904)، وأبو داود (2517)، والترمذي (1646)، والنسائي (3136)، وابن ماجه (2783).)

ونعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم سماه شرك السرائر، فعن محمود بن لبيد قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ وَشِرْكُ السَّرَائِرِ»، قَالُوا: وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُومَ أَحَدُكُمْ يُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا؛ لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ». (أخرجه ابن أبي شيبة (8489)، وابن خزيمة (937)، والطبراني في الكبير (4301) والبيهقي في السنن الكبرى (3629)، وفي الشعب (2872).)

وبين صلى الله عليه وسلم أن الرياء خفي جدًا، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يخافه على أمته أشد من خوفه المسيح الدجال عليها، حيث قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟»، قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيَزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». (أخرجه ابن ماجه (4204)، وأحمد (11252)، وحنبلي بن إسحاق في الفتن (30)، والطبري في تهذيب الآثار (1117).)

ومن الشرك الأصغر: إرادة الإنسان بعمله الدنيا، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: 20]، وقال جل ثناؤه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: 15]. وهذا متردد بين أن يكون شركاً أكبر، وبين أن يكون أصغر بحسب ما يقوم في قلب العبد، قال الحق جل شأنه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: 18].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلدِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، (أخرجه البخاري (2810)، ومسلم (1904)، وأبو داود (2517)، والنسائي (3136).) ودعا المصطفى صلى الله عليه وسلم على من كانت الدنيا هي همه وغايته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّيَارِ، وَالذَّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، وَالْخَمِيسَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ». (أخرجه البخاري (2886)، وابن ماجه (4135).)

ومنه: قول الرجل: ما شاء الله وشئت، وما شابهها من الألفاظ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحَذُهُ»،

(أخرجه ابن أبي شيبة (27227)، وأحمد (1839)،
والبخاري في الأدب المفرد (783)، وابن أبي الدنيا في
الصمت (342)، والباغندي في أماليه (36).) ويمثل هذا
اللفظ قولهم: هذا من الله ومنك، ولولا الله وفلان لم يكن كذا.

ومنه: الحلف بغير الله، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ
حَالِفًا فَلَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا، فَقَالَ: لَا
تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». (أخرجه البخاري (3836)، ومسلم
(1646)، والنسائي (3764).) وعن ابن عمر رضي الله
عنهما، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ،
أَوْ أَشْرَكَ». (أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٦٠٧٢) وأبو
عوانة (٦٤٠١)، والحاكم (٧٨٩٥).)

باب النفاق

ومما يضاد الإيمان بالله: النفاق الأكبر؛ وهو إظهار الإسلام وإخفاء الكفر، وهو أكبر وأصغر. والنفاق الأكبر يضاد أصل الإيمان، والنفاق الأصغر يضاد كماله، قال الإمام أحمد في «أصول السنة»: «والنفاق هو الكفر أن يكفر بالله، ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم»، (أصول السنة، لأحمد بن حنبل (ص: ٥٥)). والأكبر مخرج من الملة.

ونشهد بشهادة الله أن المنافقين كاذبون في دعواهم الإيمان، قال عز شأنه وتعالى سلطانه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 107]. وقال عز من قائل: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1].

ولا يقبل الله من المنافق صرفاً ولا عدلاً، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُّقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُم كُنْتُمْ قَوْمًا فَسِيقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ [التوبة: 53، 54].

ومال المنافق -إن مات على النفاق- الخلود في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: 145]. وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: 68].

ونعلم أن النفاق الأكبر يكون بغضًا للحق وكرهية له، قال تعالى مخبرًا عن حال المنافقين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: 28-30].

ويكون فرحًا بهزيمة الإسلام وأهله، وحسرة إن رأوا نصرًا للإسلام، قال الحق جل في علاه مبينًا ما تكنه صدورهم: ﴿إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَنَسُوهُمْ * وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: 50].

ويكون كفرًا بعد إيمان، وتوليًا عن قبول التحاكم إلى الشرع، قال المولى عز شأنه: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: 47، 48].

ويكون ظنًا بالله ظن السوء أنه لن ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ودينه، قال الحق جل في علاه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12].

ويكون سخرية من الحق وأهله، وسبًا لهم واستهزاء بهم، قال الحق جل شأنه: ﴿يَحْذَرُ الْمُنْفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَالِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: 64، 65].

ويكون لمزاً للمسلمين، قال المولى عز شأنه: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79].

ويكون مخادعة لأهل الإيمان ورياءً بالأعمال، قال الله تعالى وتقدس: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9]، وقال -أيضاً: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ، قَامَ فَتَقَرَّهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا». (أخرجه مسلم (622)، وأبو داود (413)، والترمذي (160)، والنسائي (511)).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَغْلُومٌ النَّفَاقِ». (أخرجه مسلم (654)، وأبو داود (550)، والنسائي (849)، وابن ماجه (777)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ... إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمَمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَبُيِّنْتُ بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعَظْمِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخَذُهُ

وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ،
وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ». (أخرجه مسلم (2968).)

وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجهادهم، فقال
عز من قائل: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جُهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ
وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةً
الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بِعَدْلِ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَوْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلَةٍ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ
عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
نَصِيرٍ» [التوبة: 73، 74].

ونعلم أن النفاق الأصغر لا يخرج من الملة، ولا يحبط
العمل، ولا يخلد صاحبه في النار، وأن النفاق شُعْبٌ، قال صلى
الله عليه وسلم: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ
فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا
أُوتِيَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ
فَجَرَ». (أخرجه البخاري (34)، ومسلم (58)، وأبو داود
(4688)، والترمذي (2632)، والنسائي (5020).)

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ، كَالْأُتْرَاجَةِ
طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ،
وَيَعْمَلُ بِهِ، كَالثَّمَرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ
الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَالرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ
الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَالْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ - أَوْ خَبِيثٌ -
وَرِيحُهَا مُرٌّ». (أخرجه البخاري (5059)، ومسلم (797)،
والترمذي (2865)، والنسائي (5038)، وابن ماجه
(214).)

باب البدعة

نعلم أن من البدع ما يضاد أصل الإيمان، ومنها ما يضاد كمال الإيمان، فالبدع الشِّرْكِيَّة والكُفْرِيَّة تضاد أصل الإيمان، أما البدع التي دون الشرك والكفر فتضاد كمال الإيمان.

ونؤمن أن الله قد أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، قال الحق جل شأنه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ». (أخرجه البخاري (2697)، ومسلم (1718)، وأبو داود (4606)، وابن ماجه (14)).

ونعلم أن مما يضاد كمال الإيمان البدع في الدين، قال صلى الله عليه وسلم: «وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنْ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». (أخرجه أبو داود (4607)، والترمذي (2676)، وابن ماجه (42)، وأحمد (17144)، وابن أبي عاصم في السنة (26)، وابن وضاح في البدع (54)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». (أخرجه مسلم (2674)، وأبو داود (4609)، والترمذي (2674)، وابن ماجه (206)).

وبَوَّب البخاري رحمه الله في «صحيحه» بابًا، فقال: «باب إثم من دعا إلى ضلالة؛ أو سنَّ سنة سيئة» وأورد فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى

ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا -وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا- لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا». (أخرجه البخاري (7321)، ومسلم (1677)، والترمذي (2673)، والنسائي (3985)، وابن ماجه (2616).)

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِيَهُودُ، وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»؟! (أخرجه البخاري (3456)، ومسلم (2669).)

ونعلم أن الله نهى عن التفرق والاختلاف، فقال جل شأنه وتقدست أسماؤه: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [آل عمران: 105]، وقال عز من قائل: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [النور: 63].

ونعلم أن من البدع تعظيم القبور والبناء عليها -وهذا قد يكون سبباً إلى الشرك. ومن البدع أيضاً تصوير الصالحين رجاء الاقتداء بهم بعد مماتهم، قال صلى الله عليه وسلم: «... أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ». (أخرجه مسلم (532).)

وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرِ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ

الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». (أخرجه البخاري (427)، ومسلم (528)، والنسائي (704).)

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بطمس التماثيل، وتسوية القبور، فعن أبي الهياج الأسدي قال: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَلَا تَدْعُ تِمْنَالًا إِلَّا طَمَسْنَاهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْنَاهُ». (أخرجه مسلم (969)، وأبو داود (3218)، والترمذي (1049)، والنسائي (2031).)

ونعلم أن من البدع المنكرة الاحتفالات البدعية، ومشاركة الكفار أعيادهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟» قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ». (أخرجه أبو داود (1134)، والنسائي (1556)، وإسماعيل بن جعفر في حديث علي ابن حجر (62)، وأحمد (12827)، وعبد بن حميد (1392).)

وقال جل ثناؤه: {لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزَعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ} [الحج: 67]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: {لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ}: «يَقُولُ: عِيدًا»، (تفسير الطبري (679/18)، وابن أبي حاتم في التفسير (14718).) وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا». (أخرجه

البخاري (952)، ومسلم (892)، وأبو داود (1593)، وابن ماجه (1898).

ونعلم أن من البدع المنكرة طلب البركة مما لم يجعله الله سبباً مباركاً، وقد يكون وسيلة إلى الشرك، فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: 138] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». (أخرجه الترمذي (2180)، ومعمر في الجامع (20763)، وعبدالرزاق في التفسير (931)، وابن أبي شيبة (38530)).

باب كبائر الذنوب

نعلم أن الذنوب منها كبائر وصغائر، قال عز وجل: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم: 32]، وقال عز وجل أيضاً: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ} [النساء: 31].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو الله نداً وهو خلقك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»؛ فأنزل الله تصديقها: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} . (أخرجه البخاري 6001) ومسلم (86).

ونعلم أن الإيمان يزيد وينقص، قال تعالى: {وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُمُ رَادَّتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: 124]. فالطاعات تزيد الإيمان وتثبتته، والذنوب تنقص الإيمان وتضعفه، فالمعصية -التي دون الكفر والشرك- تضاد كمال الإيمان، ومرتكب الكبيرة لا يُسلب مطلق الإيمان، ولا يستحق وصف الإيمان المطلق؛ لأنه جاء بما ينقص إيمانه، ولهذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْيَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ، حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»، (أخرجه البخاري (2475)، ومسلم (57)). وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ

لَمْ يَسْتَطِعْ فِيلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْضَعُ
الْإِيمَانِ»، (أخرجه مسلم (49)). وقال صلى الله عليه وسلم
مخبراً عما يكون في يوم القيامة: «... فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا
فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ...» ،
(أخرجه البخاري (7493)، ومسلم (183)). فدللت هذه
الأحاديث على أن الذنوب تُضعف الإيمان.

وصاحب الكبيرة مُتَوَعَّدٌ بالعقوبة على كبريته ما لم يتب
منها، أو يقام عليه الحد- إن كانت الكبيرة مما يترتب عليه الحد،
أو يغفر الله له بأحد أسباب المغفرة وهي كثيرة. قال جل شأنه:
{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}
[النساء: 48].

كتاب الصحابة والإمامة

باب الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم

نؤمن أن الله جل وعلا اختار صحابة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجعلهم صفوة خلقه بعد الأنبياء عليهم السلام، وذكر صفاتهم، وأثنى عليهم في التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29]، وذكر الحق رضاه عنهم، فقال عز من قائل: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ مِنِ الْمُتَجِدِّينَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدِّينَ وَالْآيَاتِ الْمُنَىٰ وَالَّذِينَ اتَّخَفُوا بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100].

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصحابة الكرام خير القرون على الإطلاق، فعن عبدالله قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قال: «قَرْنِي»، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ». (أخرجه البخاري (6658)، ومسلم (2533)، والترمذي (3859)، وابن ماجه (2362).)

ونؤمن أن المهاجرين أفضل من الأنصار رضي الله عنهم؛ لذا قدمهم الله في الذكر في محكم كتابه كما في آية «التوبة» السابقة، وأثنى الله جل في علاه على المهاجرين، فقال: ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا

مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {
[الحشر: 8].

وقال سبحانه وتعالى في الأنصار: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ
وَإِلِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ وَمَن يُوَقِّ شَحًّا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر:
9].

ونؤمن أن خير هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم: أبو
بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم، فترتيبهم في
الفضل كترتيبهم في الخلافة.

ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة، كما شهد لهم بها النبي
صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ
فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ
بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو
عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ». (أخرجه الترمذي (3747)،
وأحمد في المسند (1675)، وفي فضائل الصحابة (278)،
وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (232)).

ونؤمن أن لأهل بدر رضي الله عنهم منقبة ليست لغيرهم،
قال صلى الله عليه وسلم كما في الحديث: «... وَمَا يُدْرِيكَ، لَعَلَّ
اللَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ
غَفَرْتُ لَكُمْ». (أخرجه البخاري (3007)، ومسلم (2494)،
وأبو داود (2650)، والترمذي (3305)).

وعن معاذ بن رفاعه بن رافع الزرقي عن أبيه -وكان أبوه من أهل بدر- قال: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟» قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: «وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ».

(أخرجه البخاري (3992).)

ونشهد بما شهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بيعة الرضوان؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»، (أخرجه أبو داود (4653)، والترمذي (3860)، وأبو الجهم في جزئه (1)، وأحمد (14778)، والنسائي في الكبرى (11444).) وأنهم فازوا ببيعتهم هذه حتى قال الله فيها: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: 10]. ونعلم أن الله قد أحلّ عليهم رضوانه، كما قال سبحانه في محكم تنزيله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18].

ونؤمن أن الله جل وعلا اختص آل بيته صلى الله عليه وسلم
بفضائل وحقوق، فتجب محبتهم، وموالاتهم، ورعاية حقهم،
فمن حقوقهم أن الله جعل لهم حقاً في الخمس، والفيء، وأمر
النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليهم مع الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لنا: «قولوا: اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك
حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

ومن فضائلهم ما ذكر تعالى في قوله جل ثناؤه: {يُنِسَاءَ النَّبِيِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي
قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}
[الأحزاب: 32، 33]. وقال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: 6].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي صلى الله
عليه وسلم غداةً وعليه مِرْطٌ مَّرْحَلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ، فجاء
الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت
فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا». (أخرجه
مسلم (2424).)

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةً مِنْ وَلَدِ

إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». (أخرجه مسلم (2276).)

وعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ، وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَعَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي». (أخرجه مسلم (2408).)

وقد عرف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لقرابته صلى الله عليه وسلم حقهم وفضلهم، حتى إنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال لعليِّ رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبُّ إليَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي». (أخرجه البخاري (3508)، ومسلم (1759).)

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سب الصحابة رضي الله عنهم، فقال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ». (أخرجه البخاري (3673)، ومسلم (2541)، وأبو داود (4658)، والترمذي (3861).) وبين النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن حب الأنصار علامة الإيمان، وبغضهم علامة النفاق فقال صلى الله عليه وسلم: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ

الأنصار». (أخرجه البخاري (17)، ومسلم (74)، والنسائي (5019).)

وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه:
«لَمْ شْهَدْ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْبِرُ فِيهِ
وَجْهَهُ، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ، وَلَوْ عُمِرَ عُمَرُ نُوحٍ».
(أخرجه أبو داود (4650).)

باب وجوب طاعة ولاية الأمر

نعلم أن السمع والطاعة واجب لولاية أمور المسلمين؛ لقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ)** [النساء: 59]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: **«السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»**. (أخرجه البخاري (2955)، ومسلم (1839)).

وفي «الصحيحين» عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: **«بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَنْتَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَلَّا نُنَازِعَ الْأَمَرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيُّنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً»**. (أخرجه البخاري (7055)، ومسلم (1709)).

قال أبو زرعة رحمه الله: **«... ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان، ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولّاه الله عز وجل أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة، ونتبع السنة والجماعة»**. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي (175/1))

وطاعة ولاية الأمر إنما تجب في المعروف وتحرم في المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم -كما في حديث ابن عمر رضي الله عنه السابق: **«...مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»**؛ ولقوله صلى الله عليه وسلم: **«لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»**. (أخرجه البخاري (7257)، ومسلم (1840)).

قال الإمام أبو إبراهيم المزني: «والطَّاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضيًا، واجْتَنَاب ما كان عند الله مسخًطًا، وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتَّوْبَة إلى الله عز وجل كَيْمَا يَغْفِرَ بهم على رعيّتهم». (شرح السنة للمزني (ص: 84).)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين، ونشكر المولى جل شأنه على ما منّ به علينا من إتمام هذا السّفر العظيم المبارك، ونقول كما يقول أهل الجنة: {أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس: 10]. وكما أمر ربنا جل شأنه: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 59].

ونسأله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، موافقًا لهدى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، نافعا لعباده، شافعا لنا يوم لقائه.

ونعلم أننا مهما اجتهدنا فلن نحيط بهذا الموضوع الشريف؛ ذلك لأنه حديث عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، ولكننا نختم الكتاب بقول الحق جل شأنه وتعالى سلطانه: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمُوتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: 67].